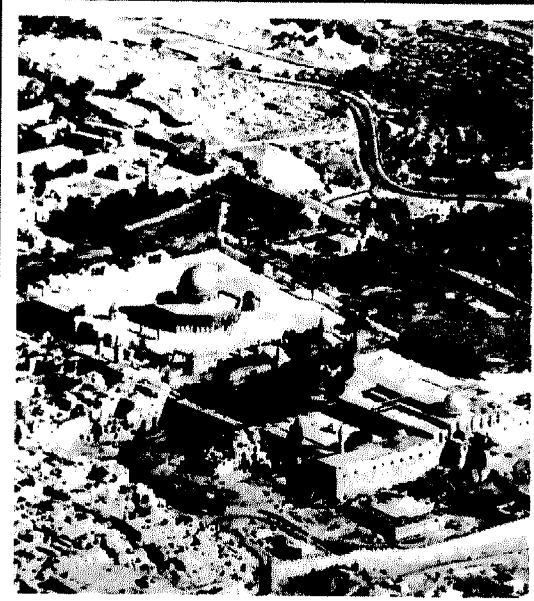
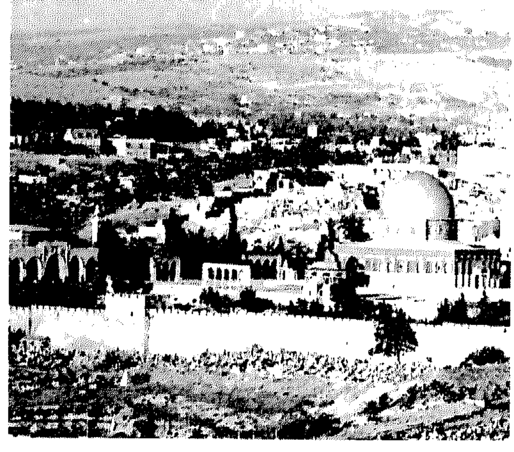
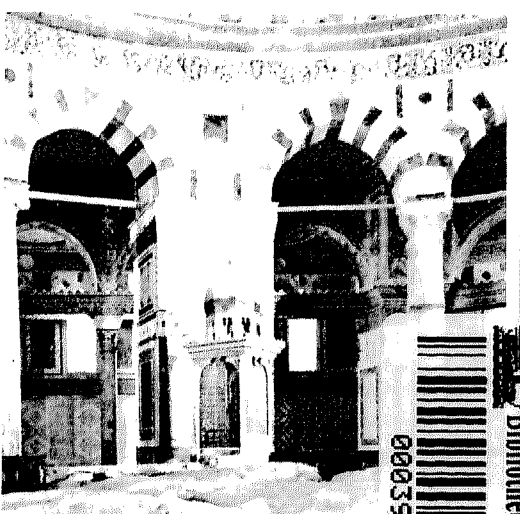
Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الدكتور سيد فرج راشد

# القدس

## عربية إسلامية

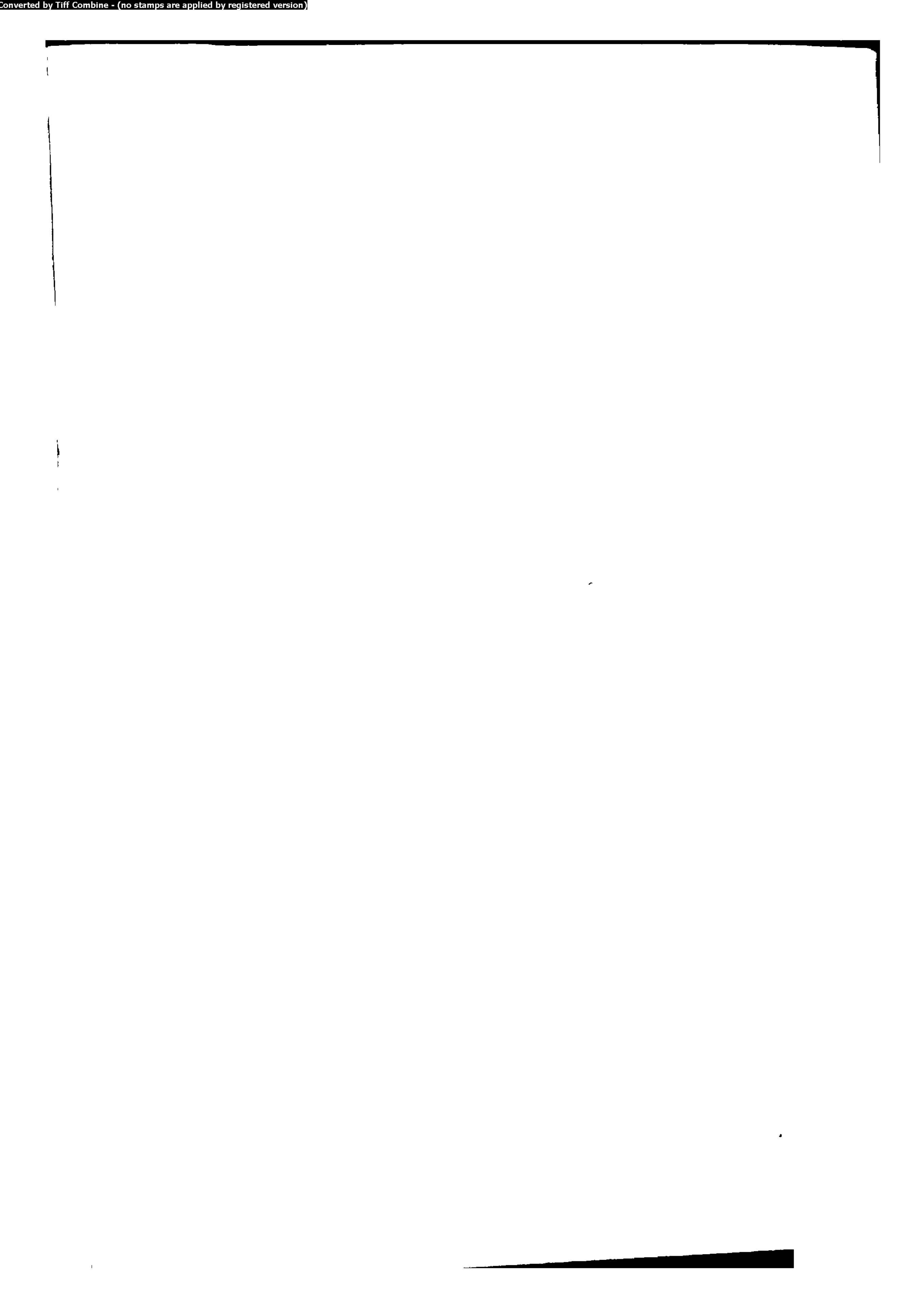





دار المريخ للنشر


Bibliotheca Alexandrina
0003965

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)





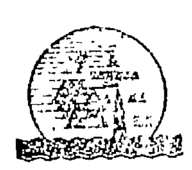

٥٠٨٤٤

956.944
2

الدكتور

سيد فرج راشد

أستاذ اللغات السامية المساعد
جامعة الملك سعود . كلية الآداب



الهيئة العامة لمكتبة الإسكندرية

دار المريخ للنشر

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

© دار المريخ للنشر ١٤٠٦هـ، ١٩٨٦م، الرياض، المملكة العربية السعودية
جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة لدار المريخ للنشر ـ الرياض
المملكة العربية السعودية ـ ص.ب. 10720 ـ تلكس 203129
لا يجوز استنساخ أو طباعة أو تصوير أي جزء من هذا الكتاب
أو اختزانه بأية وسيلة إلّا بإذن مسبق من الناشر.

أشرف على إخراج وتصميم وطباعة هذا الكتاب
شركة الديار ـ ميلانو ـ ايطاليا.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ

مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ الَّذِي

عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾

صدق الله العظيم

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

956.9442
٩١٢



مسقط رأسي للحرم الشريف يحدد موقعه داخل مدينة القدس

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)



Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

# فهرس الموضوعات

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الفصل الخامس



الفصل السادس



الفصل السابع



الفصل الثامن

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)



Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

# تقديم

مدينة القدس مدينة يرتبط بها أتباع الأديان السماوية ، فإليها هاجر ابراهيم أبو الأنبياء عليه السلام وقصدها موسى عليه السلام من مصر في رحلة دامت أكثر من أربعين عاماً ولكن لم تنعم عيناه برؤيتها ، ثم داود وسليمان وبقية الأنبياء ثم عيسى عليهم السلام أجمعين مبشرين بمحمد بن عبد الله خاتم الأنبياء والرسل إلى المسجد الأقصى ليعرج به السماوات حتى سدرة المنتهى . ولذلك فإن ارتباط أتباع اليهودية والنصرانية والاسلام بالقدس ارتباط روحي مقدس . واستمرت القدس مدينة السلام على مر العصور ومن قبل كانت ولا تزال مدينة عربية منذ فجر التاريخ وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، لأن اسمها القديم كان اسمّاً عربياً ولكن اليهود لم يرعوا هذه القدسية للقدس لأن القدس مدينة التوحيد والتوحيد يعني الاسلام منذ ابراهيم ( وما كان ابراهيم يهودياً ولا نصرانياً ولكن كان حنيفاً مسلمًا وما كان من المشركين ) . هذه جمل أذكرها في بداية حديثي عن عمل علمي جليل هو كتاب « القدس . . مدينة عربية اسلامية » للدكتور سيد فرج راشد أستاذ اللغات السامية بقسم الآثار والمتاحف بجامعة الملك سعود . ولا أريد أن أتحدث عن علم الدكتور سيد فهو عالم له نشاط علمي متميز في مجال الدراسات العبرية على وجه الخصوص ، ونشرت له عدة أبحاث تتناول ثقافة العبرانيين وتاريخهم ، وهذا الكتاب يتناول في تسعة فصول عدا المقدمة ، قصة القدس وفي المقدمة يتناول أسماء القدس منذ عصر سكانها الأصليين اليبوسيين وهم عرب في الألف الثالث قبل الميلاد ، وفي العصر الاسلامي ثم يدرس جغرافيتها بتفصيل مناسب ويعرج بعد ذلك على المقدسات الاسلامية فيها ، ومن خلال دراسته للمقدسات الاسلامية يذكر العهدة العمرية وأهميتها لسكان القدس أو إيلياء عند تحرير المسلمين لها ، كما يتحدث عن المسجد الأقصى ومسجد قبة الصخرة . ويتضح هنا أن هناك فرقاً بين المسجد الأقصى وقبة الصخرة يجهله كثير من المسلمين في العصر الحاضر ، فكثير هم أولئك الذين يعتقدون أن المسجد الأقصى وقبة الصخرة شيء واحد ويرجع ذلك إلى جهل المسلمين بتاريخهم وحضارتهم ، وذلك تقصير إعلامي يجب أن نتنبه إليه وواجب الأكاديميين المسلمين أن يقوموا بواجبهم تجاه شعوبهم الاسلامية بالتعاون مع وسائل الاعلام المختلفة ، وهذا الكتاب إنما جاء لسد هذه الثغرة .

ومما يجب أن نلحظه في هذا الكتاب القيم هو أنه اتخذ خطاً واضحاً وهو عروبة القدس ، وهو في سبيل برهنته على هذه الحقيقة في وجه الصهيونية العارمة يعتمد على البراهين الواضحات ، فيبدأ في الفصل الأول بالحديث عن تاريخ القدس قبل الوجود اليهودي الطاريء ، ثم ينتقل إلى الفصل الثاني متحدثاً عن مرحلة التعايش السلمي بين الفلسطينيين الأصليين وداود عليه السلام واستيلاؤه على القدس وبناء الهيكل حتى موت سليمان عليه السلام والذي كان موته بداية لانقسام بني إسرائيل .

ورغم أن اليهود التصقوا بفلسطين عامة وبالقدس خاصة إلّا أن هذا الالتصاق لم يكن تاماً ، لأن سكوتهم وانقساماتهم الدينية والعرقية والسياسية لم ترح الشعوب التي حاولوا أن يعيشوا بينها ، لأنهم كانوا جسماً غريباً لم يستطع الاندماج مع الشعوب الأصلية في المنطقة ، ولذا حاربتهم شعوب المنطقة الضعيفة منها والقوية ، كما أن انبهارهم بحضارة الشعوب القديمة لم يمكنهم من الالتزام بمبادىء التوحيد التي أتى بها أنبياؤهم ، فتأثروا بوثنية هذه الأقوام فكانوا بذلك متأرجحين بين الوثنية والتوحيد . وهذه صفة الغريب في كل عصر يتقلب بين تراثه وتراث الأمم التي يعيش بينها فهو من جهة يشعر بقوة تراث هذه الأمم ، ومن جهة أخرى يشعر أن تراثه ومعتقداته لا تساعده على الانصهار ، ولذا كان موقفهم من أنبيائهم غير مشرف والقرآن الكريم خير شاهد على مواقفهم من أنبيائهم ، كما أن التوراة خير شاهد على سلوكهم الدموي مع جيرانهم ، فهو سلوك دموي للدفاع عن النفس ينبع من شعورهم الكاذب بالاستعلاء . وهذا الشعور عاش معهم في كل مجتمع يعيشون فيه في أوروبا وأمريكا حتى الوقت الحاضر وفي البلاد العربية قبل نشأة الكيان الصهيوني . هذا الموقف العدائي لليهود جعلهم عرضة لحملات متعاقبة منذ ملوك آشور وحتى دخول الاسكندر إلى المنطقة ، وقد استطاع المؤلف أن يعرض هذه النكبات في أسلوب علمي مبسط ومقنع مبيناً من خلال ذلك الصراع الديني بين اليهود وبين السكان الأصليين والمحاولات اليائسة لبناء المعبد كرمز لكيانهم الديني ومن ثم السياسي .

ولم يكن دخول اليونان ثم الرومان بأرحم بهم من الدول العظمى السابقة في المنطقة ، بل شهدنا المحاولات اليهودية للبقاء كقوة لها دورها في المنطقة ، إلّا أن سلوكهم كان عاملاً مساعداً على قلقهم وعدم استقرارهم ، وكانت القدس هي قطب الرحى في الصراع الذي يفتعله اليهود وهم الأقلية ، فكم من مرة هدمت القدس وكم من مرة هدم الهيكل حتى قدر لليهود أن ينتهوا من المنطقة في القرون الأولى للميلاد وينتشروا في المنطقة يحملون بين جوانحهم الحقد والكراهية لهذه الشعوب ، فذهبوا إلى اليمن ونجران فكانوا وراء حدث جليل سجله القرآن الكريم ، إذ كانوا وراء حادث الأخدود الذي ذهب ضحيته آلاف من

النصارى في نجران ، وكانوا وراء الصراع بين البيزنطيين والفرس في اليمن وتمزق اليمن بسببهم ، وعند ظهور الاسلام كانوا الشوكة المؤلمة في جنب الدعوة الاسلامية في المدينة المنورة عاصمة الاسلام الأولى حين أخرجهم النبي ﷺ منها ، ثم أخرجهم عمر بن الخطاب من بقية أنحاء الجزيرة العربية .

ومع ذلك فقد وجدوا في الحواضر الاسلامية منتجعاً سلبيًا يمارسون فيه عقيدتهم كعنصر من عناصر أهل الذمة ولكنهم مع ذلك كانوا يظهرون حقدهم وصهيونيتهم من خلال أدبهم وفكرهم ، ولعل أبرز مثل على ذلك نشاطهم في الأندلس . وقد وفق المؤلف في الفصل السابع في أن يقدم نماذج من هذه الصور القائمة عن فكرهم وتصوراتهم لما يجب أن يكون عليه وضعهم بين الأمم ، لأنهم كما يعتقدون أنهم شعب الله المختار فمن الأندلس ظهر فكرهم الصهيوني ويعتبر شعرهم أوضح مثال على ذلك .

وقد كان ظهور الاسلام فترة مشرقة أصبحت فيها القدس كما كانت مدينة عربية خالصة تحفها روحانية الاسلام الذي أعاد لها هيبتها ورونقها وقدسيتها ، وأصبحت بذلك المدينة التي تفتح ذراعيها لكل متعبد . واستمرت لها نضارتها ونقاؤها حتى أواخر العهد العثماني .

ولكن يهود أوروبا ومنذ عصر نابليون يعدون العدة لانشاء كيان جديد لهم وكانت جمعياتهم وبيعهم مجالاً خصباً لأفكارهم التي ربطوها بجبل في القدس سموه خطأ جبل صهيون وسموا حركتهم بالحركة الصهيونية ، وبمنطقة فلسطين التي أسموها أرض الميعاد لكي تجد صدى في قلب كل يهودي على وجه الأرض ، فبدأوا يدغدغون عواطف اليهود في العالم ويجمعون قطرات حقدهم الأسود ليصبوه على الأبرياء من سكان فلسطين ، وتجمعت الأحداث العالمية في الحربين العالميتين الأولى والثانية لتهيىء لهم أسباب التجمع مستعملين في ذلك كل أسباب المكر والحيل والدهاء ، وساعدتهم أحداث في أوروبا استغلوها لمصلحتهم فتحقق لهم ما أرادوا في غفلة من الزمن كان المسلمون فيه في حالة ضعف بعد أن مزقهم الاستعمار شر ممزق ، وكان لهم ما أملوه فأنشاوا كياناً بنوه على الدماء والفتك والدمار وأعادوا الكرة مرة أخرى ، فهم يعيشون اليوم في أرض تكرههم وبين شعب عربي مسلم يمقتهم لأنهم لم يرعوا فيه إلاّ ولا ذمة ، ولأنه أتاح لهم فرصة الحياة الثرية من المحيط إلى الخليج ولكنهم قابلوا كل ذلك بالاساءة . لعلي لا أكون مغالياً إذا قلت إن التاريخ سيعيد نفسه وسيجد اليهود أنفسهم في مستقبل الأيام في وضع لا يحسدون عليه ، فإن الشقاق الذي نعيش فيه سينقلب بإذن الله إلى وحدة اسلامية شاملة لا يجدون لهم فيها مقاماً .

هذا الكتاب الذي أقدمه يقدم كل هذا الصراع الدامي ممثلاً في القدس الشريف ، وأرجو أن يستمتع القاريء بها استمتعت به لأنه يقدم أفكاره ويعرضها بالبرهان والحجة متقيداً بمصادر عربية وأجنبية بل وعبرية . ولعل في أمثال هذه الدراسة مايوضح لنا الصورة ويكشف لنا الغمة ويجعلنا أنور على فهم خلفية عدونا الذي يحاربنا بدعاوى من الدين والتاريخ ومن لا حجاجة عليه لا حجة له .

د . عبد الرحمن بن محمد الطيب الانصاري
أستاذ آثار الجزيرة العربية وتاريخها قبل الاسلام
جامعة الملك سعود - كلية الآداب

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

# مقدمة

في هذا الكتاب الذي يضعه مؤلفه الدكتور سيد فرج راشد بين أيدي القراء أمور كثيرة ربما حال تواضعه المعروف دون التصريح بها أو لعله تركها ترسب في ذهن قاريء الكتاب شيئاً فشيئاً أثناء مسايرته لتاريخ هذه المدينة عبر العصور . ولما كانت مدينة القدس في مجال السياسة الدولية المعاصرة قد أصبحت ورقة تلعب بها الصهيونية على جميع الأشكال ، فإن هذا العالم العربي الذي تقع فيه المدينة المقدسة موقع القلب من الجسد ، لابد أن يعرف تفاصيل المشوار الطويل الذي قطعته علواً وسفلاً حتى يتبين أن هذه الصهيونية المغتصبة ليست إلا دوراً صغيراً جداً من الأدوار لا يكاد يختلف عن سيطرة الصليبيين على هذه المدينة في العصور الوسطى .

ولو أننا تنازلنا للحظة عن النظر إلى القدس من خلال انتمائنا الديني والقومي والاقليمي ، لتبين لنا أن الانسانية في بداية التاريخ لم تكن تبنى المدن بالصدفة أو تبعاً للهوى ، فكل مدينة قديمة قد بدأت حياتها مدينة مقدسة : طيبة ومنفيس في مصر ، بابل ونينوى في العراق ، شيراز في ايران ، بنارس في الهند ، شنغهاي في الصين ، نارا في اليابان ، لهاسا في التبت ، فضلاً عن أثينا وروما وبعلبك في منطقة البحر الأبيض المتوسط ، ويبدو أن الموقع الجغرافي هو الذي كان يحدد قدسية المكان وجدارته بأن تقوم فيه مدينة « بها معبد » وهيكل للحج ، وكان يشترط في الموقع الجغرافي لمثل هذه المدن أن يكون مما يسهل الدفاع عنه عند العدوان ، وكذلك أن يوجد المكان بجوار مصدر من مصادر الماء كالأنهار والبحيرات والينابيع ، وأخيراً يتحتم ارتباط المكان المقدر لهذه القدسية طرق تجلب اليه المؤمنين من كل فج عميق . والقدس في هذا لا تشبه طيبة أو بنارس بقدر ماتشبه مكة المكرمة ، فالموقع حصين في المدينتين بما يحيط بهما من جبال أما مصدر الماء فإنه الينابيع التي تغذيها الشعاب المنحدرة من تلك الجبال بماء المطر ، وأما الطرق فإنها في الحالتين ليست طرق حج فحسب ، وإنما هي مسالك دولية للسفر والتجارة والانتقال العسكري .

كل هذا أوضحه الأستاذ الباحث في أماكنه من هذا الكتاب ، وإذا كان الله سبحانه وتعالى قد حمى مكة من الاحتلال الأجنبي ودفع عنها غائلة الغزاة ، فإن قدر مدينة القدس لم يكن كذلك لوقوعها في صميم مفترق الطرق بين القارات الثلاث التي تشكل العالم القديم وهي آسيا وأوروبا وافريقيا ، فإذا أوغلنا في أعماق التاريخ وفيما قبل التاريخ وجدنا

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

القدس بأسمائها المختلفة في مكانها شاهداً على مسيرة موكب الزمن ، فهي يبوس وشالم وأورشليم وايليا كابيتولينا ثم إيلياء فقط في العصر المسيحي بعد أن ذالت دولة أصنام الكابيتول ثم بيت المقدس وأخيراً القدس الشريف ، وأكاد استحضر صورة هذه المدينة في الذاكرة بعد السنوات التي عشتها بها وأتذكر هضبة الحرم في وسطها تتوجها قبة الصخرة وأمامها الساحة المكشوفة التي يغطيها بلاط حجري كبير بعضه ينفتح عن آبار مملوءة بالماء العذب الصافي ، وأكاد أرى الجبال التي تحتضنها من الشمال ( المكبر وسكوبوس ) ومن الشرق ( جبل الزيتون الذي يفصله عن ساحة الحرم وادي يهو شافاط ) ثم في الجنوب ( نبع سلوان ووادي الجن والقيامة من ورائها جبال الصحراء الممتدة حتى النقب ) ، بينما يبدأ السهل الساحلي لفلسطين من الجهة الغربية للمدينة حيث يأخذ طريق يافا اتجاهه نحو المدينة الساحلية الكبيرة مخترقاً من حين إلى حين جبالاً أخرى ومرتفعات كأنها أصداء لجبال القدس ، مثل جبال منطقة أبي غوسن وباب الواد وحطين وراملة وغيرها . وأكاد أرى في الحرم الاسلامي مسجد عمر الذي جددّه صلاح الدين الأيوبي بعد ردّ الغزاة الصليبيين عن المدينة . كما أرى كنيسة القيامة بجوار الحرم الاسلامي على مقربة من حائط المبكى اليهودي حيث تشهد الأحجار نفسها أن السلام من صنع الله وأن العدوان من صنع الانسان .

سنقرأ في هذا البحث الدقيق الذي يقدمه لنا المؤلف كيف كانت هذه المدينة متجهة إلى ( الله العلي ) تحت حكم ملك ومرشد ديني في آن واحد من أبناء فلسطين الأصليين ، هو ملكي صادق وترجمة اسمه للعربية « العادل هو ملكي » رغم أنف ما ارتكبه اليهود قديمًا وحديثاً داخل أسوار هذه المدينة من ظلم وجور وتحدي لهذا العادل الذي دان له أول ملك فلسطيني في هذه البقعة عرفه التاريخ وذكره رواة التوراة أنفسهم ، وسنعرف أن سيدنا ابراهيم عندما مرّ بمدينة شالم عائداً من بعض وقائعه الحربية صلى الجماعة مع ملكي صادق لله العلي ، كل هذا قبل أن يُخلَق اليهود بزمن طويل . وسنعرف بعد ذلك أن الله سبحانه وتعالى يزجر العصاة ويدفع ببعضهم ضد البعض الآخر ، ليكون ذلك انتقاماً منه أحياناً من الطرفين المعتدين ، لأنه هو ( العادل الذي عبده ملكي صادق ) فليس عجيباً أن نجد موسى وهارون يقضيان نحبهما دون أن تطأ أقدامهما أرض فلسطين فضلاً عن القدس ، ثم يدور الزمن دورته فيسير داود وسليمان نحو المدينة المقدسة بأمر الله بعد أن كفر أصحابها وعبدوا أصناماً مثل بعل وعشتروت وأشيرا وغيرها ، ثم يكفر اليهود بدورهم بشريعة موسى وأخلاقياته وينسون جهاد داود وحكمة سليمان ، فيرسل هذا العادل عليهم بُختنصّر وتتوالى الحوادث متلاحقة إلى أن تهتز قوانين العدل كلها في العصر الحديث في

أغلب جهات العالم ، وتقوم الدولتان الأعظم ومن قبلهما الامبراطورية البريطانية التي لاتغرب عنها الشمس ، فتحل عبادة المال محل عبادة الله في وقت كان اليهود على مدى قرون الشتات قد استطاعوا أن يمسكوا بأزمة المال ، بحيث راحت هذه الأمم العظيمة تجثوا على الركبتين أمام أثرياء اليهود من أمثال روتشيلد وهيرش ومونتوفيوري وغيرهم ، ولمح المغامرون من اليهود هذه الظاهرة منذ أواسط القرن التاسع عشر فاندفعوا يستغلونها وجمعهم بالأمم الغربية عداء دفين للاسلام منذ جولات الحروب الصليبية ورغبة ملحة في تدمير آخر خلافة اسلامية وهي الخلافة العثمانية ، وكان لابد من شعار ، وهكذا رفعت اليهودية الانتهازية شعار صهيون قلعة داود القديمة التي لم يعد لها وجود ، بل لم يعد للجبل نفسه وجود بعد أن ردم الجرف الفاصل بينه وبين غرب هضبة بيت المقدس ، فسُوّي بالأرض وعاد ( جبل صهيون ) اسمًا على غير مسمى ، لكن قامت الصهيونية مُسماً على غير اسم ولوّحت بشعار أوشليم ـ القدس ، ونبشت في صميم الحضارة العربية عن شعراء وأدباء في الأندلس كانوا يحنون إلى أداء الحج في هذه البقعة كما يحن المسلم إلى الحرمين ، فتأوّلوا ذلك على عادتهم وادعوا أن الصهيونية تجري في ثنايا العقل الباطن اليهودي ليس منذ الأندلس الاسلامية فحسب ، بل قبل أن يخلق الله آدم وحواء بل قبل أن يخلق الكرة الأرضية نفسها ، فزعم التلمود أن الله ـ تعالى عن ذلك علواً كبيراً ـ قد نزع فصاً من الزمرد من عرشه وطوّح به في الفضاء فكانت منه القدس ، ثم إن هذه الزمردة راحت تتحرك وتدور فخلقت الأرض من حولها فكل ما اقترب من القدس فهو مبارك على قدر قربه منها ، وكل ما ابتعد عنها فقد ابتعدت عنه البركة . ولا أدري ماذا يقول في ذلك سكان طوكيو أو سان فرانسسكو أو سيدني أو بونس ايرس ، لكن الخرافات اليهودية لا تعرف حدوداً تقف عندها ولها تكتيك في غزو العقل البشري يتغير ويتطور بحسب قابلية هذا العقل ، وكم شكا علماء المسلمين الأول من تسرب الخرافات الاسرائيلية إلى الدين الاسلامي ، أما المسيحية فيكفي أن نروي منها ما جاء في رسالة من رسائل القديس بولس في العهد القديم حيث يحذر تلميذاً من تلاميذه ( من خرافات اليهود ) ويأمره أن يتجنبها في مواعظه وفي تبشيره للكفار بديانة المسيح .

إن تاريخ هذه المدينة هو تاريخ حضارة تخطو من الطفولة إلى الشباب والنضج ثم الكهولة والشيخوخة جامعة في ذلك بين الحرب والسياسة والأدب والدين والبطولة والصمود على النحو الذي حرص على أن يرصده لنا الدكتور سيد فرج في هذه الصفحات العلمية الممتعة .

**بقلم الأستاذ الدكتور / حسن ظاظا**
**أستاذ العلوم اللغوية**



Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بسم الله الرحمن الرحيم

# فاتحة المؤلّف

لم يستطع بنو اسرائيل أن يتخلصوا من دائهم القديم ، وهو التعصب العنصري الذي لم يكتف بالقول بامتياز قومهم على غيرهم من الأمم بالايمان بالله وتوحيده ، بل قلبوا هذا إلى أحقاد يغذونها باستمرار ضد الأمم الأخرى مدعين أنهم يتربعون على القمة في ترتيب شعوب الأرض ، وأن هذه المكانة كانت بتدبير ألهي ، ومن هنا سمّوا أنفسهم « شعب الله المختار » ، وكان ذلك منطلقاً لتفرقة عنصرية رهيبة حتى أمام القانون ، فمن ليس من بني اسرائيل لاتحميه الشريعة الاسرائيلية ولاتجازي المعتدي عليه من اليهود ، كما أنهم وصلوا في ذلك إلى أن اليهودي بالنسب والعرق يظل هكذا حتى لو ألحد أو ارتد ، بينما المتهود يظل مفصولاً عن الشعب المختار مهما بلغ به الايمان وامتثال الشريعة . وهذا وحده دليل على ماكان من انحرافهم عن تعاليم موسى الذي أرسل بتكليف إلهي ، لكي يهدم عبادة الأصنام وعبادة الانسان للانسان ولكي يجعل العدل أساساً للتعامل بين الناس كافة ولهذا ثار على فرعون .

وعلى ذلك فهذه الشريعة الموسوية الاصلاحية التي ثارت على التمييز الطبقي والعنصري ، لايمكن أن تكون هي عصب العنصرية كما يتصورها اليهود فيما نسبوه إلى موسى ، ولأن الحكمة الالهية أرادت أن يفهم هؤلاء الناس أن عرض الدنيا ليس هو المقصود عند اتخاذ الطريق إلى الله ، فإنه أمات موسى وهارون بعيداً عن أرض فلسطين ، والكيانات السياسية المتعاقبة التي قامت في تلك الأرض من بعده لم تكن إلّا حركات سياسية ضحّوا فيها بكل شيء حتى بالايمان وبالشريعة .

ومن هنا كان بقاؤهم السياسي في تلك الأرض مهتزاً دائمًا وعرضة للتدمير ، شهد بذلك أنبياؤهم وهم يخطبون فيهم داخل فلسطين ، فنبيهم إشعيا يُذكرهم بأن تصدع كيانهم في تلك الأرض وتسلّط من لايرحمهم ولايخاف الله فيهم ، إنما هو جزاء عادل لما ارتكبوه من موبقات وآثام ، وكان بهذا يبشر بزوال الكيان الشمالي لبني اسرائيل من فلسطين والذي يسميه المؤرخون « مملكة اسرائيل » أو « مملكة السامرة » ، كما كرر نفس الخواطر نبيهم إرميا بجانب جدران المعبد في القدس ، وهو يأمرهم بالاستسلام لنبوخذ نصر « بختنصر » الكلداني لأنه جزاء عادل من الله حل بهم ، وأنهم إذا رفضوا عقوبة الله فإنها ستتضاعف وسيكثر فيهم القتل والتشريد والتدمير فعصوا نبيهم وأرسلوا وراءه من يقتله

بعد وقوع الكارثة .

كل هذا يكاد يمر عليه كثير من المؤرخين ببرود الباحث السطحي ، فيكتفون بالاشارة إلى أن هذا الوجود السياسي الاسرائيلي القديم قد ذهب مع الريح شمالاً في القرن السابع قبل الميلاد ( ٧٢٢ ق . م على يد الامبراطور الأشوري سرجون الثاني ) ، وجنوباً بعد ذلك بقرن ونصف من الزمان ( ٥٨٧ ق . م على يد الامبراطور الكلداني بختنصر ) ، دون الاشارة إلى أن الذي يقيم حكماً دينياً بأمر الله تسقط شرعيته في هذا الحكم بمجرد عصيانه لأمر الله . واليهود عصوا كل أوامر الله بشهادة كتبهم منذ موسى وإلى السبي البابلي ، ثم حروبهم مع اليونان وأخيراً التشريد الروماني المسمى بالشتات والذي استمر مايقرب من ألفي عام ، إلى أن سمحت لهم المساومات السياسية البحتة واللا أخلاقية في معظم مظاهرها بتقوية هذه الصهيونية المعاصرة في أعقاب الحرب العالمية الأولى ، وبإقامة دولة اسرائيل المزعومة في أعقاب الحرب العالمية الثانية ، حيث صب زعماء الصهيونية حركتهم في إطار ديني حشري يتم تحقيقه بالجهود السياسية .

ومؤدى هذا كله أن الكثرة الغالبة من الباحثين في تاريخ اليهود ، يرون أنهم الأمة الوحيدة تقريباً التي لم تستقر حضارتها على قوائم انسانية ثابتة ، بل كتبت تاريخها بنفسها أو ـ إن شئت مزيداً من دقة التعبير ـ قل كتبته حسب هواها ، ثم زعمت أن ذلك التاريخ صادر من الله بطريق الوحي ، ولكنهم نقلوا عن المأثورات الشعبية لأرض الرافدين والكنعانيين وبعض الأمم الأخرى التي عرفوها وشريعة حمورابي شاهد على صدق هذا الذي نقول .

وحقيقة الأمر أن الاسرائيليين عندما تسللوا إلى فلسطين بعد الخروج من مصر بقيادة موسى عليه السلام ـ والذي توفي على جبل « نبو » بالقرب من الضفة الشرقية لنهر الأردن يرى أرض الميعاد من فوق الجبل بعيدة ولا يستطيع أن يطأها بقدميه ـ ثم تولى يوشع ابن نون قيادتهم من بعده ؛ وجدوا اليبوسيين ( الفلسطينيين ) والأدوميين والموآبيين والعمونيين والكنعانيين وغيرهم وهؤلاء جميعهم عرب ، أي أن العرق السامي عربي في أصوله الجغرافية ، ثم غدت مسيحية في عهد الرومان البيزنطيين ولكنها ظلت سامية من حيث العرق والسلالة البشرية ، ثم أصبحت اسلامية من حيث الدين وظلت عربية سامية من حيث التكوين والسلالة .

وارتكازاً على ذلك نجد أن زعم اليهود وتحريفهم للتاريخ بأنه كانت لهم دولة في فلسطين فترة من الزمن ـ ازدهرت في عهد داود وسليمان ـ زعم باطل يقوم على قراءة غير واعية وغير أمينة للتاريخ ، فالصهيونية تقيم وزناً لسبعين عاماً هي فترة حكم داود وسليمان

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

في القدس ، وهي فترة متأخرة وغير مُجْمَعٍ عليها من كل طوائف اليهود ، واعتبرت القاعدة الحربية والسياسية للمملكة الجديدة التي ليست لها علاقة سياسية بموسى ، والعلاقة كلها علاقة دينية فقط بتكليف آلهي ، لتحقيق الايمان به في وجه وثنيات كثيرة كانت قائمة في المنطقة ، وبالتالي ينتهي الأمر الآلهي بنهاية حياة داود وسليمان بحيث تكون الأمة مسؤولة عن عقيدتها أمام الله وليس عن وقائعها الحربية أمام رحبعام بن سليمان أو أمام يربعام بن نباط ولا عن عدوانها المتكرر على جيرانها الآمنين .

وهذه المسؤولية أمام الله هي التي انحرف عنها اليهود حتى اكتشفها أحد أحفاد سليمان ( يوشياهو في عام ٦٢٢ ق . م ) ، ومن مظاهرها في معبدهم في القدس :

١ ـ أنهم أضاعوا الشريعة الموسوية ولم يعد هناك من يقبل على دراستها أو قراءتها .

٢ ـ أنهم وضعوا الأصنام الوثنية في داخل المعبد وسمحوا لكهنتها بممارسة الكفر لقاء ثمن قليل .

٣ ـ أنهم سمحوا للنساء احتراف الدعارة في داخل الهيكل .

٤ ـ أن كهنتهم كانوا يسرقون الأموال من صندوق النذور الذي كان وقفاً على الهيكل .

واستناداً إلى هذه الانحرافات ، قام الملك يوشياهو بعملية تطهير أحرق فيها كل ماينافي الأخـلاق وعقيدة التوحيد ، ونثر رماده على قبور آبائه تعبيراً منه عن تحميل أولئك الملوك السابقين ، مسئولية هذا الفساد كاملة ، كل هذا موجود بتفاصيله في العهد القديم الذي تقرأه الصهيونية الآن وفي سفر الملوك الثاني بالتحديد .

فنحن إذن أمام دعوة دينية يبدأ تاريخها من قرب نهاية حكم داود وحتى نهاية حكم ابنه سليمان ، الذي بوفاته نشأت المعارضة بجانب القدس في إقليم السامرة وكانت لا تُقِر بأي قدسية للقدس ، ومع ذلك في السنوات القليلة التي بقوا فيها هناك تركوا بعض قبور ملوك يهوذا وحائط المبكى .

وأمام هذه الظاهرة نجد أن مدينة القدس منذ ما قبل التاريخ ، وهي آهلة بالسكان ومعرفة الله فيها بالوثائق ـ ومنها التوراة اليهودية نفسها ـ ترجع على الأقل إلى عهد ابراهيم وملكي صادق الـذي كان يصلي لله العلي قبل موسى بحوالي خمسمائة عام ، كما نجد أن اليهـود قد اعتـبروا فترة داود وسليمان رمزاً لمجد طائل ، في حين أهدروا ثلاثة آلاف عام عاشها العرب على أرض فلسطين .

وارتكـازاً على ما قدمت ؛ فهدفي من هذا البحث هو تجميع وتركيز كل ما يمكن من معلومات عن مدينة القدس العربية ثم الاسلامية وتفنيد مزاعم اليهود الباطلة تجاه المدينة المقدسة تلك المدينة التاريخية التي تعتبر من أقدس المدن الاسلامية بعد مدينتي مكة المكرمة

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

والمدينة المنورة ، يقدسها المسلمون على اختلاف مذاهبهم وطوائفهم . وقد خصّها الله بعقيدة التوحيد للاله الواحد لأول مرة في تاريخ البشرية ، كما خصّها بعدد كبير من الأنبياء « وما فيها موضع شبر إلّا وقد صلى فيه نبي أو قام فيه ملك »[1] . وقد شرفها الله باسراء رسوله المصطفى ﷺ ، فجاء في كتابه العزيز « سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير »[2] .

وهكذا كان الاسلام هو المرحلة الأخيرة من طريق طويل من النبوات إلى معرفة الله وبصمات الاسلام في القدس كثيرة ، فالدين الاسلامي هو الدين الذي جعل الحج ركناً من أركانه ، ويهود العصور الوسطى عاشوا في كنف المسلمين ورأوا احتفال المسلمين بموسم الحج حيث اندلعت الحروب الصليبية في هذا الوقت ، فرأوا استماتة المسلمين في القدس ، فأيقظ هذا عندهم الاهتمام بالمدينة المقدسة ، ولقد كان الشتات اليهودي في العصر المسيحي السابق على الاسلام شتات خوف من الاقتراب من القدس ، لأن الرومان كانوا يسيطرون عليها ، فلما دخلت ضمن ممتلكات المسلمين أصبح حج اليهود اليها ميسوراً خاصة وأنهم كانوا متمركزين في المغرب والأندلس .

يضاف إلى ذلك أن الأدب العربي الذي ظهر في هذا العصر اتجه نحو مكة والمدينة ، فكان مقابله عند اليهود المغرمين بتقليد المسلمين هو الاتجاه نحو القدس .

وهكذا أسدل الستار على مسلسل الحقوق التاريخية المزيفة لليهود ، والتي تقوم على الدعوة الخاصة بالروابط التي تربط بين اليهود وفلسطين على أساس الوعد الالهي لبني اسرائيل في أرض كنعان ، فالصهيونية السياسية تقرأ التوراة بروح متعصبة ونزعة قومية عنصرية ، لتستخرج من نصوص التوراة ماتبرر به ادعاءاتها في إقامة الدولة الصهيونية على أرض فلسطين العربية . وحتى نُفنّد هذه الأكاذيب وجب علينا أن نتناول القدس كبقعة مقدسة قبل الوجود اليهودي في فلسطين من أول ملكى صادق ـ قبل داود بحوالي ألف سنة ـ وحتى العصور الوسطى وما تخللها من وجود طاريء لليهود في فترة حكم داود وسليمان كما أسلفنا .

ونرى من الواجب علينا في مستهل هذه الدراسة أن نشير إلى أن استيلاء اليهود القدماء على القدس من الفلسطينيين وتحويلها إلى قاعدة دينية لهم ، كان مقترناً بعصبية عنصرية ودينية عملت على ألا يبقى في هذه المدينة إلا اليهود فقط ، وهي نفس السياسة التي اتبعتها

---

(١) معجم البلدان لياقوت ١ : ١٢ .

(٢) سورة الاسراء (١) .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الصهيونية في المدينة المقدسة في العصر الحديث . وعندما أصبحت القدس مسيحية قضت البطارقة والباباويات المختلفة على ألا يكون هناك أثر ديني يهودي ظاهر للعيان ، بينما افتتح الامبراطور قسطنطين عصر تنصير القدس بملئها بالكنائس والأديرة .

أما الاسلام فعلى خلاف ذلك اعتبرها بالنسبة للشريعة الاسلامية القبلة الأولى وجعلها حرماً مساوياً للحرمين الشريفين في الحجاز ، ولكنه مع ذلك وعلى مدى أربعة عشر قرناً من الزمان لم يمنع المسيحيين ولا اليهود من أن يتلمسوا في هذه المدينة المقدسة طريقهم إلى الله .

وإذا كان لي أن أقول شيئاً فإنما هو تقديم الشكر الخالص إلى سعادة الدكتور مدير مركز البحوث بكلية الآداب بجامعة الملك سعود ومجلس ادارته على مساعدتهم الفعالة في تمويل النسخ والتصوير لبحثي هذا تمهيداً لنشره ، وهي مكرمة تذكر لهذا المجلس الموقر .

كما لايسعني في هذا المقام إلاّ أن أقدم شكري الخالص وتقديري العميق إلى أستاذي الدكتور حسن ظاظا على ماقدمه لي من النصح المخلص في مراحل البحث المبكرة وأثناء كتابته ، وقد أخذت بملاحظاته الصائبة عند اعدادي هذا البحث .

كما يقتضيني واجب العرفان أن أتقدم بالشكر والتقدير إلى الأستاذ الدكتور عبد الرحمن الأنصاري رئيس قسم الآثار والمتاحف على ماقدمه لي من عون وتشجيع طوال فترة كتابتي لهذا البحث ، ثم ما تفضل به من النظر فيه جملة وتفصيلاً بغاية الدقة والعناية بعد الفراغ منه .

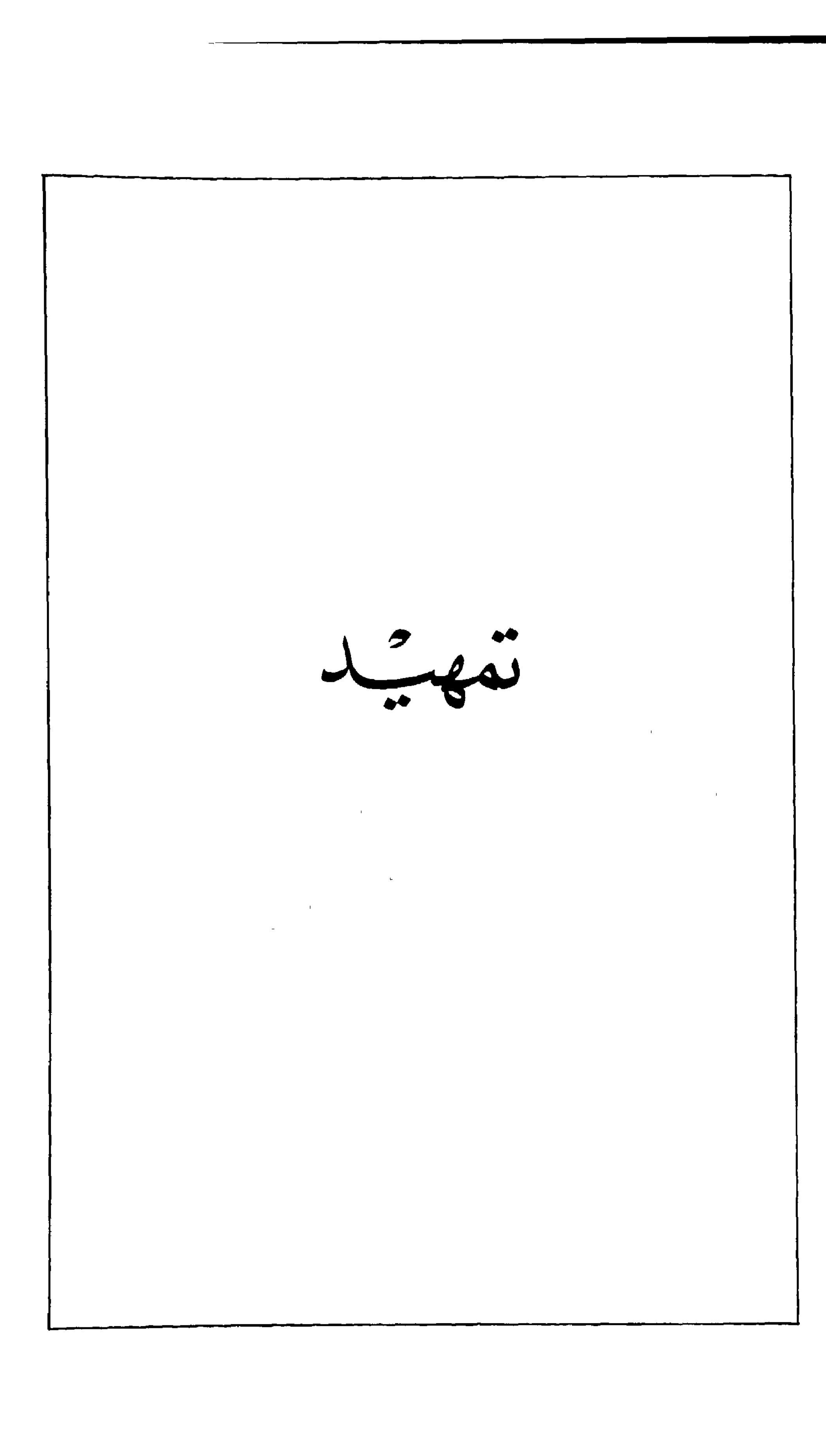
وللاخوة الزملاء من الأساتذة والفنيين من قسم الآثار والمتاحف كلمة اعزاز وتقدير ، لما أسهموا به من جهود مختلفة في سبيل إنجاز هذه الدراسة بهيئتها التي يجدها القارىء الآن بين يديه .

والله الموفق

الرياض - في العاشر من ربيع الأول ١٤٠٥ هـ د . سيد فرج راشد

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)



# تمهيد

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

# تمهيد

## أولاً : أسماء المدينة في مختلف أدوارها

ذكرت أول اشارة إلى مدينة القدس في النصوص المصرية السائدة منذ القرنين التاسع عشر والثامن عشر قبل الميلاد ، وكان اسمها على الأرجح ينطلق « روشاليمم » Rushallmum ووردت بعد ذلك في رسائل تل العمارنة ( القرن ١٤ ق.م ) باسم « أوروسالم » كما جاء في رسالة وجهها « عبد يخيبا » حاكمها من قبل فرعون مصر أمينوفيس الثالث (١٤١١ ـ ١٣٧٥ ق.م ) ، يطلب فيها العون العسكري لصد هجمات أهل البادية « الحبيرو » .

وقد سميت « يبوس » نسبة إلى اليبوسيين ، وهم فرع من الكنعانيين سكنوا القدس وما حولها[1] ، وكانوا قد نزحوا اليها من قلب الجزيرة العربية حوالي ٣٠٠٠ ق . م .

وكان المصريون يطلقون عليها اسمها اليبوسى « يابيتي » و« يابتي » وأحياناً يستخدمون اسمها الكنعاني « أوروسالم » ، ومن المحتمل أن صيغة هذه الكلمة آرامية تتركب من مقطعين : المقطع الأول « أور » بمعنى موضع أو مدينة ، والثاني « سالم » بمعنى السلام وهو غالباً اسم اله وثني لسكان فلسطين الأصليين وهو إله سلامة القوافل ، وعلى ذلك فكلمة « أوروسالم » تعني مدينة السلامة . وظل اسم « يبوس » علماً على المدينة ( قضاة ١٩ : ١٠ ) حتى استولى عليها داود ، وصار بعد ذلك اسمها « مدينة داود » ( ١ أخ ١١ : ٧ ، ٢ صم ٥ : ٩ ) .

وقد وجد اليهود بعد ذلك صعوبة في كتابة اسمها « أوروسالم » باللغة العبرية فوردت في أسفار العهد القديم[2] ست مرات تحت اسم « يروشاليم » ولكنها وردت بدون ياء

---

(١) يشوع ١٥ : ٨ ، ٦٣ ـ قضاة ١ : ٢١ ، ١٩ : ١٠ .
ويبدو أن اسم يبوس الذي سميّ اليبوسيون باسمه هو أحد أولاد كنعان ( راجع سفر التكوين ١٠ : ١٥ ) .

(٢) هو الكتاب المقدس لليهود ويشتمل على تاريخهم القومي والديني الذي جُمع خلال فترة طويلة ( حوالي ١٠٠٠ سنة ) ، وكان غرضهم من تصنيفه دينياً أكثر منه أدبياً . والعهد القديم في صورته التي وصل إلينا بها يحتوي على ثلاثة أقسام رئيسية هي « التوراة » و« أسفار الأنبياء » « وكتب الحكمة » . Ency Judalca · Vol . 9 . Jerusalem .

٦٥٦ مرة في هذه الأسفار أيضاً[1] .

ثم نجد اسم القدس وارداً في نقوش الامبراطور الآشوري سنحاريب ( حوالي ٧٠٠ ق . م ) تحت اسم « أوروسليمــو » . وفي عهــد الاسكنــدر الأكــبر سماهــا اليــونـان « هيروســوليما » ثم صار اسمهــا « ايليا كابيتــولينــا »[2] في عصر الامــبراطــور الــروماني « ايليوس هدريان » بعــد أن قضى على الكيان الديني لليهود ، وفي أعقاب ذلك أصدر مرسوماً يتضمن أمراً بقتل كل من يدخل القدس من اليهود ، وظلت تعرف بهذا الاسم « ايليا » حتى أوائل الفتح الاسلامي ، وسميت كذلك في العهدة العمرية .

أما اسم « القدس » فقد عرفت به المدينة منذ بداية تاريخها عندما أقيمت فيها أماكن مقــدســة للعبــادة . ومن الجـلي أن المـؤرخ اليوناني «هيرودوت» (٤٨٤ ـ ٤٢٥ ق . م) لم يذكـر اسم أورشليم ولكنــه ذكـر كلمــة « قديتس » مرتين ، وقد حاول بعض الباحثين الوصول إلى تفسير العلاقة بين القدس وكلمة « قديتس » ، فجاء التفسير لافتاً للنظر ، فإسم القدس محرف من اليونانية عن النطق الآرامي « قديشتا » ومما يثير في النفس ريبة أن اليهود أطلقوا عليها أحياناً اسم « مدينة القدس » ( اشعيا ٤٨ : ٢ ، نحميا ١١ : ١ ) .

أما « بيت المقدس » فقد أطلق على المدينة بدءاً من العصر الاسلامي ، ومن أسمائها « الزيتون » وفي ذلك نزلت الآية الكريمة « والتين والزيتون ، وطور سنين ، وهذا البلد الأمــين » . قال ابن عساكـر عن ابن عبـاس « إن التـين بلاد الشـام والـزيتـون في بلاد المقدس ، وطور سنين هو الجبل الذي كلم الله موسى عليه ، وهذا البلد الأمين هو مكة المكرمة » .

ومؤدى هذا كله أن مدينــة القــدس كانت تحمل اسم أورشليم وهي الصيغة العربية لاسم أوروسالم الآرامي ، قبل غزو الاسرائيليين لها ، وهذا يظهر بوضوح في رسائل تل العمارنة ، كما كانت تحتل مكانة بارزة في التاريخ قبل الوجود اليهودي فيها .

## ثانياً : جغرافية القدس

تتمتع مدينة القدس بموقع استراتيجي متميز ، فهي تقع على خط عرض ٣١° ١٣ / ٤٥" شمال خط الاستواء ، وعلى خط طول ٣٥° ١٣ / ٢٥" شرق جرينتش ، على هضبة

---

(١) راجع A Hebrew and English Lexicon of O . T , P . 436 حيث يذكر أن « يروشاليم » وردت بالياء خمس مرات على النحو التالي :

استير ٢ : ٦ ، ارميا ٢٦ : ١٨ ، أخبار الأيام الأولى ٣ : ٥ ، ٣٢ : ٩ أخبار الأيام الثاني ١:٢٥

(٢) « ايليا » هو الاسم الأول للامبراطور الروماني هدريان والكابيتول هو اسم معبد جُبتر الكبير .

غير مستوية يتراوح ارتفاعها بين ٢١٣٠ ـ ٢٤٦٩ قدماً .

ومتوسط ارتفاع المدينة فوق سطح البحر الأبيض المتوسط من اتجاه الغرب ٢٥٠٠ قدم ، ٣٨٠٠ قدم من سطح البحر الميت من اتجاه الشرق . وهي تبعد ٣٢ ميلاً عن البحر الأبيض المتوسط غرباً ، وحوالي ١٨ ميلاً عن البحر الميت شرقاً و١٩ ميلاً عن الخليل ( حبرون ) جنوباً و٣٠ ميلاً عن السامرة شمالاً ، وتتميز المدينة بطقسها القاري الصحراوي .

وقد اعتبرت المدينة منذ القدم موقعاً استراتيجياً قوياً وهاماً ، بسبب مناعتها الطبيعية حيث أنها محمية من الغزو ، فهي تقع على هضبة مرتفعة يحيط بها من جميع أطرافها أودية عميقة ، وادي « قدرون » في الشرق ووادي « هنّم » في الغرب ويلتقي الواديان عند الطرف الجنوبي تاركين الجهة الشمالية فقط بغير حماية طبيعية .

## وادي قدرون ( الوادي الشرقي )

يبدأ هذا الوادي من الشمال الغربي للمدينة على بعد ميل ونصف ، ثم يسير أولاً نحو الشرق حتى يصل إلى الزاوية الشمالية الشرقية لسور المدينة ، ثم ينحرف بميل حاد نحو الجنوب ـ وهو يفصل بين سور المدينة الشرقي وبين جبل الزيتون وجبل بطن الهوا ـ حتى يلتقي بوادي هنّم المنحدر من جهة الغرب ، ويبلغ طول وادي قدرون نحو كيلو مترين وهو عميق سريع الانحدار . وقدرون هو اسم جدول الماء الذي يجرى في قاعة عندما يسقط المطر ، كما أنه اشتهر كذلك باسم « يهوشافاط » وثمة اعتقاد لدى كثير من الطوائف المسيحية واليهودية أن الحشر يوم القيامة سيصبح في هذا الوادي[1] . وقد ورد ذكر وادي قدرون في أخبار الملك داود حيث عبره لما هرب من وجه ابنه ابشالوم ، وكذلك مرّ به السيد المسيح[2] .

## وادي سلوان ( الوادي الغربي )

وهو اسم النبع الموجود في هذا الوادي ، وكذلك عرف باسم وادي « هنّم » أو وادي « بني هنّم » ، وهنّم اسم قبيلة كان يسمى بها الوادي قبل الوجود العبري هناك . وقد عرفت كلمة الوادي في بعض اللغات السامية القديمة باسم « جي » ، فكان يقال

(١) د . حسن ظاظا : اسرائيل ركيزة للاستعمار بين المسلمين ص ٨٦ .
سفر يوئيل ٣ : ٢ : ١٢ .

(٢) ٢ سم ١٥ : ٢٣ ، العهد الجديد يوحنا ١٨ : ١ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)



« جِهَينّم » أي وادي هنمٍّ(١) هذا ويمتد وادي هنّم حتى يتصل بالطرف الشرقي من جبل صهيون .

## وادي الجبانة أو التيروبيون

يمتـد من الشمال الغربي إلى الجنوب الشرقي حتى يتصل بوادي سلوان الذي يتصل بدوره بوادي قدرون شرقـاً ، وبـذلـك يقسم أرض مدينـة القـدس قسمين مكونين من هضبتـين مستطيلتين ، الهضبة الغربية يحدها وادي هنوم من الغرب ، والهضبة الشرقية يحدهـا وادي قدرون من الشرق ، ويسمى وادي الجبـانـة في الجـزء الجنوبي الغربي من القدس وادي « الزبالة » أو وادي « الدمن » أو وادي « القمامات » ، وقد ردم جزء منه في أعمال توسيع لجبل صهيون وللحرم المقدس الواقع عل جبل الموريا الذي هو هضبة الحرم الشريف .

## وادي الأرواح ( يوشع ١٥ : ٨ )

واشتهـر أيضـاً باسم وادي العفـاريت ويلتف حول جبل صهيون من الغرب وحتى أقصى الجنوب وتوجد به مدافن الموتى .

### وأهم جبال القدس

١ ـ جبل الزيتون :

ويسميه العـرب « جبـل الـطور » ، وتقـع أسـوار الحرم في مواجهة الجبل من الجهة الشرقية ، ويفصله عنها وادي قدرون . واشتهر عند اليهود باسم « جبل المسح » أي جبل التتويج ، لأنهم كانوا يستخلصون من زيتونه الزيت المقدس المستخدم في تتويج ملوكهم .

٢ ـ جبل بطن الهوا :

ويعتبر امتداداً لجبل الزيتون من الجنوب الشرقي للقدس ويفصله عنها وادي سلوان المتصل بوادي قدرون من نفس النقطة والاتجاه ، واشتهر عند اليهود بالجبل الفاضح ، ويزعمون أن المعابد الوثنية لنساء سليمان الأجنبيات قد أقيمت عليه وذلك حسب ماورد في سفر الملوك الأول ١١ : ١ ـ ٨ .

---

(١) وكانت قبيلة هنمّ تقدم ضحاياها من البشر ( القبيلة كانت ذات وثنية متطرفة ) إلى الهها « مولك » بعد ذبحها والقائها في النار ولذلك يقال اسم « جهنّم على مكان العذاب في الآخرة ( ٢ ملك ٢٣ : ١٠ ) راجع ظاظا : اسرائيل ركيزة للاستعمار ـ ص ٨٦ ـ ٨٧ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)



٣ ـ جبل صهيون :

ويقع في الزاوية الجنوبية الغربية للقدس وكانت عليه قلعة اليبوسيين التي سميت باسم « مدينة داود » ، وذلك بعد استيلائه عليها حيث أقام قاعدة عسكرية لحكمه هناك . وكان جبل « أكرا » ـ الأقل ارتفاعاً ـ يمتد على شكل هلال منحنياً إلى الشمال الشرقي لصهيون ليفصل بين جبل صهيون وهضبة القدس .

٤ ـ جبل بيت المقدس :

وقد اشتهر باسم « هضبة الحرم » حيث المسجد الأقصى ، ولكنه عرف عند اليهود باسم جبل « الموريا » ( تك ٢٢ : ٢ ) .

٥ ـ جبل رأس المشارف ( أو سكوبوس ) :

ويعرف عند اليهود باسم جبل المراقبين وهو امتداد طبيعي لجبل الزيتون من الشمال الشرقي وحتى الشمال ويفصل بينهما منخفض يسمى « عقبة الصوان » .

وعلى هذا الشكل تقوم مدينة القدس على مرتفعين اثنين هما : هضبة الحرم وفي مواجهتها في الجنوب الشرقي « جبل صهيون » ويفصل بينهما وادي الجبانة .

يختلف المؤرخون في أمر بناء المدن ، ولذلك نجد أن موقع المدينة لا يتم اختياره بمحض الصدفة ، بل يكون على عدة أسس : أهمها وجود موارد كافية للمياه ، كما أن موقعها ينبغي أن يكون حصيناً بحيث يضمن حمايتها ضد أية قوى معادية ، وينبغي أن يكون الموقع ذا استراتيجية خاصة تسهّل للمدينة الحركة والتجارة مع جيرانها ، ولذلك كان من الضروري أن نتعرف على الطرق الرئيسية والفرعية التي تربط القدس بالمدن الهامة في فلسطين . وإذا رجعنا إلى المدن القديمة نجد أنها فرضت نفسها على جغرافية المنطقة ، وإن كانت قد حدثت بعض التغييرات الطفيفة ، إلا أن هذا لم يؤثر على اتجاهات الطرق الرئيسية .

## الطرق الرئيسية التي تربط مدن فلسطين

**أولاً/** الطريق الساحلي : كان يبدأ من مصر ويمتد على ساحل البحر الأبيض ويستمر حتى صور وصيدا ماراً بخان يونس وغزة ويافا وعكا .

**ثانياً/** **الطريق الأوسط** : كان يمتد من بئر سبع حتى القدس والتي كانت محطة مواصلات دولية في الشرق القديم ، بمعنى أن الطرق كانت تؤدي اليها والتي تخرج منها كثيرة أهمها :

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)



أ/ طريق القدس ـ يافا : وهو طريق وعر يمر بمناطق جبلية حتى يصل السهل الساحلي ، ويبلغ طوله حوالي سبعة وستين كيلومتراً ، ويبدأ هذا الطريق من غرب القدس ـ من الباب الغربي للقدس والمسمى باب يافا ـ ويستمر على هضبة القدس نفسها ثم يعبر دير ياسين وأبو غوسن ثم الرملة ، ويبدأ الطريق في الانحدار من أبو غوسن إلى الرملة ، ويطلق على الطريق من جهة الرملة حتى السهل الساحلي اسم باب الوادي .

ب/ طريق القدس ـ حيفا : يمر برام الله ونابلس ( شكيم ) وجنين ثم حيفا .

جـ/ طريق القدس ـ الجليل ( أو طبرية ) : يمر برام الله وقلقيلية وطول كرم ونابلس ( شكيم ) والسامرة ( سبسطية ) والعفولة ثم الجليل .

ثالثاً/ بقية الطرق الرئيسية في فلسطين :

أ/ طريق السامرة ـ شرق الأردن : ويمر جنوب بحيرة طبرية متجهاً إلى مدينة اربد شمال الأردن ، ثم يستمر في اتجاه دمشق وحلب .

ب/ طريق السامرة ـ صور الساحلي : كانت السامرة ترتبط بالطريق الساحلي ـ الذي يبدأ من مصر حتى صور ـ عند ميناء حيفا ، وعلى هذا فطريق السامرة ـ صور الساحلي يمر بالكرمل وحيفا وعكا ثم صور .

جـ/ طريق السامرة ـ الجلجال : وهو طريق مباشر يمر بجنين والعفولة ثم الناصرة .

د/ طريق السامرة ـ شكيم : يمر بالجلجال وجنين ثم العفولة .

طريق السامرة ـ الأردن : يمر بمخاضة اليبوق[١] ( على الضفة الغربية للأردن ) .

## ثالثاً / المقدسات الاسلامية في القدس

ليس بغريب أن يفكر المسلمون في فتح « بيت المقدس » ، وهو البيت الذي ورد ذكره في القرآن الكريم وعلى لسان النبي ﷺ وفي أحاديث الصحابة .

إن ثمة حديثاً قدسياً عن سيدنا رسول الله ﷺ يوضح للمسلمين مكانة القدس عند الله تعالى بقوله ( أنت جنتي وقدسي ، وصفوتي من بلادي ، ومن سكنك فبرحمة مني ، ومن خرج منك فبسخط مني عليه ) .

---

(١) D. Baly : Geographical companion to the Bible , P. 152.

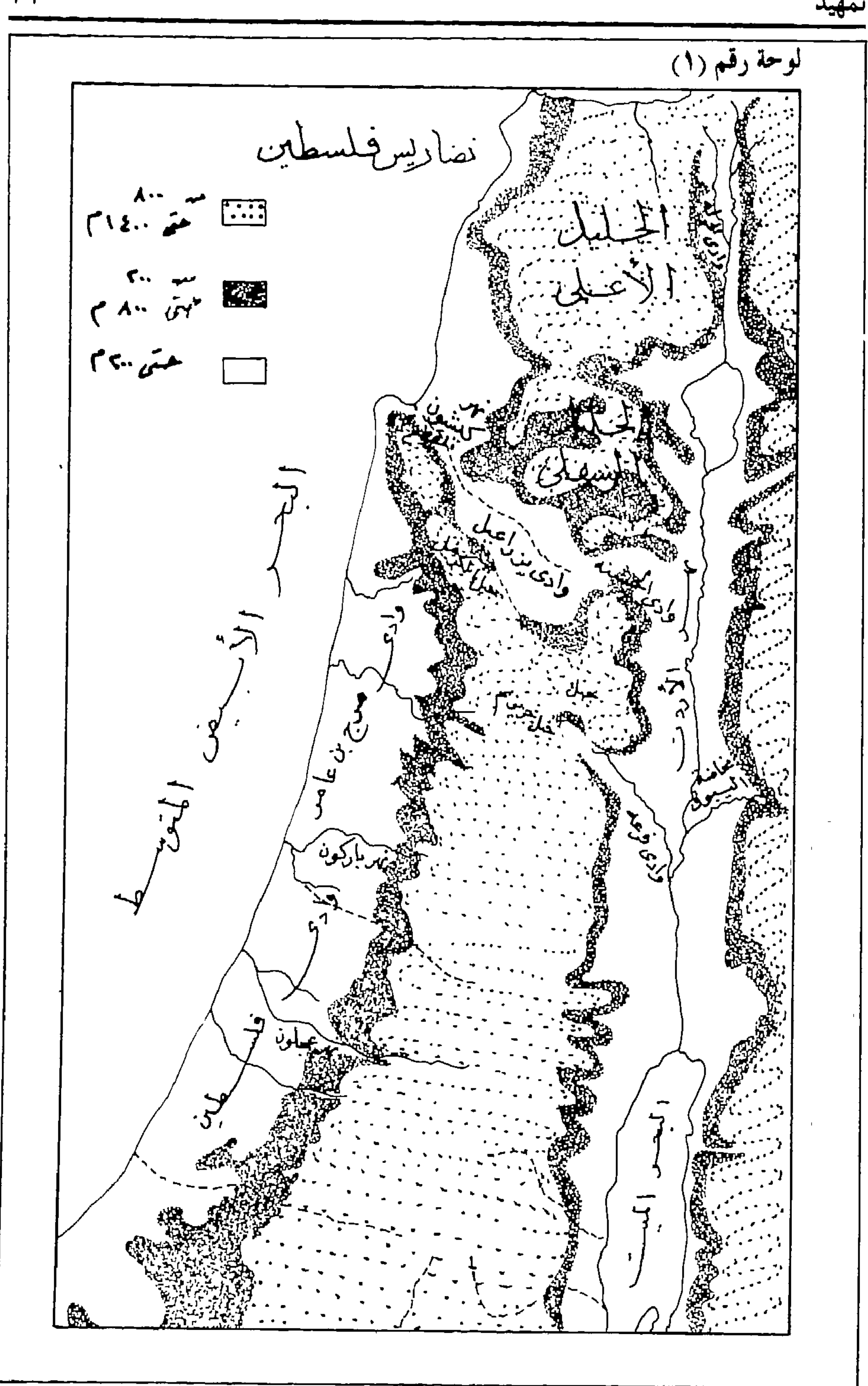
راجع الأطلس العربي طبعة ١٩٦٥ صفحات ٣٢ ، ٣٣ .

قسطنطين خمار : موسوعة فلسطين الجغرافية ، صفحات ١٧٣ ـ ١٨٣ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)



لوحة رقم (١)



Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)



ومؤدى هذا الحديث القدسي أننا نستطيع أن نقول إن الله تعالى اختص بسكني هذا المكان الطاهر من يرضي أمانته واستحقاقه لشرف العيش فيه ، وقد اقتضت حكمة الله تعالى أن ينزل فيه سيدنا ابراهيم الخليل عليه السلام ، وأن يجعل من ذريته كل الأنبياء ، فاختصن الله تعالى بيته العتيق ، وهو أول بيت وضع للناس في مكة المكرمة بالرسالة الخاتمة ، حيث أقام فيه سيدنا اسماعيل أول أبناء سيدنا ابراهيم بذريته من العرب ، وفيه وحوله قامت الرسالة الخاتمة للأديان جميعاً بنزول القرآن الكريم على المصطفى عليه الصلاة والسلام .

ونحن إذ نتمعن مطلع سورة الاسراء بقول الله تعالى : ( سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا ، إنه هو السميع البصير ) ندرك أن الاسراء كان من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ، وأنه كان في القدس من قديم الأزل بقعة مطهرة يعبد فيها الله تعالى ، ذلك هو المسجد الأقصى الأول ، أو مايسمونه بالمسجد الأقصى القديم ، وهذه البقعة الطاهرة صلى فيها سيدنا ابراهيم مع ملكي صادق الذي كان أميراً دينياً ـ من أصل فلسطيني ـ للمدينة ، وهذه القصة هي أصل نسبة المسجد الأقصى إلى سيدنا إبراهيم لأنه سجد فيه ـ وهو بقعة مطهرة ـ لله العلي ، أي قبل الوجود اليهودي بحوالي سبعمائة سنة .

وهكذا تجسدت قدسية القدس في اسراء سيدنا محمد ﷺ إلى الصخرة المقدسة ، وبها مصلى الأنبياء والرسل حيث صلى رسولنا بهم إماماً ، ومنها عرج إلى السماوات العلا ، ثم عاد إلى القدس ومنها إلى مكة المكرمة .

وفي الصحيحين عن أبي ذر رضي الله عنه قال : سألت رسول الله ﷺ عن أول مسجد وضع على الأرض ، فقال المسجد الحرام . قلت ثم أي ؟ قال المسجد الأقصى ، قلت : وكم بينهما ؟ قال : أربعون عاماً .

فالقدس إذن بأنبيائها ورسلها وعبادها تنتمي إلى الاسلام من قديم الحقب . ومن الجدير بالملاحظة أن نذكر أن المسلمين بعد أن هزموا الروم في معركة اليرموك وفتحوا الشام ، توجه أبو عبيدة بن الجراح إلى فلسطين وحاصر مدينة ايليا ( القدس ) فترة أربعة أشهر ، وتم تسليمها في السنة الخامسة عشرة من الهجرة ( ٦٣٦ ميلادية ) في حضور الخليفة عمر بن الخطاب ففتحت له أبوابها ، وعندما دخلها أمّن أهلها على أنفسهم وأموالهم وكنائسهم وصلبانهم وأعطاهم عهداً بذلك ، وكتبت لهم وثيقة الأمان التالية وقد عرفت بالعهدة العمرية :[١]

---

(١) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، جـ ١١ صفحات ١٩٤ ـ ١٩٥ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)





صورة للصخرة المقدسة داخل مسجد قبة الصخرة

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)



« بسم الله الرحمن الرحيم »

هذا ما أعطى عبد الله عمر أمير المؤمنين أهل ايلياء من الأمان .

أعطاهم أماناً لأنفسهم وأموالهم ولكنائسهم وصلبانهم . سقيمها وبريئها وسائر ملتها . أنه لا تُسكن كنائسهم ، ولا تُهدم ، ولا يُنتقص منها ولا من خيرها ، ولا من صلبهم ، ولا من شيء من أموالهم . ولا يُكرهون على دينهم ، ولا يُضار أحد منهم . ولا يسكن بايلياء معهم أحد من اليهود . وعلى أهل ايلياء أن يعطوا الجزية كما تعطى أهل المدائن . وعليهم أن يخرجوا منها الروم واللصوص . فمن خرج منهم فهو آمن ، وعليه مثل ما على أهل ايلياء من الجزية . ومن أحب من أهل ايلياء أن يسير بنفسه وماله مع الروم ويخلي بيعهم وصلبهم فإنهم آمنون على أنفسهم وعلى بيعهم وصلبهم حتى يبلغوا مأمنهم . فمن شاء منهم قعد ، وعليهم مثل ما على أهل ايلياء من الجزية . ومن شاء سار مع الروم ، ومن شاء رجع إلى أهله فإنه لا يؤخذ منهم شيء حتى يحصدوا حصادهم .

وعلى ما في هذا الكتاب عهد الله وذمة رسوله وذمة الخلفاء المؤمنين إذا أعطوا الذين عليهم من الجزية .

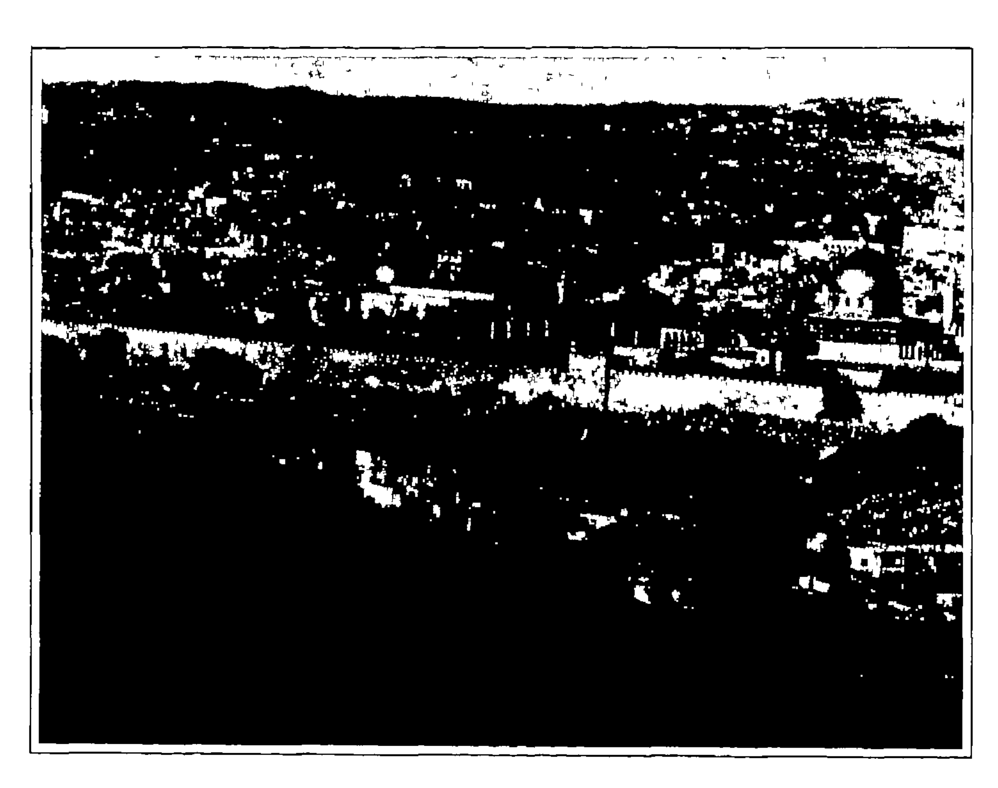
شهد على ذلك خالد بن الوليد وعبد الرحمن بن عوف وعمرو بن العاص ومعاوية بن أبي سفيان . كُتب سنة خمس عشرة هجرية .

ولما زار عمر بن الخطاب كنيسة القيامة استقبله هناك بطريرك النصاري صفرونيوس ، وصادف أن حان وقت الصلاة ، وهو يزور الكنيسة فأشار عليه البطريرك أن يصلي حيث هو فأبى ذلك خشية أن يتخذها المسلمون فيها بعد حجة يتذرعون بها للمطالبة بحق في الكنيسة ، ويقال أنه أمسك بحجر ورماه بالقدر الذي سمحت له به قوته وصلى في المكان الذي رمى فيه الحجر ، وهو المكان الذي يقوم عليه الجامع المعروف باسمه الآن وهو على بعد خطوات من كنيسة القيامة .

ولم يجرؤ اليهود طوال أيام الخلفاء الراشدين على الاقامة في القدس ، ولما جاء الأمويون أولوا القدس اهتمامهم ، وبنى الخليفة عبد الملك بن مروان مسجد قبة الصخرة المشرفة عام اثنين وسبعين هجرية ( ٦٩١ م ) ورصد لبنائه خراج مصر لسبع سنوات كاملة ، ويقع مسجد قبة الصخرة وسط فناء واسع على أرض الحرم ، ويتميز مبناه بقبة هي من أهم المعالم البارزة لمدينة القدس حيث يبلغ ارتفاعها ثلاثين متراً وتتكون من جزئين ، العلوي منها مغطى برقائق الرصاص الذي لايتغير لونه مع الزمن ، وقد تم تجديده بصفائح الألومنيوم المذهبة بعد أن تعرض للقصف اليهودي الأعمى أيام حرب عام ١٩٤٨ م ، أما الجزء السفلي فقد كسي برقائق الرخام الأبيض البديع وفوقه مربعات من القيشاني

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)





صورة من فوق جبل سكوبوس توضح الأوضاع النسبية لمسجد قبة الصخرة والمسجد الأقصى.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)



الأزرق ، وقد كتبت عليه سورة ( يس ) باللون الأبيض ، وكان السلطان سليمان القانوني قد أمر بتركيبه عام ١٥٦١ م .

وتعتبر قبة الصخرة المشرفة أقدم نموذج فريد لفن العمارة الاسلامية وفي طليعة الأعمال الفنية العالمية ، واجماع علماء الآثار وفن العمارة شاهد على صدق هذا الذي نقوله ، فجانب كبير من الفن العربي الاسلامي يتميز به جامع قبة الصخرة فهو مثمن الشكل ، يبلغ طول كل ضلع فيه عشرون متراً وارتفاعه عشرة أمتار وترتفع القبة فوق البناء عشرين متراً ويعلوها هلال طوله أربعة أمتار ، وللمسجد أربعة أبواب مزدوجة ويقوم المسجد على ستة عشر عموداً رخامياً مختلفة الألوان بالاضافة إلى ثماني دعائم مكسوة بالرخام المعرق ويعلو هذه الدعائم والأعمدة زخارف بأنواع الفسيفساء المختلفة .

وتحت هذه القبة تقوم الصخرة المقدسة التي يتراوح ارتفاعها عن الأرض مابين متر ومترين ، وشكلها غير منتظم وطولها حوالي ثمانية عشر متراً وعرضها نحو ثلاثة عشر متراً وهي محاطة بسياج من الخشب المنقوش ، ومن قمة هذه الصخرة المشرفة عرج سيدنا محمد ﷺ إلى السماء .

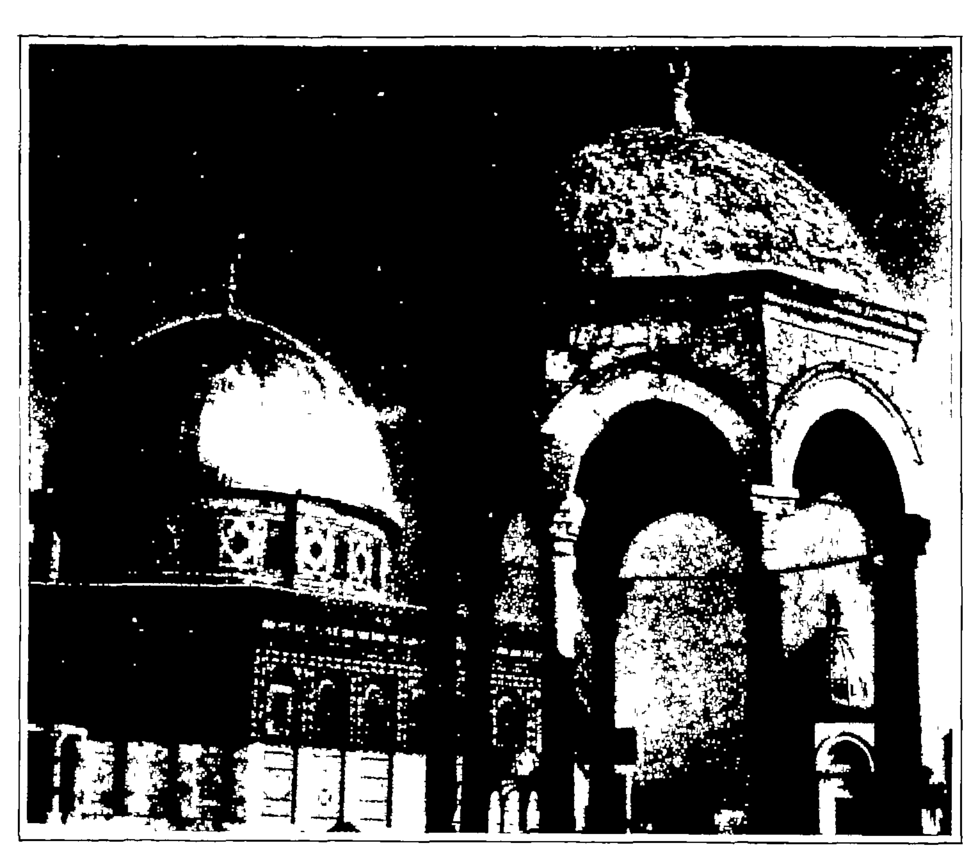
وروي عنه ﷺ أنه قال : « صليت ليلة أسرى بي إلى بيت المقدس عن يمين الصخرة » وروي عنه أيضاً أنه قال : « صخرة بيت المقدس من صخور الجنة » ، أما المسجد الأقصى فانه يقع في الجهة الجنوبية من هضبة الحرم الشريف ، ويطلق اسم الحرم الشريف على المسجد الأقصى ومسجد قبة الصخرة المشرفة وما حولهما من مساحات ومنشآت ، ومنطقة الحرم الشريف محاطة بسور كبير . وللحرم الشريف أحد عشر باباً هي : باب الأنبياء ، باب الناظر ، باب المطهرة ، باب السلسلة ، باب المغاربة ، باب الأسباط ، باب حطة ، باب الغوانمة ، بالاضافة إلى ثلاثة أبواب مغلقة هي : باب الرحمة ، وباب التوبة ، وباب البراق .

وقد شرع في بناء المسجد الأقصى الخليفة عبد الملك بن مروان عام ٧٤ هـ ( ٦٩٣ م ) وأكمله ابنه الوليد بن عبد الملك عام ٨٦ هـ ( ٧٠٥ م ) . ويبلغ طول المسجد ثمانين متراً وعرضه خمسة وخمسين متراً ، ويقوم على ثلاثة وخمسين عموداً من الرخام وتسع وأربعين دعامة مربعة . وفي داخله عند الزاوية الجنوبية الشرقية يقع مسجد « عمر » الذي أشرنا اليه . وأمام المسجد الأقصى رواق كبير مؤلف من سبع عقود وللحرم القدسي أربع مآذن هي : مئذنة باب المغاربة ، ومئذنة باب العمود ، ومئذنة باب السلسلة ، ومئذنة باب الأسباط وفي خارجه إحدى عشر مئذنة أخرى .

ومن المعالم البارزة لمدينة القدس الكثرة الغالبة من المساجد ، فيوجد بها ستة وثلاثون

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)





صورة لمسجد قبة الصخرة من خلال قبة الأرواح وإلى اليمين قبة الخليلي وإلى اليسار قبة جبريل الصغيرة المواجهة لقبة الصخرة.

مسجداً بالاضافة إلى المسجد الأقصى ومسجد قبة الصخرة المشرفة .

ومن الثابت تاريخياً أن القدس كانت تتمتع بمكانة ممتازة بين مدن العالم لما لها من القدسية والاحترام في نظر أصحاب الديانات السماوية ، وهي معروفة منذ أقدم عهود التاريخ ، ولقد شهدت كثيراً من المعارك التاريخية وتوالى عليها الغزاة والفاتحون تارة يحاصرونها ويدكون أسوارها وتارة يفتحونها ويؤمنونها . ومن ذلك أن تيتوس الروماني دمر الهيكل عام ٧٠ م وقتل عدداً كبيراً من بقايا اليهود ، وهكذا قضى على الكيان الذاتي لبقايا اليهود في فلسطين . وعندما تولى الامبراطور الروماني ايليوس هدريان عرش الرومان ، صمم القضاء على بقايا العقيدة اليهودية نهائياً ودمر المدينة وبقايا الهيكل تدميراً كاملاً ، وشيد مدينة « ايليا كابيتولينا » على أنقاضها وأقام معبداً لجوبتر كبير آلهة الرومان ، وأصبح اسم المدينة ايليا حتى الفتح الاسلامي لفلسطين ثم صار اسمها بيت المقدس .

ومؤدى هذا كله أن صلة اليهود بالقدس صلة مؤقتة جاءت وليدة غزوة طارئة لايترتب عليها أية حقوق قومية ، ونحن أمام هذه الظاهرة سوف نسرد تاريخ اليهود من قديم الحقب لنثبت أنهم عنصر طارىء على المنطقة ، وأن فلسطين كانت قبل الوجود اليهودي وبعده هي فلسطين وأنهم لا يمثلوا إلاّ مرحلة قصيرة جداً كانوا في معظمها إما تابعين لمصر أو لآشور وبابل ، ولولا هذا ماكان لهم وجود .

## صلة العرب القديمة بفلسطين

وبعد تعريفنا الموجز بالقدس ومقدساتها الاسلامية نسارع إلى قدسنا العربية ـ مع حرصنا الشديد على استخدام « العربية » ـ حتى لا يتبادر إلى البعض أن صلة العرب بالقدس تبدأ بالاسلام ، وواقع الأمر غير ذلك بالمرة ، وحتى ننفي نفياً قاطعاً هذا الرأي الذي انتشر على أيدي بعض المستشرقين ، سوف نتتبع التاريخ العربي في إقليم فلسطين وذلك قبل أن نسرد المرحلة القصيرة من الوجود اليهودي الطارىء في فلسطين .

إن صلة العرب بفلسطين قديمة جداً ، فقد ورد ذكرهم في الكتابات المسمارية القديمة ، ففي أوائل الألف الثاني قبل الميلاد عثر على نقش لأحد ملوك بابل وهو « نرام سين » يشير إلى بطولاته ، وورد فيه مانصه « نرام سين ، الملك القوي المسيطر على الأقاليم الأربعة . . . أخضع بلاد « مجان » وأخذ « مانيوم » أمير « مجان » أسيراً » . ويرى فريتز هومل عالم الآثار الألماني أن « مجان » ربما كان تحريفاً لاسم اقليم « معين » في اليمن ، ولكن عالم اللغويات الدكتور حسن ظاظا يرى أنه من المحتمل أن تكون لفظة « مجان » هي في الأصل « معان » في أقصى الشمال من الحجاز شرقي خليج العقبة ، ولم يعتمد في تحليله هذا على قرب هذا المكان من العراق ، ولكن على اسم هذا الأمير

( مانيوم ) الذي كان يحكم الاقليم « مجان » ـ الذي يبدو أنه نطق آشوري للاسم العربي « معن » بالضم والتنوين ـ وهو اسم شائع في أسماء عرب الشمال نادر في الجنوب ، لانجده فيما نعلم في النقوش اليمنية ، بينما يقابلنا بكثرة في الشعر العربي الجاهلي وفي بعض النقوش الصفوية في الشمال(١) .

كما ورد ذكر العرب في العهد القديم ـ كتاب اليهود المقدس ـ حيث نجد كثيراً من النصوص التي تشير إلى الوجود العربي في شمال الجزيرة العربية وفي فلسطين على وجه الخصوص ، وأولئك العرب هم الذين فرضوا على كل الجزيرة فأصبح اسمهم علمًا عليها وعلى لغتها وسكانها ، ولقد كانت اللهجات قديماً تنسب إلى اقليمها أو إلى أكبر قبائلها ، ولم تكن لفظة «عَرَبْ أوعُرْب» تدل على مدلولها المتعارف الآن بل كانت تطلق على نوع خاص من القبائل التي تسكن البادية ، وهي من النوع المتنقل الذي لايستقر في مكان واحد بل يتبع مساقط الغيث ، ففي معاجمنا العربية نجد لفظة «تَعرَّب» مستخدمة للتعبير عن الاقامة في البادية ، ومن هنا كانت لفظة «عرب» تعني الجفاف والصحراء .

ويرد ذكر العرب في العهد القديم في أكثر من موضع ، ففي سفر ارميا ٢٥ : ٢٠ « وكل اللفيف وكل أرض عوص وكل ملوك أرض فلسطين . . . . » وارميا ٢٥ : ٢٤ « وكل ملوك العرب وكل ملوك اللفيف الساكنين في البرية . . . » ، ويبدو ذلك واضحاً عندما يخاطب النبي حزقيال مملكة صور الفينيقية مانصه « العرب وجميع رؤساء قيدار يتجرون معك في الضأن والكباش . . . وبالذهب أقاموا أسواقك » ( حزقيال ٢٧ : ٢١ ـ ٢٢ ) . وهذا يدل على أن العرب كانت لهم تجارة مزدهرة في هذا التاريخ المبكر .

ومما يجدر ذكره أن بعض النصوص في اللغتين البابلية الآشورية والعبرية تشير إلى استخدام لفظة « عرب » كمدلول جغرافي لاقليم بعينه في منطقة فلسطين ، وورد في سفر اشعيا ٢١ : ١٣ مانصه « في غابة باقليم عرب تنامون ياقوافل الدادانيين » . ونرى أن استخدام اللغة العبرية للفظة « عرب » لاينصرف إلى سائر بلاد العرب أو كل سكانها ولغاتهم وآدابهم ، لأن هذه المعاني لم تكن تدل على مدلولها المتعارف عليه الآن ، بل كانت تطلق على نوع خاص من القبائل يسكن البادية . وهذا ما أثبته العالم « الفريد ارميا » في كتابه « العهد القديم في ضوء الشرق القديم » ، بأن لفظة « عرب » في النصوص العبرية تدل على بعض أجزاء فلسطين وبخاصة الجزء الجنوبي منها والمعروف أحياناً باسم « يهوذا » والذي كان آهلاً بالعرب(٢) .

(١) د . حسن ظاظا : الساميون ولغاتهم ص ١٢٦ .

(٢) د . فؤاد حسنين : فلسطين العربية . ص ٦٣ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)



وكذلك نجد أن صحراء مؤاب تسمى بالعبرية « عربوت مؤاب » بمعنى بادية الأردن .

على أن هنـاك ظاهـرة قوية يدركها الباحث في النقوش الأشورية هو أن الفلسطينين العرب من أقدم السلالات التي سكنت كنعان ، لا قبل غزو الاسرائيليين فحسب بل إبان وجـودهـم الـطاريء هنـاك ، فقد ورد في نقوش الامبراطور الأشوري سلما نصر الثالث ( ٨٥٩ ـ ٨٢٥ ق.م ) أن ملكاً عربياً اسمه « جِنْدِبُو » . وبالعبرية « جُنْدُب » ، تحالف ضده مع الآراميين وكما جاء في الحوليات الأشورية أن ملك العرب أرسل امدادات كبيرة محملة على ألف جمل أثناء موقعة قرقار ( ٨٥٤ ق.م ) .

كما تمدنـا المتـون الأشورية بمعلومات حول السبي الأشوري لبعض سكان فلسطين والذي جاء في حوليات سرجون الثاني ( ٧٢٢ ـ ٧٠٥ ق.م ) ملك آشور « . . وتسلمت الجزية من فرعون مصر وكذلك من شمس ( سَمْسِي بالأشورية ) ملكة العرب . . . » .

وفي نقش آخـر لسرجـون الثـاني يشـير فيه إلى نقله لبعض القبائل العربية مثل ثمود والعباد[1]( أباديدي وهي اسمها باللغة البابلية الآشورية ) إلى السامرة بعد أن هزم ودمر اسرائيل ( ٧٢٢ ق.م ) .

ولا شك أن هذا النص يشير إشارة واضحة إلى الوجود العربي في فلسطين في هذه الفترة .

إلى جانب ذلـك كله نجـد العـرب بقيادة ملكهم جُشَم ، كونـوا حلفـاً ضد سنبلط الحوراني وطوبيا العموني ( نحميا ٢ : ١٩ ) وذلك في أيام نبي اليهود نحميا ( ٤٢٤ ـ ٣٥٨ ق.م ) .

وكان نتيجة تتبعنا للنصوص البابلية الأشورية والعبرية في العهد القديم ، أن تأكدت لنا بالبراهين الساطعة انتماء القدس إلى العرب منذ فجر التاريخ . ولابد هنا من إضافة أراها واجبة دفعاً لسوء الفهم ، وهو أن عمر بن الخطاب لم يُدخِل العرب إلى فلسطين ـ كما يدعي بعض المستشرقين المتعصبين ـ وإنما أدخل الاسلام ، وهما أمران مختلفان .

---

(١) العباد ( أباديدي ) وهي قبيلة من ربيعة كانت تعيش على حدود العراق القديم .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

# الفصل الأوّل

## تاريخ القدس قبل الوجود اليهودي الطارئ

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)



Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

# تاريخ القدس قبل الوجود اليهودي الطارئ

تحتل مدينة القدس مكانة بارزة في التاريخ وذلك قبل الوجود اليهودي فيها ، فقد سكنها اليبوسيين ـ أقدم سكان القدس ـ وكانت على عهدهم تدعى « يبوس » ، ويرجع تاريخ وجودهم في المدينة إلى حوالي ٣٠٠٠ سنة ق.م حيث اتخذوها عاصمة لهم . ومن المرجح أنهم كانوا بطناً من بطون العرب الأوائل نشأوا في داخل الجزيرة العربية ، ثم نزحوا عنها مع القبائل الكنعانية في الألف الثالث قبل الميلاد . ومن ملوكهم « ملكي صادق » وكان أول من خطط لبناء مدينة يبوس ( القدس ) ثم قام بتحصينها .

وورد في التوراة ( تك ١٤ : ١٨ ) اسم ملكي صادق على أنه كان كاهناً لله العلي ، ومن المرجح أنه كان معاصراً لسيدنا ابراهيم عليه السلام . وكان بعض ملوك البلاد الواقعة على نهر الفرات قد أغاروا على مدن سهل الأردن واستولوا على سدوم بعد أن أسروا لوطا وقومه ، وعند سماع سيدنا ابراهيم لهذا الخبر قام بإعداد رجاله وسلحهم وحارب هؤلاء الملوك واسترد أملاك لوط وأعاد الأسرى ، وقام ملك سدوم باستقبال سيدنا ابراهيم عند عودته ، وقدم ملكي صادق ملك اليبوسيين خبزاً وماء وبارك سيدنا ابراهيم قائلاً : « مبارك ابرام من الله العلي مالك السموات والأرض ومبارك الله العلي الذي أسلم أعداءك في يدك »[1] ، فأعطاه سيدنا ابراهيم العُشْر مما معه من الغنائم .

ومن ملوكهم « سالم اليبوسي » الذي بنى قلعة على جبل يقع في الزاوية الجنوبية الغربية للدفاع عن القدس ، والذي عرف أيام داود باسم جبل صهيون . وكانت يبوس « القدس » في ذلك الوقت ذات أهمية من الناحية التجارية ، فقد كانت تقع على طريقين من أهم طرق التجارة ، الطريق الأول يربطها بالبحر الأبيض والآخر يربط حبرون ( الخليل ) ببيت ايل ( بيتين ) ، ومن بيت ايل كان الطريق يتفرع إلى اتجاهين واحد نحو شكيم ( نابلس ) والآخر إلى أريحا ووادي الأردن . أما من الناحية الاستراتيجية فهي تقع على تلال مرتفعة يحيط بها سور طبيعي منيع ، وكان بينها وبين البلاد المجاورة معاهدات تحالف قوية .

(١) تك ١٤ : ١١ ـ ٢١ .

وبعد أن كان العهد القديم المصدر الأساسي لدراسة تاريخ اليهود ، حدثت تحولات أساسية في طرائق دراسة تاريخهم بعد الوثائق الآثرية ـ وثائق البحر الميت ، والوثائق الأشورية والبابلية ـ التي تم اكتشافها في الفترة الأخيرة على ضوء معرفة المستشرقين في العصر الحديث للغات الشرق القديم .

وأقدم النقوش التي ورد فيها ذكر القدس موجودة في مجموعة اللوحات المسمارية المكتوبة باللغة الأكادية تتخللها تفسيرات قليلة بالكتابة المسمارية الأوجاريتية الكنعانية المبسطة ، وهذه النقوش عرفت باسم « لوحات تل العمارنة » ، وهي وثائق دبلوماسية ترجع إلى عهد فرعون مصر أمنوفيس الثالث ( ١٤١١ ـ ١٣٧٥ ق.م ) وابنه اخناتون ( ١٣٧٥ ـ ١٣٥٠ ق.م ) ، وقد ورد اسم القدس في هذه النقوش تحت اسم « أورسالم » وهو اسمها الكنعاني ، وذلك عندما استنجد حاكمها عبد يخيبا ـ وكان حاكمًا من قبل فرعون مصر ـ بأمينوفيس الثالث لصد غارات « الحابيرو »[1] .

---

(١) يبدو أن بعض الباحثين اعتقدوا أن اسم العبريين قد ورد في لوحات تل العمارنة تحت اسم « حابيرو » ، ومن المرجح أن هذا الاعتقاد خاطىء ، فمعنى الكلمة مازال يكتنفه بعض الغموض وهو في الغالب كان له مدلول عرقي في تلك الفترة ، فكلمة عبري كانت تشمل الآراميين وجميعهم عرب نزحوا من موطنهم الأصلي في الجزيرة العربية ، قبل أن يكون لليهود وجود ، أي أن مصطلح « عبيرو » كان يطلق على القبائل البدوية التي هاجرت من الجزيرة العربية قبل موسى عليه السلام ، والذي لاشك فيه أن كلمة عبري أو عبراني لم ترد في القرآن الكريم وإنما ورد ذكر « بني إسرائيل ، وقوم موسى ، واليهود » . ولذلك لم يعرف اليهود باسم العبريين في زمن سيدنا محمد ﷺ ، وإنما عرفوا بتسمياتهم التي وردت في القرآن الكريم . وصفوة القول في هذا الموضوع إن المصادر الاسرائيلية قد صمتت عن بعض الأمور ولم تستوعب أموراً أخرى ، وأثبت دليل على صحة مانقول إن العهد القديم لم يذكر قط أخبار عاد وثمود التي انفرد بذكرها القرآن الكريم .

ويتضح لنا مما تقدم أن تسمية ابرام ( سيدنا ابراهيم ) بالعبراني كما جاء في التوراة ( تك ١٤ : ١٣ ) ، كان يقصد بها انتساب سيدنا ابراهيم إلى القبائل العربية البائدة ، ولذلك لم يقصد بابرام العبراني معنى الاسرائيلي ، وإنما العابر أو المهاجر ، وعندما وُجد اليهود وانتسبوا لاسرائيل كانوا يتحدثون عن العبرية على أنها لغة كنعان ولم يطلقوا عليها العبرية إلا في وقت متأخر . ويرى البعض الآخر من الباحثين أن كلمة حابيرو يقصد بها كلمة العبريين ، فهي مشتقة من الفعل ( عبر ) الذي كان شائعاً في اللغات السامية ومنها العربية والعبرية ، واستعمل في العبرية بمعنى « عبر النهر » والمقصود هنا نهر الفرات ، وعلى ذلك فيحتمل أن كلمة عبري كانت تعني الذي يعبر الفرات إلى آرام ( سورية ) ، وجاء في التوراة ( تك ٣١ : ٢١ ) مانصه « فهرب هو ( يعقوب ) وكل ماكان له ، وقام وعبر النهر ، وجعل سمته نحو جبل جلعاد » ، والمقصود هنا عبور يعقوب نهر الفرات ، وكان

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)



ويبدو أنه في عصر الملك رعمسيس الثاني ( ١٢٥٠ ق . م ) خرج بنو اسرائيل[1] بقيادة موسى وعبروا صحراء سيناء ، وكان هدفهم فلسطين ـ التي أطلقوا عليها أرض الميعاد حسب ماجاء في التوارة ـ .

وفي خلال رحلة الخروج ظهر الرب لموسى باسم « يهوه » وجدّد العهد بينه وبينهم ـ هذا حسب دعواهم ـ وأوحى الرب لموسى بالشريعة وأسس العقيدة حول اله واحد أحد ، إلا أن اليهود اعتبروه الهم القومي الخاص بهم ، وأنهم « شعبه المختار »[2] .

وتحدثنا التوراة على أن موسى قد توفي وأرض الميعاد على مرمى بصره ، فتولى يوشع بن نون قيادة بني إسرائيل وعبروا نهر الأردن واحتلوا أريحا بعد تدميرها وسفكوا دماء أهلها[3] ، وكذلك فعلوا مع مدن عاي والجلجال وشيلوح وبقية المدن الكنعانية التي احتوها أثناء تقدمهم إلى يبوس ( القدس ) .

= الساميون قديمًا إذا أقاموا عبر النهر دون أن يشيروا إلى اسم النهر فهم بذلك يقصدون نهر الفرات ، ولذلك يقول بعض العلماء إن اسم العبريين قد أطلق على اليهود اعتباراً من رحلة يعقوب وعبوره الفرات إلى آرام ( سورية ) ، ولذلك فهم ينتسبون إلى من عبر بهم النهر ( يعقوب ) ، وهو رأي مبالغ فيه لأنه ليس العبور الوحيد في تاريخهم فهناك عبور موسى البحر ببني اسرائيل من وجه فرعون وهو عبور تاريخي أكثر من عبور يعقوب وهكذا فسّر اللغويون اليهود لفظة عبري تفسيراً عنصرياً لا يقوم على أساس متين .

راجع : عباس العقاد : ابراهيم أبو الأنبياء ـ صفحات ١١٩ ، ١٣٢ ـ ١٣٣ .

د . حسن ظاظا : الساميون ولغاتهم ص ٥٤ .

د . حسن ظاظا : الشخصية الاسرائيلية ـ صفحات ١٩ ـ ٢١ .

د . أحمد سوسة : العرب واليهود في التاريخ ـ صفحات ٢٤٥ ـ ٢٥٣ .

G R . Driver · Language Enty Britannica 1961 Vol 11 .

G . R . Driver . Semetic Writing PP . 78 – 79 .

(١) يبدو أن كلمة بني اسرائيل أصبحت اسمًا لليهود منذ أيام يعقوب على أساس أنه كان كنية له معناها « قوة الله » .

(٢) ومن اللافت للنظر أن اليهود يقرأون التوراة بروح متعصبة ونزعة عنصرية قومية ليستخرجوا من نصوصها مايبرر ادعاءاتهم بأنهم شعب الله المختار .

(٣) يش ٦ : ٢١ ـ ٢٥ « وأحرقوا المدينة بالنار مع كل مابها ، إنما الفضة والذهب وآنية النحاس والحديد جعلوها في خزانة بيت الرب » .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)



وخـلال غزو بني إسرائيل لفلسـطين بقيادة يوشـع ، اتحـد ملك اليبـوسيين « أدوني صادق » مع أربعـة من الملوك المجـاورين ( ملك حبرون ـ ملك يرْمُوت ـ ملك لخيش ـ ملك عِجْلَون ) وتصدوا ليوشع ابن نون إلا أنهم وقعوا في الأسر فأعدمهم ، وبرغم ذلك لم يتمكن بنو اسرائيل من احتلال يبوس ( القدس ) نفسها ، إذ كانت محصنة تحصيناً منيعاً حيث قاومهم اليبوسيون الذين اتحدوا مع ملك حاصور ضد يوشع ، إلا أنهم انهزموا أيضاً وتشتت شملهم ( يش ١١ : ١ ـ ٩ ) ومع ذلك لم يتم الاستيلاء على المدينة إلا بعد وفاة يوشـع ، حيث حاصروهـا وقـامـوا بتدميرها[١] ولكنهم لم يستطيعوا الاستيلاء على قلعة اليبوسيين ( حصن صهيون فيما بعد ) وبقيت في أيديهم مدة عهد القضاة وفترة حكم الملك شاءول أول ملوك بني اسرائيل .

وكـان يوشـع قد شرع قبـل وفاته في تقسيم فلسطين إلى أنصبة قبلية بين أسباط بني اسرائيل الأثنى عشر[٢] محدداً مكان كل سبط . وأصبحت مدينة القدس في قطاع سبطي يهوذا وبينامين ، ورغم ذلك التقسيم إلا أن القدس ظلت مدينة يبوسية حتى عصر داود ، وقـد وردت هكذا صراحة في الفقرة ٦٣ من الاصحاح ١٥ من سفر يوشع وهي مانصه « وأما اليبوسيون الساكنون في أورشليم ( القدس ) فلم يقدر بنو يهوذا على طردهم فسكن اليبوسيون مع بني يهوذا في أورشليم ( القدس ) إلى هذا اليوم » .

ولذلك استمرت القدس على تسميتها القديمة ( يبوس ) أي مدينة اليبوسيين كما جاء في سفـر القضاة الاصحاح ١٩ : ١١ ـ ١٢ مانصه « وفيما هم عند يبوس ، وقد أشرف النهار على نهايته ، قال الغلام لسيده : تعال نميل إلى مدينة اليبوسيين هذه ونبيت فيها . فقال له سيده : لانميل إلى مدينة غريبة حيث لاأحد من بني اسرائيل هنا » .

ويتضـح مما تقـدم أن المـدينة المقدسة ظلت إلى عهد داود مدينة لليبوسيين ـ سكانها الأصليين ـ أكثر من ألفي عام قبل عهد موسى ، كما بقيت بأيدي أهلها ثلاثمائة عام أثناء الوجود اليهودي في فلسطين ثم بعد دخولهم إليها في عهد داود . ومما يؤيد ذلك أنه عندما أراد داود بنـاء هيكل للرب في القدس ، قام بشراء البيدر الذي كان ملكاً لرجل يبوسي يدعى آرونا ( ٢ صم ٢٤ : ٢٤ ـ ٢٥ ) ، ولذلك عاش اليهود أقلية بين اليبوسيين حتى تم السبي البابلي ( ٥٨٧ ق.م ) .

---

(١) « وحارب بنو يهوذا أورشليم ( القدس ) وأخذوها وضربوها بحد السيف وأشعلوا المدينة بالنار » ( قضاة ١ : ٨ ) .

(٢) وهـذه الأسبـاط هي : رأوبين ، شمعون ، جاد ، يهوذا ، يساكر ، زبولون ، افرايم ، منسا ،

وقبل أن ننتقل إلى مناقشة استيلاء داود على القدس ، نود أن نشير إلى حقيقة هامة مؤادها أن بني اسرائيل عندما غزوا فلسطين بقيادة يوشع بن نون ، وجدوا اليبوسيين والأدموميين المؤابيين والعمونيين والكنعانيين وغيرهم وهؤلاء جميعهم ( تك ١٥ : ١٩ ) عرب . إذن لم يكن اليهود هم الشاغلون الأوائل لفلسطين بل كانوا بالأحرى ولفترة محدودة بين كثيرين غيرهم من الشعوب العربية ، ولايستطيعون بحال من الأحوال المطالبة بوضع استثنائي لهم في سياق هذا التاريخ الطويل ، إلا أن الصهيونية السياسية تخضع أحداث الماضي للتلاعب والتحريف حيث اعتبروا غزو فلسطين في عهد يوشع حرباً مقدسة ، وتتذرع بالوعد الألهي الوارد في سفر التكوين ١٥ : ١٨ مانصه : « في ذلك اليوم قطع الرب مع ابراهيم ميثاقاً قائلاً . لنسلك أعطي هذه الأرض من نهر مصر إلى النهر الكبير نهر الفرات » .

ولايوجد خارج التوراة أي اشارة أو وثيقة تعود إلى هذه القصة القديمة عن اسرائيل[1] ، ولذلك يحق لنا أن نتساءل : أتستطيع أي مجموعة بشرية مهما كان وضعها أن تفرض وجودها على بقية شعوب المنطقة بمجرد ايمان تلك المجموعة بتقاليدها المتوارثة كقاعدة لوجودها . . ؟ .

---

= بنيامين ، دان ، آشر ، نفتالي ، يضاف إلى هذه الأسباط الأثنى عشر سبط لاوي وهم عشيرة موسى وهارون وكانت لهم الزعامة الدينية والاجتماعية على سائر الأسباط ، وكانت عشيرة اللاويين تقوم بالكهانة في مناطق الأسباط .

(١) أثبت البحث العلمي أن الجزء الأول من العهد القديم وهو المعروف بالتوراة - توراة موسى - لم يكن على هذا الحال التي نراها عليه الآن ، إذ يذهب الباحثون إلى أن الشطر الأكبر منه قد تم تدوينه فيما بين عذرا ( ٤٢١ ق . م ) والفتح الروماني ( ٦٣ ق . م ) ، ويعتمد العلماء على أدلة كثيرة منها نصوص من التوراة نفسها « فمات هناك موسى . . ولم يعرف انسان قبره إلى هذا اليوم » ( تثنيه ٢٤ : ٥ - ٦ ) . ولايمكن أن يصدر هذا القول عن موسى عليه السلام ، وهذا يقطع أن التوراة في وضعها المعروف لنا حالياً ما لايمكن نسبته إلى موسى .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)



Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

# الفصل الثاني

## مرحلة التعايش السلمي بين الفلسطينيين الأصليين وداود

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

# مرحلة التعايش السلمي بين الفلسطينين الأصليين وداود

## استيلاء داود على جبل صهيون والاستعداد لبناء الهيكل

بعد وفاة يوشع بن نون سادت الفوضى بين بني اسرائيل ، وارتد كثير منهم إلى الوثنية ولذلك تشربوا كثيراً من عادات الكنعانيين وطقوسهم الدينية .

وكان النظام الاجتماعي الاسرائيلي القديم يقوم على القبيلة ، وكانت القبائل بدورها تنقسم إلى عشائر معظمها متجمعة حول هيكل مركزي في « سيلون »[1] . وكما أسلفنا فتقسيم فلسطين إلى أنصبة قبلية جعل مدينة القدس في قطاع سبطي بنيامين ويهوذا ( يش ١٥ : ٨ ـ ٦٣ ) ورغم ذلك التقسيم ظلت القدس مدينة يبوسية حتى عصر داود ( قضاة ١٩ : ١٠ ) ، وقبله لم تكن هناك حكومة ثيوقراطية ـ دينية ـ بل كان هناك زعماء محليون يتصدرون للقيادة ، وهؤلاء هم القضاة الذين سميت باسمهم حقبة من تاريخ بني اسرائيل الديني تشمل القرنين اللاحقين لغزو فلسطين على وجه التقريب .

ولم يتسع الوقت للغزاة لتوطيد انتصارهم الأول في فلسطين ، فقد شن الفلسطينيون هجوماً مضاداً بدأ من المنطقة الساحلية وانتهى إلى داخل فلسطين ، وحاربوا بكل قوة حتى انهزم الاسرائيليون حيث أخذ الفلسطينيون تابوت العهد وهدموا هيكل سيلون . وفي هذه الفترة أيضاً كان المديانيون والمؤابيون والعمونيون والأراميون يواصلون إغارتهم على الاسرائيليين وساعدهم على ذلك الفرقة التي كانت تمزق القبائل الاسرائيلية من الداخل . . . وفي ختام الألف الثاني قبل الميلاد وصل بنو اسرائيل إلى حالة من الفوضى والتمزق تكاد تكون تامة ، ولكن أنقذهم من ذلك رد فعل جاء في صورة دعوة لوحدة

---

(١) سبتينو موسكاتي : الحضارات السامية القديمة ص ١٤٠ . من الترجمة العربية للدكتور السيد يعقوب بكر .

وسيلون هي الآن خربة سيلون ، كانت في منطقة سبط افرايم ، ولم تكن لها أهمية كبيرة قبل أن ينقل تابوت العهد إلى هيكلها ، وقد ظل التابوت بها حتى وقع في أيدي الفلسطينيين الذين ربما هدموا المدينة والهيكل معاً ( حوالي عام ١٠٠٠ ق.م ) .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)



وطنية قام بها صمويل التشبي[١] ، فقد نجح في أن يجمع مجلساً من ممثلي أسباط الشمال والجنوب جميعاً ، ورشح لهم شاءول ملكاً على كل بني اسرائيل فبايعوه . وكان شاءول ينتمي إلى بنيامين أصغر سبط وأقربه إلى وسط البلاد ، ونصّب صمويل وبقية بني إسرائيل شاءول ( ١٠٢٠ - ١٠٠٠ ق.م ) ملكاً عليهم في الجلجال[٢] ( صم ١١ : ١٤ - ١٥ ) .

وقد أقيمت هذه الوحدة السياسية في وقت كان الموقف التاريخي مواتياً على نحو فريد ، فكانت مصر تجتاز فترة تأخر واضملال ، أما آشور فكانت مشغولة بتأمين حدودها وتوطيد دولتها في العراق القديم .

وكان نظام الحكم في عهد شاءول قائماً على أساس غير ثابت إذ أن عجزه عن السيطرة على الفئات المتعارضة داخل فلسطين منعه من توطيد سيطرته عليها ، كما كان نزاعه مع داود زوج ابنته ميخال من الأسباب التي عجلت بسقوطه[٣] . وكان شاءول قد بدأ سلسلة من الحروب ضد أعدائه وفي مقدمتهم شعب فلسطين ولكنه انهزم أمام الفلسطينيين في معركة فاصلة على جبل « جلبوع » وانتهت بمقتله منتحراً مع أبنائه الثلاثة ( ١ صم ٣١ : ٦ ) . ومن هذا السرد التاريخي لسفر صمويل الأول يتبين لنا أن الفلسطينيين كانوا قوة عسكرية لايستهان بها في هذا الوقت[٤] .

وبعد مقتل شاءول حاول داود أن يسيطر على الموقف لصالح بني اسرائيل ، ولكن أسباط الشمال رفضوا مبايعته ، وأقاموا اشبوشت ( اشبعل ) ابن شاءول ملكاً عليهم في مدينة محانيم ( ٢ صم ٢ : ٨ - ١٠ ) ، بينما بايعت الأسباط الجنوبية داود ملكاً عليها في حبرون ( الخليل ) حكم فيها سبع سنوات ونصف ( ٢ صم ٢ : ١١ ) ، استمرت أثناءها الحرب دائرة بين الجنوب والشمال وانتهت بموت اشبوشت .

وفي أعقاب ذلك اجتمع ممثلو بني اسرائيل من الشيوخ وقواد الجيش وعقدوا مجلساً من حبرون حوالي سنة ١٠٠٠ ق. م وبايعوا داود ملكاً على كل بني اسرائيل[٥] ( ٢ صم ٥ : ٣ ) .

---

(١) هو النبي صمويل من سبط بنيامين وكان آخر القضاة .

(٢) تقع الجلجال في سهل أريحا إلى الشمال الشرقي للقدس .

A . Lods : Israel From its Beginning PP . 352 – 358

(٣) يوحنان أهاروني : ارتس يسرائيل بتقوفت همقرا ( أرض إسرائيل في عصر المقرا ) ، ١٩٦٢ م

(٤) E. Heaton : The Philistines And Old Restament PP . 170 - 171 (1971)

(٥) LODS : Israel PP . 359 - 360

M.L Margolis . A History of the Jewish People PP . 45 - 47 (1969) .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)



ومن الجدير بالذكر أن الكاتب اليهودي أهاروني قد أنكر مساعدة الفلسطينيين لداود ، على الرغم من اشارة العهد القديم لهذه المساعدة والتي ورد فيها أن داود قد لجأ إليهم لمساعدته في نضاله ضد شاءول ، وقد استمرت هذه المساعدة بعد موت شاءول نفسه . وجاء عن ذلك في سفر صمويل الأول مانصه « وقال داود في قلبه إني سأهلك يوماً بيد شاءول فلا شيء خير لي من أن أفلت إلى أرض الفلسطينيين فييأس شاءول مني » ( ١ صم ٢٧ : ١ ) « وكان عدد الأيام التي سكن فيها داود في بلاد الفلسطينيين سنة وأربعة أشهر» . ( ١ صم ٢٧ : ٧ ) .

وقاوم الفلسطينيون وحدة بني اسرائيل بقيادة داود الذي شعر بخطرهم ولذلك خطط للقضاء عليهم وهزمهم في معركتين فاصلتين في وادي الرفائين ( ٢ صم ٥ : ١٧ ـ ٢٥ ، ٨ : ١٠ ) جنوب القدس ، حيث طاردهم حتى المنطقة الساحلية ، وبذلك انحسر خطر الفلسطينيين على بني اسرائيل فترة من الزمن . وفي أعقاب ذلك فكر داود في تغيير عاصمته حبرون في الشمال ، واتجه نظره إلى مدينة القدس ( يبوس ) في الجنوب وكانت في أيدي اليبوسيين العرب ، فخطط للزحف نحوها بجيش قوامه ثلاثون ألف مقاتل ، إلا أنه واجه مقاومة عنيفة من اليبوسيين ، ولكنه كرر هجومه وانتزع منهم جبل صهيون وبنى عليه قلعة حصينة اتخذها قاعدة لانطلاقه حيث مارس ضغوطاً على سكان المدينة حتى استولى عليها واتخذها عاصمة لملكه ، وكان اختياره للقدس يعد دليلاً واضحاً على حنكته السياسية فهي مدينة محايدة تتمتع بمزايا كثيرة فهي ذات موقع استراتيجي وسط فلسطين على تل يرتفع حتى ٢٦٠٠ قدماً فوق سطح البحر وتحيط بها وديان عميقة ، ومن ثم تصلح أن تكون عاصمة حصينة ، ورغم كل هذه الأحداث ، فلم يحدث اندماج حقيقي بين اسباط الشمال والجنوب ، وبقي هذا الانفصال قائماً في ضمائرهم . ونلاحظ أن مقدرة داود نفسها لم تكن لحفظ السلام داخل مملكته ، بل أنه في وقت من الأوقات ، حين تزعم ابنه ابشالوم الثورة ضده ، اضطر إلى الفرار إلى ماوراء نهر الأردن ، لينجو بنفسه(١) ( ٢ صم ١٥ ، ١٩ ) .

وكان داود قد أقام في البداية في حصن صهيون قبل استيلائة على المدينة ، وكانت عليه قلعة أمامية لليبوسيين يدافعون منها عن القدس ، وكانوا يسمون جبل صهيون بكل منشآته « المدينة الفوقانية » ، أما « المدينة التحتانية » فقد أطلقوا هذا الاسم على هضبة الحرم ( جبل الموريا ) . وقد بدأ داود بزيادة تحصينات قلعة اليبوسيين في « المدينة

---

(١) A Sachar · History of the Jews P . 35 (1973) .

A . T . Olmstead : History of Palestine and Syria PP . 316 – 317 (1923)

LODS : Israel P . 360 .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)



الفوقانية » وجعلها قاعدة لحكمه ولذلك سميت « مدينة داود » ثم صار الاسم يطلق على المدينة كلها [١] . وقد ظل اليبوسيون في الاقامة في القدس وأقام الملك قصراً عليها بمساعدة المهندسين والعمال الفينيقيين [٢] ، ثم نقل تابوت العهد إلى القدس حيث تركزت السلطة الدينية والسياسية والعسكرية جمعياً واستمر داود في الضغط على اليبوسيين ومضايقتهم في جبلهم ( الموريا ) ، وخطط لبناء هيكل للرب فبدأ بشراء بيدر آرونا اليبوسي الذي كان يتخذه جرنا ومربضا لماشيته ، فوافق على بيعه لداود بما فيه من المواشي بخمسين شاقلا من الفضة . ومن اللافت للنظر أن « القدس » ( يبوس ) قبل إقامة داود بها ، كانت مدينة ذات حضارة حيث اشتملت على منازل كبيرة بها الكثير من أسباب الراحة وكان فيها حكومة وصناعة وتجارة ، بالاضافة إلى أنها كانت آهلة بسكانها اليبوسيين وهم إحدى القبائل الفلسطينية ، ومعرفة الله فيها بالوثائق ترجع على الأقل إلى ملكي صادق الذي كان كاهنا لله العلى قبل موسى بحوالي خمسمائة عام ، ولذلك تشرّب الاسرائيليون هذه الحضارة من اليبوسيين ومن المدن الكنعانية الأخرى التي احتلوها بالغزو، فغادروا الخيام وسكنوا في منازل كمنازل اليبوسيين والكنعانيين ، وسكنوا الطابق الأرضي على خلاف ما تبعه اليبوسيون والكنعانيون من قبل في استخدامهم للطابق الأرضي كمخازن وكحجرات لاقامة الخدم ، وخلعوا عنهم الجلود ولبسوا ثيابا منسوجة من الكتان والصوف كثياب الكنعانيين .

ولما كانت عشيرة داود هي سبط يهوذا ، فقد بدأ الاسرائيليون يسمون باليهود أيضا منذ هذا الوقت ، ويعتقد كثير من المؤرخين أن أهم العوامل التي ساعدت داود على توطيد مملكته أن الأحوال في مصر كانت مضطربة فضعفت سيطرتها على فلسطين وبلاد الشام ، بالاضافة إلى أن الدولة الأشورية كانت في حالة من الضعف جعلت لداود حرية الحركة والنشاط .

## موت سليمان والتعنت الاسرائيلي

بعد موت داود خلفه ابنه سليمان ( ٩٧٣ ق . م تقريبا ) وكان على عكس والده يميل إلى حل مشاكله السياسية والاقتصادية حلولا دبلوماسيه . وإذا أردنا الكشف عن الاهتمامات الحقيقية التي كانت تشغل سليمان ، فإننا نجد أنه أدرك مبكرا أن مملكته الصغيرة لن تدوم إلا بتدعيم علاقاته الودية مع الدول الكبرى التي تحيط به ، فقام بتوثيق علاقاته مع جيرانه التي كان داود قد بدأها مع ملوك صور ، وتزوج سليمان ابنه فرعون

(١) ظاظا : اسرائيل ركيزة للاستعمار - ص ٨٨ .

(٢) LODS . Op . Cit P . 361 .

مصر ـ أحد ملوك الأسرة الحادية والعشرين ـ الذي أهدى له مدينة جازر ، وكان فرعون مصر قد استولى عليها مؤخرا من الكنعانيين ( ١ ملك ٩ : ١٦ ) .

وقد امتاز عهد سليمان بتقدم تجاري كبير ، كفله الموقع المتميز لفلسطين على طرق التجارة بين مصر وسوريا وسيطرته عليها ، فدخل مع ملك صور شريكا في الاسطول التجاري ، وأدى ذلك إلى مساعدة حيرام ملك صور لسليمان في بناء الهيكل عن طريق امداده بالذهب وخشب الأرز وبقية المواد اللازمه لعملية البناء بالاضافة إلى امداده بالكثير من العمال المهرة .

بدأ سليمان ببناء سور يحيط بجبل الموريا ، ثم أخذ في بناء الهيكل الذي كان قد بدأه قبل وفاته ومن المؤكد أن المهندس المعماري الفينيقي الذي صمم هيكل سليمان ، قد استوحاه من الفن المعماري السامي ، فالتصميم العام لمعبد سليمان ، يكاد يماثل تصميم المعبد الكنعاني مع اختلافات غير جوهرية أهمها أن قدس الاقداس كان في نهاية المعبد . ودليلنا على ذلك أن المعبد الكنعاني الذي تم اكتشافه في بيت شان والذي يعود تاريخه إلى عام ١٣٠٠ ق . م ، كان نقطة تحول في تصميم المعبد الكنعاني ، فهو يتكون من غرفة خاصة مربعة الشكل تقع في نهاية الغرفة الرئيسية للمعبد ، ويتم الوصول إلى الغرفة العليا بواسطة بعض الدرجات حيث تمثال للاله ، وتمثل الغرفة العليا قدس الأقداس الذي يعتبر صفة مميزة لمعبد سليمان فيما بعد ، وكانت هذه الصفة المميزة موجودة أيضاً في معابد مصر والعراق . كما كان هناك مذبح صغير أمام التمثال المرتفع حيث تقدم البخور في الغرفة العلوية ، وربما كانت توقد أيضاً بعض الشموع وفي الفناء الخارجي للمعبد يوجد المذبح الرئيسي حيث تحرق القرابين .

إذا كان المعبد الي عهد داود وسليمان قد اقتصر علي أن يكون بيت الله يأتيه بنو اسرائيل لاقامة شعائرهم حيثما كان[1] فإنه مع قيام المملكة قد أصبح يغطي مسئوليتين كبيرتين ، الأولي منها أن يصبح المعبد المركزي ومكان الحج المحدد الذي لايتجه الناس الي سواه ، ثم إنه في نفس الوقت صار رمزاً على فخامة ملك سليمان وعظمة الجالس علي عرش بني اسرائيل .

وإذا كان الباحثون قد قللوا من الأهمية المعمارية لهذا البناء الجديد معتمدين علي المأثور

(١) فقبل ظهور الملكية سياسياً كان اليهود يعبدون الله في أي مكان وقد عبدوه مع موسى وهارون أربعين عاماً في سيناء وليس في بقعة معينة ، فأينما وصلوا كانت « خيمة الاجتماع » التي بها تابوت العهد وفيها يقيمون الصلاة ، وبعد موسى وهارون وعلي مدى ثلثمائة عام ـ عصري يوشع والقضاة ـ كانت أماكن العبادة متفرقة ، حتى إنها كانت في بعض الأحيان حول المدن الفلسطينية القديمة .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)



الـذي جاءتهم به الكتب اليهـوديـة ، فإن الذي لاشك فيه هوأن عمل سليمان لم يكن بناء معبد فحسب ، بل كان مشروعاً هندسياً معمارياً ضخماً جداً لبناء عاصمة جديدة كاملة ، لم يكن داود قد أتم منهـا الا القلعـة التي شيـدها على جبل صهيون وداره التي بناها بالقرب من القلعـة ، أمـا سليـمان فإنـه تصـور خريطـة لعاصمة كاملة بأسوارها ومعبدها المركزي وقصـرهـا الملكي ومبـانيهـا الـدينيـة والادار يـة ومسـاكن زوجاته وماملكت يمينه ممن دان بالشـريعـة المـوسـويـة ومن لم يدخلها . وسنرى أنه جعل في عاصمته حياً دينياً وآخر ملكياً وثكنـات للحـرس وحياً لغير التابعين للشريعة الموسوية من نسائه وحشمه ، وأقام الأسوار الفـاصلة بين هذه الأحيـاء والتحصينـات المحيطـة بها والسـلالم المؤدية إليها من الأراضي المنخفضـة المحيطـة بها ، كما أعد خزانات المياه والأحواض والبرك التي يجد فيها المتعبدون والحجـاج مايحتـاجـون إليه من الماء ، وهو في المدينة المقدسة مايزال حتى يومنا هذا يشكل معضلة تفاجيء الناس بأزمة من حين إلى حين .

فالأمر كما نرى ليس مشروعاً صغيراً نفذه سليمان كما اتفق ، وإنما هو شيء يسهل معه تصـور ماجـاء في القـرآن الكريم حول ضخامة الجهد الذي بذله سليمان بن داود لجعل عاصمة ملكه لاتقل لا دينياً ولا سياسياً ولا إدارياً ولا عسكرياً عن أية عاصمة في المنطقة ، فنحن نعلم أن الفناء الخارجي لمعبد سليمان كان يحتوي على حوض ضخم جداً مصبوب من البرنز وقائم على تماثيل لاثني عشر ثوراً تمثل الأسباط الاثني عشر ، وكان هذا الحوض يسمي « بحـر النحـاس » ، ولعله المقصود به « جفانٍ كالجواب » كما جاء في قوله تعالى ( ولسليمان الريح غُدوُّها شهرٌ ورَوَاحُها شهرٌ وأسَلْنا له عين القطْرِ ومن الجّن من يعمل بين يديـه بإذن ربـه ومن يزغ منهم عن أمـرنـا نُذقـهُ من عذاب السعـير . يعملون له مايشـاءُ من محاريبَ وتماثيلَ وجفانٍ كالجواب وقدورٍ راسياتٍ اعملوا آل داَود شُكراً وقليل من عبادي الشُكورُ » ( سورة سبأ آية ١١ ، ١٢ ) .

ورأينا نموذجاً من الجفان والتماثيل أما المحاريب فلنا أن نتصور أن هذا المعبد المنقسم إلى ساحـة خارجية ثم فنـاء مكشـوف ثم صـالـة مسقـوفـة ثم صالـة داخلية فيها قدس الأقداس ، كل هذا كان يتضمن عدداً كبيراً من المحاريب حتى يستطيع العامة في الساحة وفي الفناء المكشوف أن يشاركوا في الشعائر مع الخاصة في البهو المسقوف وخاصة الخاصة ومن بينهم الملك وكبار الكهنة في قدس الأقداس .

ومن المفيد أن أذكر للقاريء نص ماجاء في سفر الملوك الأول الاصحاح الخامس فقرة ١٣ ـ ١٦ « وسخّر الملك سليمان حشوداً كبيرة من بني اسرائيل تقدر بحوالي ثلاثين ألف رجـل ، فأرسلهم إلى لبنـان ، عشـرة آلاف في الشهـر من النوبة ، يكونون شهراً في لبنان

وشهرين في بيوتهم ، وكان أدونيرام على التسخير ، وكان لسليمان سبعون ألفاً يحملون أحمالاً وثمانون ألفاً يقطعون في الجبل . . . وأمر الملك أن يقلعوا حجارة كبيرة ، حجارة كريمة لتأثيث البيت ، حجارة مربعة » . ويتضح لنا من نص سفر الملوك أن عدد الصناع الذين اجتمعوا في القدس ضخم جداً ويزيد على مائة وخمسين ألف عامل .

وهكذا يبدو لنا أنه لا تعارض بين ماجاء في القرآن الكريم من أبهة مُلْك سليمان وماورد في العهد القديم ( سفر الملوك الأول ) ، ولذلك نشعر أن مُلْك سليمان كان أبعد مايكون عما أراد الباحثون[1] أن يصفوه به من الصغر والفقر والتقشف ، وإلا لما واجه هذا التمرد الذي تواتر في المأثور أن سببه الظاهر كان الاسراف ، وكذلك تواتر في هذه المأثورات اليهودية أنه بعد الفراغ من البناء واستقبال ملكة سبأ ، أن بني اسرائيل قد تمردوا على سليمان لكثرة نفقات المملكة وإمعانه في توفير وسائل البذخ ، مما أرهقهم بالضرائب لدرجة أنه لكي يقر عدالة التوزيع بينهم جعل الانفاق على المملكة على كل سبط من الاثني عشر شهراً من السنة .

ولعله من المفيد أن نُذَكِّر اليهود بأن الحرم الاسلامي الشريف أقيم في نفس المنطقة التي كان « ملكي صادق » يدعو فيها باسم الله العلي في زمن سيدنا ابراهيم ، ومن المرجح أن السور الذي كان يحيط بمنطقة الهيكل على عهد سليمان ، كان مربعاً طول ضلعه مائة وثمانون متراً . ولقد وقفنا على دراسة دقيقة للأثر الفرنسي « دي سولسي » في كتابه « تاريخ الفن اليهودي » ، يشير فيها إلى أن مقاييس الحرم الاسلامي الشريف في نفس المنطقة هي « الضلع الشرقي لسور الحرم طوله ٣٨٤ متراً » ، والضلع الجنوبي ٢٢٥ متراً ، ثم يمتد الضلع الغربي في خط مستقيم بزاوية منفرجة ، وبذلك يصبح الضلع الشمالي من السور أطول بكثير من الضلع الجنوبي . وعلى ذلك فمساحة الحرم الشريف أكبر من ضعف مساحة جبل الهيكل داخل أسوار سليمان أو نحميا أو هيردوس » .

وقد يكون من أبرز المعالم التي تميز الحرم الاسلامي الشريف أنه مستطيل ويأخذ الاتجاه

---

(١) ومن اللافت للنظر أن الأساطير التي نُسجت عن فخامة هذا الهيكل وضخامته لايمكن أن تكون قد نجت من شطحات الخيال ، ولذلك وصلت إلينا مبالغاً فيها أشد المبالغة ، وليس أدل على ذلك من أقوال الكاتب اليهودي الأمريكي لويس براون في كتابه بعنوان « حياة اليهود » مانصه « إن انجازات سليمان في القدس ، وفي مقدمتها قصره الملكي كانت تبدو في عين اليهود السذج من رعيته فخمة فخامة تفوق التصور ، مع أنها لو قورنت بالقصور الهائلة في مصر وبابل أو الهند لبدت ضئيلة سمجة الذوق » .

راجع د . حسن ظاظا : اسرائيل ركيزة للاستعمار ـ ص ٩٢ .

من الشمال الى الجنوب في اتجاه قبلة مكة المكرمة ، على خلاف هيكل سليمان فبرغم استطالته فهو يأخذ الاتجاه من الغرب الى الشرق(١) .

كل هذا ينفي نفياً قاطعاً الرأي القائل بأن هيكل سليمان يقوم مكان الحرم الاسلامي الشريف ، ولا دليل لليهود سوى العنعنات التي اتخذت في نفوسهم منزلة مقدسة يكررونها عبر الأجيال .

(١) ظاظا : اسرائيل ركيزة للاستعمار ـ صفحات ١١٦ ـ ١١٧ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

# الفصل الثالث

# القدس

## موجز لتاريخ القدس منذ انقسام مملكة بني إسرائيل بعد سليمان

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

# موجز لتاريخ القدس منذ انقسام مملكة بني إسرائيل بعد سليمان

## الانقسام وانتشار الوثنية بين اليهود

انعكست مظاهر الترف في عهد سليمان على عاتق سكان فلسطين ، حيث أقام نظاماً للضرائب الباهظة من أجل بناء الهيكل وملحقاته وفي سبيل تحقيق هذا قام بتقسيم المملكة - فيما عدا يهوذا - إلى اثنى عشر قسماً ادارياً لا تتوافق في حدودها مع حدود الأسباط الاثنى عشر ( ١ ملك ٤ : ٤ - ١٨ ) ، وعين حكاماً على كل قسم وذلك لتسهيل جباية الضرائب من رعاياه وتجهيز الامدادات الخاصة بالبلاط الملكي شهراً كل سنة ( ١ ملك ٤ : ٧ ) . ومن ناحية أخرى فقد كان هدفه كذلك جمع شملهم ومحاولة القضاء على النزعة الانفصالية بينهم[١] .

وقد اعتبرت الأسباط الشمالية بناء الهيكل في الجنوب على أنه مركز لجباية الضرائب ، واساءة في حقهم أكثر منه اجتذاباً لهم ، وهكذا كانت الزيادة الكبيرة في الضرائب مع التقسيم الاداري الجديد سبباً في اندلاع الثورة وتفجرها لأول مرة أثناء حكم سليمان نفسه والتي تم اخمادها حوالي عام ٩٤٣ ق . م واضطر زعيمها يربعام بن نباط للهرب إلى ششنق فرعون مصر وأول ملوك الأسرة الثانية والعشرين[٢] .

وبعد موت سليمان انتهى النفوذ اليهودي في فلسطين ، وطفت على السطح مظاهر الانفصال والشقاق القديم بين الأسباط الشمالية والأسباط الجنوبية ، فما كاد ابنه « رحبعام » يخلفه على العرش حتى ثارت عليه الأسباط للشمالية ، وذلك عندما أدرك أنه من الحنكة السياسية أن يحضر اليهم في الشمال لكي يبايعوه ملكاً ، ولكنهم رفضوا مبايعته بعد رفضه تخفيض الضرائب عن كاهلهم وهرب إلى القدس ( ١ ملك ١٢ : ١٨ ) ، حيث بايعه سبطي يهوذا وبنيامين ملكاً على بني اسرائيل في الجنوب .

(١) اشعيا برس : محقريم بيديعت هأرتس وطبوجرافيا مقرائيت .
( بحوث في الجغرافيا والطبوغرافيا التوراتية ) .
راجع يوحنان أهاروني : المرجع السابق صفحات ٢٦١ - ٢٦٢ .

(٢) B . Porten : Archives From Elephantine P . 7 (1968) .

وفى الوقت نفسه بايعت الأسباط الشمالية يربعام بن نباط من سبط افرايم ـ الذي عاد من مصـر بعـد موت سليـمان ـ ملكاً على بني اسرائيل في الشمال ( ١ ملك ١٢ : ١٩ ) ، واتخذ شكيم ( نابلس ) عاصمة له[١] ، ثم نقل العاصمة إلى فينوئيل على مخاضة اليبوق عبر الأردن ، وربما كان ذلك تفادياً للتهديد المسلح من جانب مملكة يهوذا ومصر أيضاً ، بالاضـافـة إلى أنها كانت معـرضـة دائـماً للهجـوم من جانب آشـور وبعض الدويلات الآرامية ، في حين أن مملكة يهوذا كانت حدودها آمنة فيما عدا حدودها مع مصر[٢] ، وبعد ذلك نقل يربعام عاصمته من فينوئيل إلى ترصة[٣] ، حيث استقر بها . ( ١ ملك ١٤ : ١٧ ) .

ويبدو أن يربعام عمل على توسيع شقة الانفصال بين المملكتين « اسرائيل ويهوذا » ، ولذلك بنى معبدين أحدهما في « دان » في الشمال والآخر في « بيت ايل » ( بيتين ) الذي اتخـذه مزاره الملكي المقـدس ، وكان يربعام قد أحاط هذين المعبدين بهالة من القدسية ليعوض الأسباط الشمالية عن نقص « تابوت العهد » وغيره من الأشياء التقليدية المقدسة واليهودية المرتبطة بهيكل سليمان في القدس ، وفي سبيل تحقيق ذلك زوّدهما بعجلين ذهبيين وخصص فريقاً من الكهنة لخدمة المعبدين وأداء الطقوس الدينية ؛ وربما أن يهوه لم يعد رباً لاسرائيل ذلـك لأنها اعتـادت تجسيد يهوه في شكـل عجـل ، ولم يكن ذلـك جديداً في اسرائيل ، وربما كان هذا كتقليد للآراميين المجاورين الذين كانوا يُسَرُّون من تمثيل بعل هدد في شكل عجل أو ثور[٤] ( ١ ملك ١٢ : ٢٨ ـ ٣٢ ) .

وهذه الصورة القاتمة تأتينا من المصادر الجنوبية في يهوذا ، ولكن المصادر الشمالية تعطي تقييماً مختلفاً تماماً لما قام به يربعام ، فمن الواضح أن يربعام وبقية ملوك اسرائيل لم يلقوا يهوه خلف ظهـورهم ، ولم يعتـبروا العجـول الذهبية آلهة أخرى ، وهذا مخالـف لما كتبه المؤرخ الجنوبي ( ١ ملك ١٤ : ٩ ) ، فالملك ياهو ( كما سيرد فيما بعد ) الذي أشارت اليه النبـوءات على أنـه سيكـون محطـماً للآلهـة البعليـة الكنعـانيـة لم يقم بإزالـة العجـول الذهبية ، ولم

---

(١) The Jewish Ouarterly Review , Vol . 58 (1967 – 1968 ) .
Eva Denelius , The Sine of Jeroboam Ben – Nebat P . 100 .
(٢) A . Olmstead : History of Assyria P . 131 .

(٣) ترصة مدينة كنعانية قديمة هزمت على يد يوشع بن نون ( يوشع ١٢ : ٢٤ ) ، وموقع ترصة غير معروف على وجه الدقة ، وأكثر الافتراضات احتمالاً أنه قريب من مدينة السامرة التي أنشأها عمري بعد ذلك .

(٤) الامام بن حزم الأندلسي : الفصل في الملل والأهواء والنحل . الجزء الأول صفحات ١٥٢ ـ ١٥٣ ( ١٩٦٤ ) .

يلفظ النبيان « الياهو »[١] و« اليشع » [٢] بأي كلمة ضد هذه العجول ؛ واعتبارها تعبّر عن آلهـة أخرى كما جاء في سفر الملوك الأول ( ١٤ : ٩ ، ١٥ ) ، يعكس وجهة النظر الجنـوبية ، وهي على أي حال ادانة جاءت في وقت لاحق . ومن المرجح أن العجول لم تكن نماذج مجسدة لآلهة اسرائيل ، فمن الواضح أنه للدوافع السياسية التي أسلفناها ، قام يربعام ببناء معابد في مملكة اسرائيل على غرار هيكل سليمان في القدس ، ولذلك كان في حاجـة إلى رمـز يحل محل تابوت العهد[٣] الجنوبي ، فأقام العجلين الذهبيين كما أسلفنا واللذان كانا على الأرجح من النوع المجنح ، ويمكن اعتبار ذلك بمثابة تطوير أو نموذج آخر للكروب[٤] .

---

(١) الياهو : معنى الاسم « يهوه هو ربي » ويسميه القرآن الكريم الياس والياسين وقد ذكر مرة في سورة الانعام آية ٨٤ « وزكريا ويحيى وعيسى والياس كل من الصالحين » .

(٢) اليشـع : هو تلميـذ الياهو وخليفته ومعنى هذا الاسم « الله خلاص » ، ويسميه القرآن الكريم « اليسع » وقد ذكر في سورة الانعام ٨٥ « واسماعيل واليسع ويونس ولوطا وكلا فضلناه على العالمين » .

* ونحن نرى ان الاسرائيليـين كانـوا دائمًا مرتبطين بتقديس العجول بشكل أو بآخر ولولا الردة التي حدثت في عبادة العجل في سيناء ، لما تراشقوا في الشمال والجنوب بتهمة عبادة العجل ، وربما كانت قد مرت بدون لغط كبير ، فمعروف أن حوض غسل القرابين الموصوف في العهد القديم في هيكل سليمان بالقدس والمعروف باسم « بحر النحاس » ، كان يقوم على اثنى عشر عجلاً من البرونز ، ولو تتبعنا المعتقدات الخاصة بارتباط العجول عند بني اسرائيل بغيبيات دينية ، لطال بنا الحديث وخرجنا به عن المقصود .

(٣) تابوت العهد : أو تابوت الشهادة حيث أودع به لوحا الشهادة اللذان نقشت عليهما الشريعة ، وهو صندوق مصنوع من خشب السنط طوله ذراعان ونصف ( حوالي ١ر٢٥ متر ) وعرضه ذراع ونصف ( خروج ٣٧ : ١ - ٩ ) .

(٤) الكروب : يوجد في داخل غرفة قدس الأقداس بهيكل سليمان ، حيث يغطى تابوت العهد بتمثالين من الكروبين واحد على يمينه والآخر على يساره وطول جناحي الكروب الواحد عشرة أذرع ( خمسة أمتار ) وهو مصنوع من خشب الزيتون المطعم بالذهب وارتفاعه عشرة أذرع ( ١ ملك ٦ : ٢٣ - ٢٨ ) ، وكـان الـرب ـ حسب أقـوال اليهـود ـ يكلم موسى من فوق غطاء تابوت العهد من بين الكروبين اللذين يظلان التابوت . وكلمة كروب ليست عبرية خالصة وأغلب الظن أنها اشتقت من كلمة « جروبس » اليونانية ، وهو اسم كائن خرافي له جسم أسد ورأس طائر ( نسر عادة ) ، ولكن الرأي السائد أنها أكدية الأصل من مادة « كاريبا » ومادة « كرب » في الأكدية معناها « صلي » ثم تطورت فكرة الكروبين لدى اليهود في العصور اللاحقة .

راجـع اسبيتينـو موسكـاتي : الحضـارات السـامية القديمة ـص ٢٨٦ من الترجمة العربية للدكتور يعقوب بكر .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)



إذن فليس هناك فارق بين العجول والكروبين ، وينبغي ألا تضللنا الروايات اليهودية التي تحاول أن تعطي الانطباع بأن الكروبين تنطوي على أفكار دينية أكثر نقاء من العجول . وهكذا كان حال مايسمى بالمملكة الشمالية والمملكة الجنوبية المزعومتين في وقت مبكر بعد موت سليمان ، فقد كانت الوثنية متفشية في الشمال والجنوب تحت مسميات مختلفة ، كلّ يدعي لشعبه أحقية معابده بالقداسة ويحيطها بهالة من الاحترام والقدسية ويتهم جاره بالكفر ، فأين إذن الاستقرار الذي عاشه اليهود على أرض فلسطين . . . ؟ إننا على ضوء مفهومنا الشمولي لتاريخ فلسطين سنوضح بالشواهد والأدلة أن اشعاع اليهودية الروحي لم يرتبط أبداً بالعودة إلى فلسطين ، وأن تاريخ ملوكهم الهامشي يرتبط دائمًا بالتبعية لملوك مصر أو ملوك آشور .

على أن مانلحظه اليوم ونخشاه ، هو أن يُفهَم بطريق الخطأ أننا نسرد تاريخ ملوك اليهود في الجنوب والشمال ، والذي نحب أن نؤكده دائمًا أننا نتعرض لهذا التاريخ الهامشي لنوضح دائمًا الانقسام الذي نشأ بين المملكتين في معظم الأحيان والذي أسرع بانهيارهما ، وكذلك كيف استقرت الفتن في داخل كلتا المملكتين ، وكيف استمرت المؤامرات وأعمال الاغتيال والارهاب لأسباب شخصية وأخرى سياسية ودينية ، حيث تفشّت الوثنية والفساد الخلقي بين الجميع ، وجاءت الغزوات من الخارج متكررة ومتلاحقة تضعضع الكيان اليهودي في فلسطين ، فالآراميون من سورية والعمونيون والمؤابيون والأدوميون والفلسطينيون العرب ؛ كل هؤلاء ضيقوا الخناق على مملكتي اسرائيل ويهوذا ثم بدأت قوات مصر وآشور تأخذ طريقها إلى مهاجمة المملكتين المزعومتين .

## ششنق وغزو فلسطين

وفي صيف عام ٩٢٤ ق . م فتح فرعون مصر ششنق فلسطين ، ويظن بعض المؤرخين أن حملة ششنق غير مؤكدة ، إلا أن المصادر الأثرية تصور لنا سير العمليات العسكرية في مملكتي يهوذا واسرائيل ، وقد بدأ ششنق هجومه باحتلال غزة واتخذها مركزاً لتجميع قواته ، ويبدو أنه قسمّ قواته ثلاثة أقسام في ثلاثة اتجاهات ، حملتان في اتجاه النقب ، أما الحملة الثالثة والرئيسية فقد توجهت بقيادة ششنق نفسه لمهاجمة المدن الحصينة في يهوذا مخترقاً سهل فلسطين ، واستولى على عجلون وبيت حران وجبعون حيث انتظر قرار رحبعام ، إما بدفع الجزية أو الاستسلام ، ولكنه فضّل دفع الجزية ( ١ ملك ١٤ : ٢٥ ـ ٢٧ ) ، ولذلك لم تظهر القدس في قائمة المدن التي استولى عليها ششنق(١) .

(١) F . Edward : The Biblical Archaeologist Reader Vol II (1964) PP . 272 – 274 .

وبعد نجاح حملته في يهوذا استمر في تقدمه نحو مملكة اسرائيل في الشمال ، وعندما شعر يربعام بقرب وصوله ترك عاصمته ترصة وتقهقر عبر الأردن إلى فينوئيل ثم محانيم . ووجد ششنق طريقه سهلاً لاحتلال شكيم ( نابلس ) ثم اتخذ بعد ذلك ترصة قاعدة لعملياته ضد يربعام الذي استسلم ودفع الجزية واعتبر نفسه تابعاً لفرعون مصر ، وتابع ششنق هجومه في الشمال حتى مجيدو التي اتخذها قاعدة لعملياته في شمال اسرائيل وهناك أقام نصباً تذكارياً بارتفاع عشرة أقدام ( اكتشف قمته « فيشر » عام ١٩٢٩ ) ، وبعد أن اطمئن إلى تبعية ملكي يهوذا واسرائيل ودفعهما للجزية عاد إلى مصر عبر الطريق الساحلي من الكرمل وحتى غزة ، وهناك التقى بالمجموعتين اللتين كانتا في صحراء النقب وعادوا جميعاً عبر سيناء إلى مصر حيث احتفل بالنصر(١) .

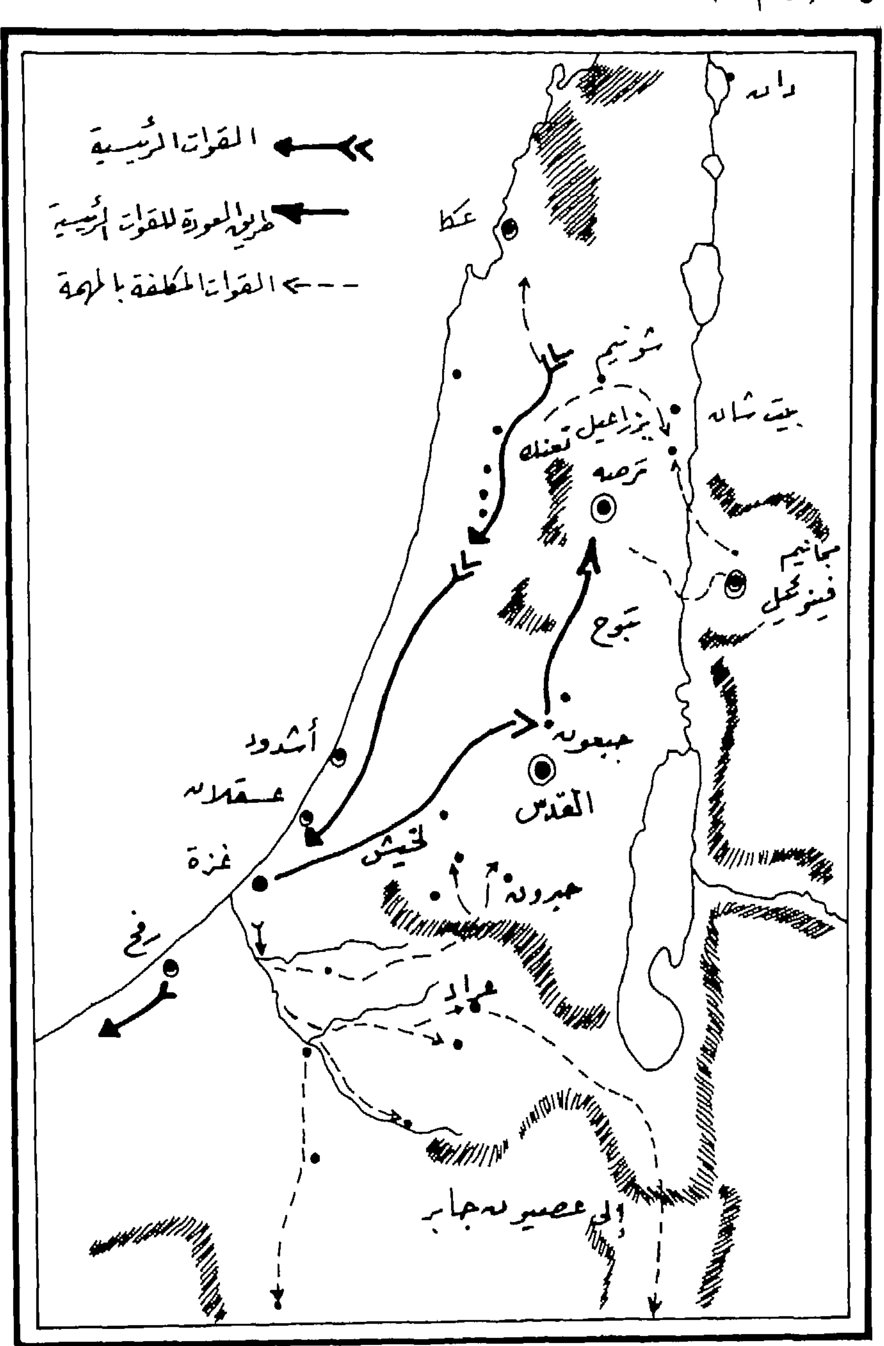
وقد سجل ششنق أعماله الحربية في فلسطين على الحائط الغربي لمعبد آمون في الكرنك ، ومن اللافت للنظر أن اسم مدينة القدس لم يرد ذكره في قائمة الكرنك للمدن التي استولى عليها ششنق ، بينما نجده واضحاً في سرد العهد القديم لهذه الأحداث ( ١ ملك ١٤ ، ٢ أخ ١٢ : ٢ ـ ٤ ) ، ويبدو أن بعض الأثريين فشلوا في العثور على اسم القدس في هذه القائمة حتى تحت اسم آخر . ويرى بعض الباحثين أن حملة ششنق شملت يهوذا فقط وأنها تمت بطلب من يربعام ملك اسرائيل ، ولكننا نجد أسماء بعض مدن اسرائيل ( تعنك ، مجيدو ، فينوئيل ) ضمن قائمة الكرنك ، ومن غير الممكن كذلك أن يكون الكتبة قد ذكروا كل الأماكن المعادية أو الصديقة التي تدفع الجزية لفرعون مصر .

ولقد وقفنا في حملة ششنق على نتيجة بالغة الأهمية ، وهي أن مملكتي يهوذا واسرائيل أصبحتا تابعتين لمصر يدفعون الجزية كل عام ، وقد انتقلت العداوة بينهما إلى أحفادهم وظلت لسنوات طويلة وإن تخللها علاقات ودية في بعض الأحيان .

وكانت وفاة يربعام ايذانا بتغيير واضح في سياسة اسرائيل ، واعتبر ذلك أحد الأسباب الرئيسية التي أدت إلى ضعفها واضمحلالها ، فعلى صعيد العصيان والتمرد نجد أن الخروج على العرف المألوف أصبح السمة الطبيعية في اسرائيل ، ـ التي لا تتمتع بأي استقرار سياسي أو اجتماعي ـ فقد أفل نجم ناداب بن يربعام وانتهى الأمر باغتياله في السنة الثانية لحكمه نتيجة مؤامرة نسج خيوطها بعشا بن أخيا ( ٩١١ ـ ٨٨٧ ق.م ) من قبيلة يسساكر ، وبذلك قضى نهائياً على أسرة يربعام ـ الذي كان من سبط افرايم ـ ( ١

(١) يوحانان أهاروني : المرجع السابق صفحات ٢٧٠ ـ ٢٧١ .
Olmstead : Op . Cit . PP . 355 – 356 .

لوحة ( رقم ٢ )




حملة ششنق الأول على فلسطين ( ٩٢٥ ق.م )

ملك ١٥ : ٢٧ - ٢٩ ) .

ويهمنا في هذا المقام أن نبرز استمرار العداوة بين المملكتين ، حيث ذهب بعشا - ملك اسرائيل - في عدائــه لمملكـة يهوذا إلى حد التحـالف مع « بن هدد » ملك الأراميين في دمشق ، واتجه إلى الجنوب مؤيداً بهذا التحالف ، واستولى على رامة المحصنة - تقع على بعد خمس أميال من القدس - لكي يغلق الطريق المؤدية إلى يهوذا ( ١ ملك ١٥ : ١٦ - ١٧ ) . ولليهود منذ فجر التاريخ أسلوبهم في الدهاء السياسي والذي يتخذونه أساساً في حل مشاكلهم ، وخير من يمثل هذه السياسة آسا ملك يهوذا الذي نجح في استمالة « بن هدد » إلى جانبه بما قدمه له من العطايا الثمينة ، وبذلك انقلب بن هدد على حليفه ملك اسرائيل . وتتكرر حوادث الاغتيال بقتل ايلاه بن بعشا ثم باعدام القاتل خلال أسبوع واحـد من اعتـلائه العرش ويصبح عمري « قائد الجيش » ملكاً على اسرائيل ( ٨٨٥ - ٨٧٤ ق.م ) ، وكان معاصراً لآسا ملك يهوذا ( ٩١٥ - ٨٧٥ ق.م ) .

وأقـام عمـري في ترصـة ست سنـوات حيث اتخذها عاصمة له ، ولكنه عندما أقام السامرة انتقل اليها متخذاً اياها عاصمة له ، وهنا نقف طويلاً أمام هذا الملك الذي ربما اتخذ سمة التمرد على كل ماهو أكبر منه ، فكان اختياره للسامرة كعاصمة مماثلاً لما فعله داود في اختياره للقـدس كمدينة محايدة عاصمة لبني اسرائيل ، ولتكون السامرة منافسة للقدس[1] . فاذا رجعنا إلى الفترة الزمنية منذ عصر يربعام الأول وحتى عمري لنعرف كيف سارت المملكة ، فإننا نرى الأخطار المحدقة بالمجتمع اليهودي في الشمال قد هدأت أيام عمري ، ومن هنا بدأ تفكيره في نقل عاصمته من ترصة بهدف أن يكون لشعبه مكاناً مقدساً للحج مثل الجنوبيين في القدس ، فبنى السامرة في هذا الوقت على طريقة سليمان عند بنائه للمعبد والقصر بملحقاته كما أسلفنا ، وهذا يعني بناء معبد وقصر وحي ملكي بالاضافة إلى سور للمدينة تتخلله بوابات وأبراج[2] .

وتقع السامرة في وادي سعير ولها موقع استراتيجي يسيطر على الطريق الشمالي الجنوبي في مواجهة أي زحف من مملكة يهوذا ، بالاضافة إلى سهولة اتصالها بفينيقيا التي كان يرتبط معهـا بمعـاهدة تحالف وتبعد السامرة عن القدس بحوالي اثنين وأربعين ميلاً إلى الشمال وخمسة وعشرين ميلاً إلى الشرق من صور . ومن اللافت للنظر أيضاً أن عمري قد استعان بالمهندسين والعمال الفينيقيين في بناء قصره وملحقاته كما فعل سليمان من قبل .

---

(١) A . Alt : Essays on O . T ., History and Religion PP . 322 – 323 .

أهاروني - المرجع السابق صفحات ٢٧٧ - ٢٧٨ .

(٢) G . A . Smith : Historical Geography of Holy Land PP . 227 (1966) .

ويبدو أن الكراهية بين الشمال والجنوب قد امتدت آثارها إلى العهد القديم ، الذي كان يتجاهل غالباً الأحداث التي يرد فيها انتصار المملكة الشمالية على مملكة يهوذا في الحروب ، وفي ذلك نعتمد على النقوش الآشورية وغيرها في استقاء المعلومات التي يغض العهد القديم عن ذكرها . ويبدو أن عمري قد دفع الجزية لآشور ناصر بال الثالث ( ٨٨٠ ـ ٨٦٠ ق.م ) تفادياً لصدام مسلح مع آشور ، وهذا يدل على استمرار تبعية اسرائيل لآشور بعد ماكانت تابعة لفرعون مصر ششنق .

واضطر عمري ـ تحت ضغط بن هدد ملك الأراميين ـ إلى التنازل عن عدد من المدن التي تقع شرق الأردن ومن بينها راموت جلعاد ( ١ ملك ٢٠ : ٣٤ ) ، كما سمح للأراميين مضطراً بأن يقيموا داخل السامرة أسواقاً خاصة بهم أشبه بالمواني المفتوحة وأعطاهم « حق امتياز التجارة لشعب دمشق » ، ذلك لأن التجار الأراميين اتخذوا من دمشق طريقاً للتجارة ينقلون عبرها تجارتهم إلى ساحل البحر الأبيض ، ولم يحصل عمري للسامريين في دمشق على امتيازات مماثلة[1] ( ملك ٢٠ : ٣٥ ) . وفي مواجهة تهديدات دمشق قام عمري بتوثيق علاقاته مع فينيقيا ، وزوّج ابنه آحاب من ايزابيلا ابنة إتوبعل ملك صور ، وهذا يذكرنا بالتحالف الذي كان قائماً بين صور وبين داود وسلميان ، وهذا الخط أصبح تقليداً التزم به ملوك اسرائيل الشمالية بعد ذلك .

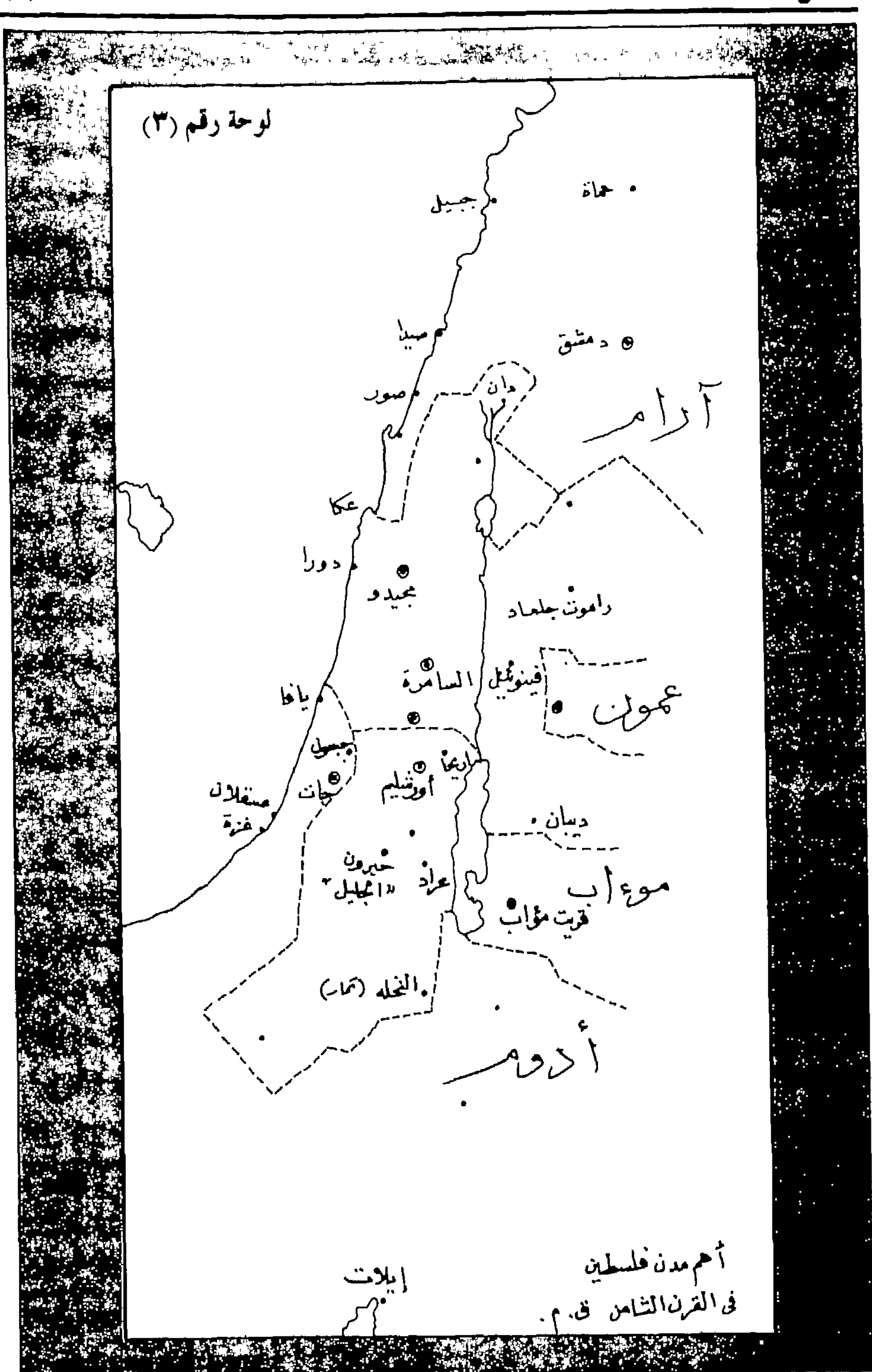
وقد تحسنت علاقاته مع مملكة يهوذا ـ بعد فترة طويلة من التنافس والكراهية تخللتها بعض الحروب ـ وقد عقد آحاب بن عمري ( ٨٧٤ ـ ٨٥٢ ق.م ) معاهدة تحالف مع يهود شافاط ( ٧٦٣ ـ ٨٤٩ ق.م ) ، ملك يهوذا ( ٢ ملك ٨ : ١٨ ) ، وتوثيقاً لتحالف آحاب مع ملك صور فقد سمح بإقامة معبد لبعل صور ( ملكارت ) في السامرة ( ١ ملك ١٦ : ٣١ ـ ٣٣ ) ، ومن المرجح أن تكون عبادة الاله الكنعاني أشيرا قد دخلت من قبل إلى السامرة .

ولقد وقفنا في هذا الفصل على دراسة هامة مؤداها أن اليهود ليسوا فقط الشاغلين لفلسطين في القرنين التاسع والثامن قبل الميلاد ، بل كان المؤابيون والأدوميون والفلسطينيون والأراميون والكنعانيون وغيرهم من العرب يقطنون فلسطين ، وهذا واضح من خلال الصراعات الطويلة في المنطقة ، بالاضافة إلى ذلك فلم تكن المملكتان القائمتان على أسس ضعيفة في وضع يسمح لهما بالاستقرار على الاطلاق ؛ فالصراع بينهما لايهدأ وكذلك صراعهما مع الأراميين في دمشق ، وهم لايستطيعون بحال من الأحوال المطالبة بوضع استثنائي لهم في سياق تاريخ منطقة فلسطين ، وجانب كبير من تاريخ

(١) LODS : Isreal P . 377

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)





اليهود في هذه الفترة يتخذ أشكالاً متكررة ، فالانقلابات العسكرية يكاد يكون طابعها متماثل .

وبعد أن انتهى النفوذ السياسي لأسرة عمري بمقتل يورام ملك اسرائيل ، حكمت أسرة ياهو في الفترة الممتدة بين عام ٨٤٢ وعام ٧٤٣ ق.م ، وكانت السمة الغالبة لهذه الفترة هي سيادة آشور على مملكتي اسرائيل ويهوذا ، ومن ناحية أخرى فقد أطيح بحكم عتاليا[1] ( ٨٤٢ - ٨٣٧ ق.م ) ملكة يهوذا ، وذلك بإعدامها بعد حكم دام ست سنوات ، ولعل ذلك كان نتيجة لثورة شعبية ضد عبادة بعل ( ٢ ملك ١١ : ١٥ - ١٨ ) . وقصة عتاليا يكتنفها كثيراً من الغموض ، فبعض الروايات يشير إلى أنها بدأت الحكم بذبح كل أمراء الأسرة المالكة - أي جميع أحفادها - ، ويرى لودز أن هذه القصة تبدو كقصة شعبية مشوهة لمذبحة ياهو الذي قتل فيها اثنين وأربعين أميراً من يهوذا ( ٢ ملك ١٠ : ١٤ ) ، أو ربما كان مصدرها بعض النبلاء الذين أذلهم حكم ملكة لم تكن من أهل يهوذا ، ولعل ذلك يفسر تفسيراً كافياً المؤامرة التي أدت إلى الاطاحة بها[2] .

وهكذا استمرت المؤامرات تحاك في الشمال والجنوب مع الاستيلاء على السلطة بكل الوسائل غير المشروعة ، ولكن هكذا عاش اليهود دون أي استقرار على عكس مايدعون .

وفي فترة حكم يهو آحاز بن ياهو ( ملك اسرائيل ) خضعت اسرائيل لحزائيل ملك دمشق ( ٢ ملك ١٣ : ٣ ) خضوعاً تاماً تحت وطأة السلاح ، وفي نفس الفترة دفع يوآش ملك يهوذا ( ٨٣٧ - ٨٠٠ ق.م ) الجزية للملك الأراميين حزائيل .

وفي فترة حكم يوآش بن يهو آحاز ( ملك اسرائيل ٨٠١ - ٧٨٦ ق.م ) - المعاصر لامصيا ملك يهوذا - هاجم القدس واستولى على كنوز المعبد والقصر ودمر جزءاً من سور المدينة ( ٢ ملك ١٤ : ١٣ - ١٤ ، ٢ أخ ٢٥ : ٢٢ - ٢٣ ) ولما أكمل انتصاره على يهوذا ، لم يجد بأساً من ترك أمصيا - بعد هزيمته - ملكاً بلا سلطة تحت نفوذ مملكة اسرائيل ، وهكذا استعادت المملكة الشمالية تفوقها على يهوذا مرة أخرى .

على أن مانلحظه في هذه الفترة أن أمور الحكم لم تستقر على قوائم ثابتة في اسرائيل بشكل متواصل ، وان أحوالها لم تهدأ نسبياً إلا عندما اعتمد يوآش - ملك اسرائيل - على

(١) عتاليا هي ابنة آحاب ملك اسرائيل من زوجته الفينيقية ايزابيلا ، وقد تزوجت من يورام بن يهو شافاط ملك يهوذا ( ٢ ملك ٨ : ١٨ ) ، ثم تولى العرش بعده ابنه أحازيا الذي قتله ياهو ( قائد الجيش الذي أصبح ملكاً لاسرائيل ) مع يورام ملك اسرائيل ، وبعد موت أحازيا اعتلت الأم عتاليا عرش يهوذا ست سنوات .

(٢) LODS : Isreal P . P 385 .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)



آشــور في مساندته ضد آرام ، وذلك بعد أن دفع إلى الملك الآشوري أددنيراري الثالث ( ٨١٢ ـ ٧٨٢ ق.م )[١] .

وفي عهـد يربعـام الثـاني ( ٧٨٣ ـ ٧٤٣ ق.م ) شهـدت مملكة اسرائيل آخر فترات استقرارها ، وبعد وفاته عاد التآمر ـ الذي كان الصفة الغالبة في الحياة السياسية لمملكة اسرائيل ـ باغتيال زكـريا ابن يربعام الثاني بعد ستة أشهر من اعتلائه العرش ، ومالبث الجاني نفسه أن وقع ضحية مؤامرة بعد شهر واحد من توليه الحكم ، حيث جاء مناحم بن جادي ( ٧٤٥ ـ ٧٣٥ ق.م ) من ترصـة واستـولى على السـامـرة وتولى الملك لمدة عشر سنوات . ويبدو أن هذه الفترة موضع شك حيث أن ما أورده العهد القديم يخالف ماجاء في حوليات تغلات فالصر الآشوري ( ٧٤٥ ـ ٧٢٧ ق.م ) . وهكذا سادت الفتن داخل اسرائيل فاستخدم مناحم النمط الأشوري الوحشي عند استيلائه على العرش ( ٢ ملك ١٥ : ١٦ ) . ونلاحظ أن أول مرة تخترق فيها القوات الآشورية أرض فلسطين كانت في عهـد تغـلات فالصر الثـالث ، ولذلك اضطر مناحـم أن يدفع جزية كبيرة حتى يحتفظ بعـرشـه ، وعـلى أثـر ذلك غادر الملك الأشوري أرض اسرائيل ( ٢ ملك ١٥ : ١٩ ـ ٢٠ ) . وقـد عاصر النبي هوشـع هذه الفترة التي اتسمت بالاضطرابات وندد بخضوع مناحم لآشور ( هوشع ٧ : ١١ ، ٨ : ٩ ) .

## يقظة الفلسطينيين وضعف الكيان اليهودي

كان تاريخ يهوذا كتـاريخ اسرائيل يتحكم فيه التنـافس بين مصر وآشور ، فبعد فترة قصيرة من تولي آحاز ملك يهوذا ( ٧٤٢ ـ ٧٢٦ ق.م ) اخترقت قوات آرام واسرائيل أرض يهوذا من الشمال ، في حين ثار الأدوميون ضد يهوذا في الجنوب ومن ثم فقدت كل ممتلكاتها شرق الأردن ، واستيقظ الفلسطينيون في الغرب وقاموا بغزو القطاع الشمالي الغربي ليهوذا ودمـروا المنطقة حتى وادي عجلون ، واستمرت غزواتهم متكررة متلاحقة تضعضع من كيان يهوذا ، إذ غزا الفلسطينيون المدن الواقعة في سهل فلسطين واستولوا على مدينة بيت شمش وتمنة وسوكة ( ٢ أخ ٢٨ : ١٨ ) ، كل هؤلاء ضيقوا الخناق على آحاز الذي هزم واضـطر إلى تحصـين نفسـه داخـل القـدس ، ومن المحتمـل أنه قدم قرباناً بشرياً طبقاً للطقوس الكنعانية القديمة كما فعل ميشع ملك مؤاب من قبل ، ولكن القوات الفلسطينية

(١) ٢ ملك ١٣ : ٢٤ ـ ٢٥ .

راجع : Jos Ant , IX , VIII , 6 , 7 .

والأدومية والأرامية أحكمت الحصار ( ٢ ملك ١٦ : ٥ ) ، وحتى يتجنب آحاز كل هذه الضغوط أرسل في طلب المساعدة من تغلات فالصر الثالث ودعمّ طلبه بارسال كنوز المعبد وخزائن القصر الملكي ، وفي سبيل تدعيم الصداقة مع آشور أقام آحاز مذبحاً في القدس على الطراز الأشوري وعمل على تشجيع عبادة الكواكب البابلية في القدس . وقد ندد النبي اشعيا ـ الذي كان بين المحاصرين في القدس ـ بالبدع الوثنية وعارض السلطة الملكية معارضة صريحة ، مطالباً الملك باللجوء إلى الرب بدلاً من اعتماده على آشور أو تقديمه القرابين البشرية ( ١ شعيا ٧ : ٣ ـ ٥ ) .

وطبقاً للمصادر الأشورية فإن تغلات فالصر قد بدأ حملته ( عام ٧٣٤ ق . م ) ، والتي أديرت باستراتيجية بارعة بهدف اخضاع آرام واسرائيل والفلسطينيين حتى يفك الحصار عن يهوذا ، وقد نجح الملك الأشوري في تحقيق هدفه ، حيث سقطت في يده آرام ونفى عدداً كبيراً من الأراميين إلى آشور ، وبعد سقوط دمشق قامت القوات الأشورية بغزو مملكة اسرائيل التي استسلمت للغزو وفقدت كل أراضيها في الجليل وشرق الأردن . وجاء في حوليات تغلات فالصر عن هذه الحملة مانصه ( قمت بضم جميع مدن بيت عمري ( مدن اسرائيل ) في حملاتي السابقة ولم أترك سوى مدينة السامرة . . . أخذت نفتالى بأسرها وضممتها إلى آشور وعهدت برجالي حكاماً عليها ، وجميع سكان أرض عمري وممتلكاتهم حملت إلى آشور ) .

واستمرت اسرائيل تدفع الجزية لأشور حتى اعتلاء سلمانصر الخامس ( ٧٢٧ ـ ٧٢٢ ق . م ) عرش آشور ، وعندئذ رفض هوشع ملك اسرائيل دفع الجزية اعتماداً على مساندة مصر له ، وفي أعقاب ذلك حاصر سلما نصر السامرة عدة سنوات توفي خلالها وخلفه سرجون الثاني ( ٧٢٢ ـ ٧٠٥ ق . م ) على عرش آشور ، وفي السنة الأولى من حكمه ـ بعد حصار دام ثلاث سنوات ـ سقطت السامرة ( عام ٧٢٢ ق . م ) ، وتبع ذلك سقوط المملكة الشمالية تماماً في أوائل عام ٧٢١ ق . م ، وكان التدمير الأشوري لاسرائيل يعتبر تهديداً مباشراً للقدس التي تقع على مسافة عشرين ميلاً تقريباً من الحدود الجنوبية لاسرائيل .

وجاء في حوليات الملك الأشوري سرجون الثاني مانصه : « في بداية حكم الملك أنا . . . بلد السامريين حاصرتها وفتحتها . . . لأجل الاله . . . الذي جعلني أحرز النصر . . . وقد نفيت ٢٧٢٩٠ شخصاً من سكانها وجهّزت من بينهم جنوداً ليقودوا خمسين عربة لأجل حرسي الملكي . . . وقد أعدت بناء المدينة بأحسن مما كانت عليه من قبل وأسكنت فيها أناساً من ممالك فتحتها ( أنا ) ونصبت ضابطاً من ضباطي حاكمًا عليهم

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)



وفرضت عليهم ضرائب . . . . . » .

وإلى جانب ما تبقى من سكان اسرائيل بعد هزيمتها نقل اليها الأشوريون بعض القبائل العربية : ثمود والعباد ( أباديدي وهو اسمها باللغة البابلية ) التي هزمها سرجون ، بالاضافة إلى ذلك أحضر ملك آشور عناصر شتى من بابل وكوت وحماة وعوا وأسكنهم مدن السامرة .

## سياسة سنحاريب مع الفلسطينيين الأصليين

وعلى هذا النحو ينتهي تاريخ مملكة اسرائيل بسقوط عاصمتها السامرة عام ٧٢٢ ق.م ، لتصبح مملكة يهوذا الجنوبية معرضة للهجوم الأشوري ، وعندئذ اعتبر ملوك يهوذا أنفسهم خلفاء لملوك اسرائيل ومن ثم حاولوا أن تمتد حمايتهم وتأثيرهم على سكان المملكة الشمالية المنهارة والذين بقوا بعد التغريب الأشوري .

وبعد موت سرجون الثاني خلفه ابنه سنحاريب ( ٧٢٢ ـ ٧٠٥ ق.م ) ، وفي هذه الفترة كان حزقيا ملكاً على يهوذا ( ٧٢٦ ـ ٦٩٨ ق.م ) وقد سار على نهج والده في سياسته المهادنة لأشور ومن ثم فقد استمر في دفع الجزية لها ، بينما حاول التقرب إلى مصر ، ولهذا السبب غضب سنحاريب عليه وصمم على مهاجمة يهوذا ، فلما أحس حزقيا بخطر الحصار الأشوري ، بدأ في تحصين أسوار القدس وشق نفقاً أسفل المدينة انسابت من خلاله مياه جيحون إلى داخلها . وفي تلك الظروف استنجد حزقيا بفرعون مصر الذي لبى نداءه والتقى مع قوات حزقيا في مواجهة سنحاريب شمال عسقلان ، وانتهت موقعة «ايلتكه» بانتصار القوات الأشورية ، ونحن هنا نعتمد على حوليات سنحاريب المنقوشة على جدران قصره في نينوي والتي تشير إلى أنه واصل احتلاله للمدن الحصينة في يهوذا بعد تدميرها ثم سبى من أهلها ١٥٠ر٢٠٠ ألفاً من مختلف الأعمار ـ وهم رقم خيالي مبالغ فيه ـ بالاضافة إلى الغنائم التي لا تعد ولا تحصى من الجمال والخيول والماشية . ثم قام بتسليم مدن يهوذا إلى ملوك فلسطين في أشدود وعقرون وغزة ، ثم اتخذ لكيش مقراً لقيادته وقاعدة لانطلاق جيشه لحصار القدس[١] ، ولكن ترك حصارها وسحب قواته إلى نينوي لأسباب وقف عندها المؤرخون بلا إجابة شافية ، ولكن من الواضح أن الأحوال في آشور حتمت عودته .

في سرد أحداثه عن مهاجمة سنحاريب لمدن يهوذا واستيلائه عليها ( ٢ أخ ٣٢ : ١ ) ، حيث أعقب ذلك اعتذار حزقيا لسنحاريب الذي قام بتحديد قيمة الجزية ( ٢ ملك

(١) M . Jastrow : The Civilization of Babylonia and Assyria PP . 177 – 178 .

١٨ : ١٣ ـ ١٥ ) ؛ وطبقاً لرواية العهد القديم فقد بعث سنحاريب من مركز قيادته في لاخيش جيشاً كبيراً لحصار القدس ، ولكن ملاك الرب قتل مائة وخمسة وثمانين ألفاً من جيش آشور فكانوا في الصباح جثثاً هامدة ، وقد ترتب على ذلك فك الحصار عن القدس وعاد سنحاريب إلى نينوى[1] .

وهناك رواية أخرى جاءت على لسان هيرودوت ، أن فرعون مصر أرسل فئراناً إلى معسكر الأشوريين قطعت أقواسهم ونشرت الطاعون بينهم فلم يجدوا طريقاً سوى فك الحصار والعودة .

ومن الطريف أن تتفق روايتا حوليات سنحاريب والعهد القديم ، على أن حزقياً أرسل في طلب المساعدة من مصر ، وأنه اتخذ لكيش مركزاً وقاعدة لانطلاق قواته لحصار القدس ، وأنه استولى على المدن الحصنية في يهوذا ، ولكن رواية العهد القديم أغفلت المعركة التي انتصر فيها سنحاريب على قوات يهوذا والقوات المصرية وكذلك لم تذكر الأسرى والغنائم التي سباها الى آشور بينما ذكرت رواية العهد القديم اعتذار حزقياً لسنحاريب ودفعه الجزية المقررة ، كما اعترفت باستيلائه على المدن الحصينة في يهوذا في حين أغفلت عن عمد الاشارة إلى تسليم هذه المدن إلى ملوك فلسطين في أشدود وعقرون وغزة .

وعلى الرغم من عدم سقوط القدس ، إلا أن الجيش الآشوري دمر ماحولها من مدن وسبى أهلها الى آشور ، وسمح للملك حزقيا بالاحتفاظ بعرشه الهش في القدس فقط مع اعترافه بسيادة آشور وتبعيته لها ودفعه الجزية ، وظل الأمر كذلك حتى انهيار الدولة الأشورية عام ٦١٢ ق . م وسقوط عاصمتها نينوي ، حيث استغل ملك يهوذا يوشيا ( ٦٤٠ ـ ٦٠٩ ق . م ) الضعف الذي بدأ يدب في آشور في أواخر حكم آشور بانيبال ، فأعلن استقلاله عن آشور وقام بتقوية جيشه ، على أن الأمور أخذت تسير وفقاً لخطته التي بدأها باصلاحه الديني الكبير عام ٦٢٢ ق . م ، وفيه أزال العبادات الوثنية الأشورية وغيرها من العبادات الأجنبية .

وما أن انحسر سلطان آشور عن سورية وفلسطين حتى زحف فرعون مصر نخاو الثاني ( ٦٠٩ ـ ٥٩٣ ق . م ) شمالاً من محاولة للاستيلاء عليها ، وواجهه يوشيا في مجيدو ولكن ملك يهوذا هزم وقتل في هذه المعركة عام ٦٠٩ ق . م ( ملك ٢٣ : ٢٩ ) .

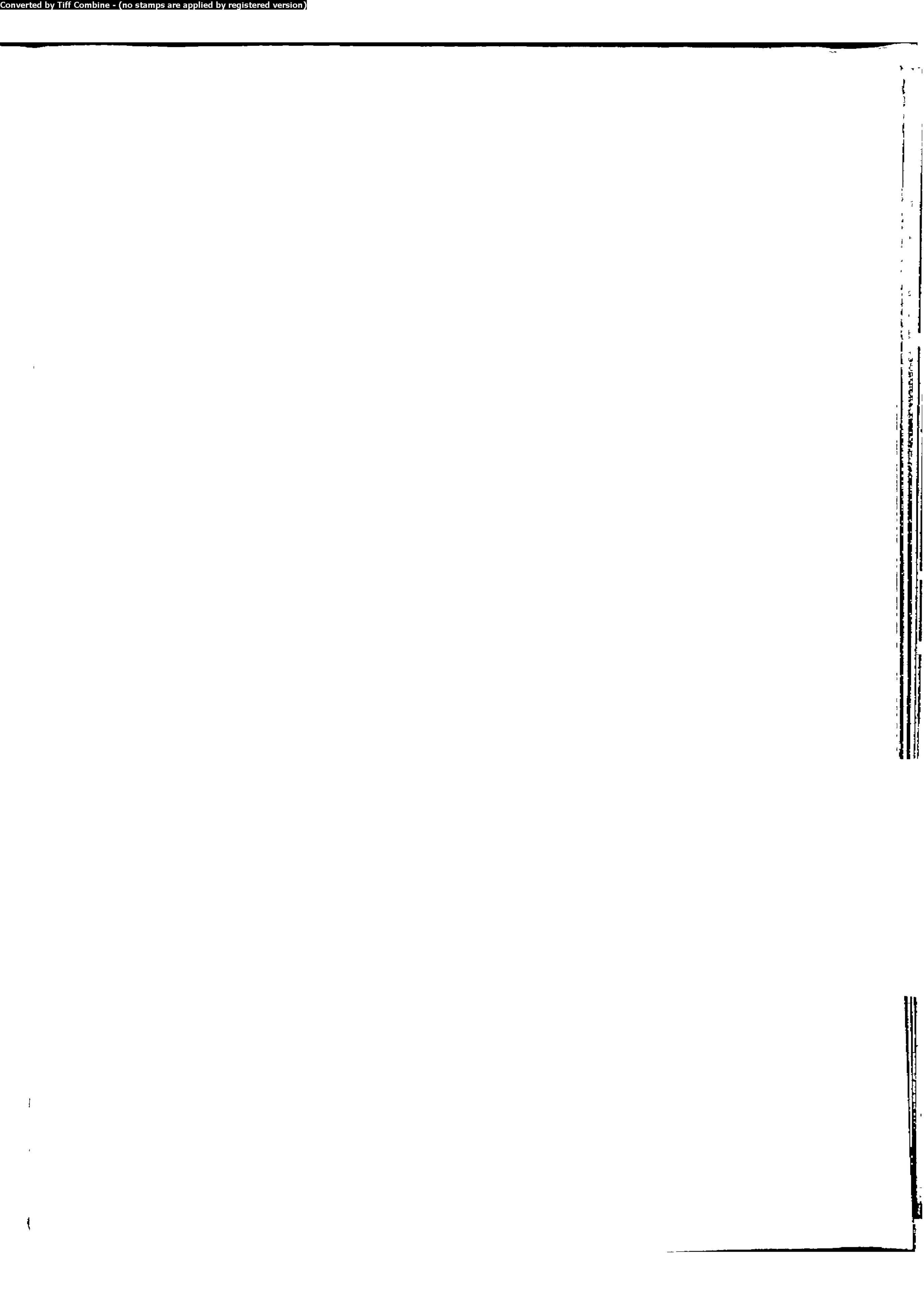
---

(١) ٢ ملك ١٩ : ٣٥ ـ ٣٦ ، اشعيا ٣٧ : ٣٦ : ٣٧ .
راجع مأزينيم : ( المجلد الثاني ) داود روبنير : بحث بعنوان : « يليشت سنحاريب ليهودا » غزو سنحاريب يهوذا ص ١٩٨٣ .

ويتضح لنا من تتبعنا لسلسلة ملوك يهوذا واسرائيل قبل يوشيا ، أن معظمهم سمح بإقامة العبادات الوثنية بجانب طقوس الديانة اليهودية ، وأن الفترة القصيرة منذ منتصف حكم يوشيا ، أصبحت خلالها القدس مركزاً للعبادة الروحية لليهود ، وذلك بعد أن قام بتحطيم عبادة بعل وعشتروت والعبادة النجمية البابلية وقضى على كهنة هذه العبادات وألغى طقوس الدعارة المقدسة التي كانت في المعابد ، وأزال مرتفعات الآلهة عشتروت وكموش ، وكذلك امتد اصلاحه إلى ماوراء القدس ، فأزال المذبح الذي أقامه يربعام بن نباط في بيت ايل . وأغلب الظن أنه في عصر يوشيا تقرر تطبيق الشريعة الموسوية ، وقد ترتب على ذلك الاصلاح الديني أن عثر الكاهن الأعظم حلقيا على كتاب الشريعة المفقود والذي أعطاه ليوشيا للاطلاع عليه ، وما أن قرأه حتى تأكد أن آباءه قد عصوا الرب ، وهو على مايبدو سفر التثنية ـ وهو مايسمى بالشريعة الثانية وهو تلخيص للشريعة الموسوية ـ وعلى أثر ذلك قام يوشيا بإصلاحاته الدينية سالفة الذكر .

وعلى ذلك فمنذ انقسام المملكة بعد موت سليمان ، والمملكتان في صراع دائم ، حيث نشبت الفتنة واستمرت المؤامرات والاغتيالات واتسعت رقعة النزاع الديني بين الفرق اليهودية بعد أن سمح بإقامة الطقوس الوثنية بجوار المعابد اليهودية المركزية .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)



# الفصل الرّابع

# تدمير بختنصّر للقدس والمعبد اليهودي

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

# تدمير بختنصر للقدس والمعبد اليهودي

## تدمير بختنصر للقدس ( ٥٨٧ ق.م )

في ذلك الحين ، أي في الفترة التي تلت وفاة آشور بانيبال بأربع عشرة سنة ( سنة ٦١٢ ق.م ) ، شهدت منطقة أرض الرافدين تطورات خطيرة ، كان لها تأثيرها على الصراع داخل منطقة فلسطين ، فقد تحالف أوفاشاترا ملك ميديا ( ٦٣٣ - ٥٨٤ ق.م ) مع نبوفالصر ملك بابل ( ٦٢٦ - ٦٠٥ ق.م ) ، وهاجما نينوي فدمراها ، وعندما سقطت أمامهما كان الدمار قد لحق بالامبراطورية الأشورية فاقتسماها وأخذ الميديون أعالي دجلة حتى تخوم آسيا الصغرى ، بينما أصبح مابقي من الامبراطورية وسورية وفلسطين تحت سيطرة بنوفالصر وأسرته الكلدانية ( البابلية الجديدة ) .

وبعد أن تولى بنوخذ نصر[1] ( بختنصر ٦٠٥ - ٥٦٢ ق.م ) الحكم بعد وفاة والده بنوفالصر ، أراد أن يوطد مركزه في فلسطين - كانت مصر وآرام متحدتين تحت حكم فرعون مصر نخاو الثاني الذي قرر مواجهة القوة البابلية الجديدة - فهزم فرعون في موقعة قرقميش عام ٦٠٥ ق.م .

ومن الواضح أن مصر كانت هدفاً لمطامع بختنصر ، فبدأ بفتح الطريق اليها ، وذلك بإسقاط مملكة يهوذا في القدس ، فعندما شعر ملكها يهوياكين بخطر الهجوم البابلي استسلم في مارس ٥٩٧ ق.م بعد ثلاثة شهور من توليه الحكم وجنّب المدينة الدمار في ذلك الحين ، وأخذ أسيراً إلى بابل ، وسبى بختنصر الرؤساء وكل من يصلح للقتال والحرفيين ( ٢ ملك ٢٤ : ١٣ ) ، وبعد ذلك نكّل بملكهم صدقيا هو ( ٥٩٧ - ٥٨٧ ق.م ) ، فذبح أولاده أمامه ثم أعمى عينيه ، وذلك بعد أن تمرّد على بختنصر الذي حاصر القدس تسعة عشر شهراً ( من يناير ٥٨٨ حتى يوليو ٥٨٧ ق.م ) ، وعلى هذا

---

(١) يعرف بنبوخذ نصر الثاني لأن الأول هو بنوخذ نصر الذي ينتمي إلى السلالة البابلية الرابعة والذي استعاد بابل أيام حكم الأشوريين لها في القرن الثاني عشر قبل الميلاد ( ١١٢٤ - ١١٠٣ ق.م ) ، ويعتبر بنوخذ نصر ( بختنصر ) أشهر ملوك الدولة الكلدانية ( البابلية الجديدة ) وكلمة بنوخذ نصر أصلها أشوري مكونة من ثلاثة مقاطع معناها « الاله نبوه يحرس الحدود » .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)



النحو قام نبوزرادان ، القائد البابلي بتهديم أسوار القدس وتخريب المدينة تماماً بما في ذلك هدم هيكل سليمان واحراقه ( ٢ ملك ٢٥ ) ، كما لحق الدمار بمناطق مختلفة في يهوذا ، منها تل بيت مرسيم وبيت شمش وبيت زور ، أما مدينة صور فقد قاومت الحصار ثلاث عشرة سنة دفعت بعدها الجزية لبابل .

وفي ظل هذا التمزق عيّن بختنصر جداليا بن أحيقام حاكمًا من قِبَل بابل على كل مابقي مْن أهل يهوذا وبقية العرب في القدس ، وبعد اغتيال جداليا هرعت أعداد كبيرة من اليهود في الهرب إلى مصر في صحبة النبي ارميا .

وفي عام ٥٨١ ق.م كرد فعل لقتل جداليا ، سبى بختنصر دفعة ثالثة من اليهود إلى بابل قدرت بحوالي ٧٤٥ فرداً ( ١ رميا ٥٢ : ٣٠ ) .

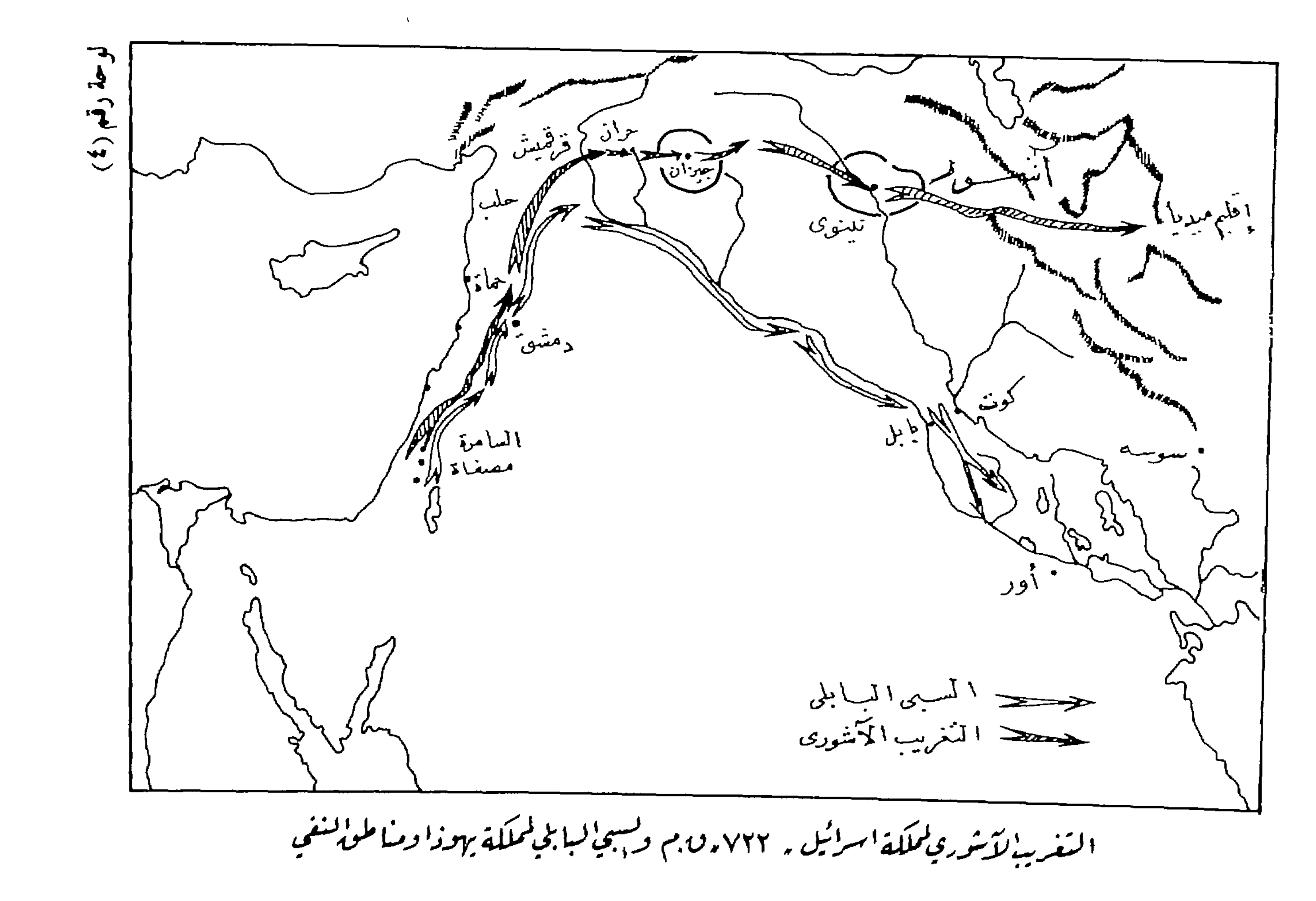
وهكذا كانت خاتمة حملة بختنصر ، والتي اقتحم فيها أسوار القدس وحطمها ، ومنذ هذا الـوقت لم يقم لليهـود كيان سياسي يعتد به في فلسطين إلى ظهور الدولة الصهيونية الحديثة ، فيما عدا كيان صهيوني سمح بإقامته الفرس ودمره الرومان كما سنوضح فيما بعد .

وجاء على لسان لودز تعليقاً على نقش من البرونز يصور مشهداً للرحيل الى بابل ، إن الرجال ربطوا بعضهم إلى بعض جماعات وذلك لمنعهم من الهرب ، ولكنهم سمحوا للنساء والأطفـال بالمسـير دون أغـلال ، كما سمـح لهم باصـطحـاب ماشيتهم وعـربات لنقل احتياجاتهم حتى وصلوا إلى القرى المحددة لهم كمقر لاقامتهم ومعظمها إلى الجنوب من نينـوى ، ومن هذه القرى تل أبيب في فلسطين لتذكيرهم بالسبي البابلي ـ وتل حارشا وتل ملح ( عزرا ٢ : ٥٩ ) ، ويبـدو أنهم تملكـوا الأراضي التي كانـوا يزرعـونها في منـاطق السبي[1] . وهذا يطابق ماذكره ارميا في الرسالة التي كتبها لهم عقب السبي الأول عام ٥٩٧ ق.م حيث قال «ابنـوا بيـوتـاً واسكنوا واغرسوا جنات وكلُوا ثمارها» (١ رميا ٢٩ : ٥). وقـد تحسنت أحـوال اليهود المادية في السبي البابلي نتيجة اشتغالهم بالتجارة بجانب اهتمامهم بالزراعة ، وهذا هو السبب في أنهم أسهموا في ترميم الهيكل في القدس ( عزرا ٢ : ٦٩ ) .

ومما يجدر ذكره أنه أتيح للفكر الديني اليهودي من زمن السبي أن يدرك أن يهوه هو الاله الواحد للعالم كله ، وأدرك الذين في المنفى أن ماحل بهم من شقاء كان نتيجة مؤكدة لعدم اتبـاعهم شرائـع يهوه ، وتكـاثر عدد الأنبياء بينهم في هذه المرحلة وأصبحوا يفكرون في الخـلاص على يد يهوه . على أن عدم تمكنهم من إقامة طقوس عبادتهم في المنفى بصورة

(١) LODS , A : The Prophets .

لوحة رقم (٤)




التغريب الآشوري لمملكة اسرائيل ، ٧٢٢ ق.م والسبي البابلي لمملكة يهوذا ومناطق النفي

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)



مكتملة ، يرجع إلى بعدهم عن الهيكل في القدس - حسب ادعاءاتهم - وعدم استطاعتهم تقديم القرابين ، ولذلك غيّروا في طريقتهم لممارسة هذه الطقوس ، فاستبدلوا القربان بالصيام والصلاة ، وتغاضوا عن أداء طقوس السبت من معظم الأحيان .

وفي تلك الأثناء ظهرت فارس كقوة كبرى في الشرق القديم فكوّن قورش - يعرف بـ كورش في اللغة الفارسية - جيشاً ضخماً تحدى به بابل ، واستولى عليها في عام ٥٣٩ ق.م دون تنكيل بأهلها ، وجاءت هذه السياسة في البداية صدمة لليهود في السبي الذين كانوا يرحبون بتدمير بابل والتنكيل بأهلها - رغم تمتعهم هناك بحرية العقيدة وثرائهم - وانعكاساً لسياسة الملك الأخميني قورش ، فقد سمح بعودة اليهود إلى فلسطين وإعادة بناء الهيكل .

ويدعي اليهود كعادتهم أن قورش كان على علم بتنبوءات اشعيا الذي تنبأ له بالنصر ، وكانت رؤية اشعيا أن قورش هو الذي سيعيد اليهود إلى أرضهم ويسمح له بإعادة بناء الهيكل ( اشعيا ٤٤ : ٢٨ ، ٤٥ : ١ ، ١٣ ) ، والواقع أن سياسة قورش تجاه اليهود إنما جاءت تطبيقاً للمبادىء العامة لسياسته ، فيبدو أن قورش قد أصدر أمراً بعودة كل الأجناس التي كانت في النفي من بابل بما في ذلك اليهود ، ولكنهم زيفّوا في صيغة المرسوم الملكي حتى يوهموا الجميع بأن مرسوم العودة يخصهم وحدهم ، ولذلك اختفت الصيغة الفارسية من خزائن ميديا في فارس واحتفظوا بالصيغة الآرامية حسبما رأوا .

ومن التناقضات الخطيرة ما أورده سفر الملوك الثاني ٢٤ : ١٤ عن قائمة العائدين بأنها تقدر بعشرة آلاف من الرؤساء والحرفيين والصناع ، ثم يذكر في الفقرة ١٧ من نفس الاصحاح ٢٤ أن الذين تم سبيهم ثمانية آلاف ، ولكن سفر ارميا ٥٢ : ٢٨ - ٣٠ يسرد ثلاث حالات من السبي مجموعها أربعة آلاف وستمائة نسمة . ومن جهة أخرى فإن بعض المؤرخين يجنح نحو الاعتقاد بأن القائمة موضع التساؤل كانت بصيغتها الأصلية احصاءً شاملاً لليهود المقيمين في يهوذا في عصر نحميا أو بعده ، ولكن كيف يمكن للمرء أن يصدق أن جالية من اليهود المرحلين إلى بابل والتي بلغت حوالي ٤٦٠٠ من الذكور البالغين ؛ استطاعت أن تتزايد وبلغت هذا الحد خلال فترة السبي القصيرة - حوالي ستين عاماً - وكان في مقدورها أن ترسل إلى فلسطين فوجاً مكوناً من ٤٢٫٣٦٠ رجلاً ويستثنى من هذا العدد النساء والأطفال ، بالاضافة إلى ٧٫٣٣٧ من العبيد إذ لو أضيفوا لبلغ التعداد الكلي حوالي ١٠٠٫٠٠٠ وهو رقم مبالغ فيه إلى حد بعيد .

وفي السنة الثانية من حكم الملك دارا - داريوس باللغة الفارسية - ( ٥١٩ - ٥٢٠ ق.م ) ، تمّ تعيين زروبابل بن شالتئيل ( أحد أعضاء الأسرة المالكة السابقة في

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)



المنفى ) ، والياً على يهوذا ومن ثم كان قائداً لقافلة العائدين من السبي ( عزرا ٢ : ٢ ) ، ويبدو من وراء اختيار زرو بابل كحاكم على يهوذا أن الملك دارا كان يريد بذلك مهادنة أهالي تلك المنطقة خاصة بعد فترة الاضطرابات التي واجهته في بداية حكمه .

ويبدو أن عدد العائدين معه لم يكن كبيراً ، وعند وصولهم وجدوا أسوار القدس مازالت مهدمة ، والقرابين على مذبح أقيم وسط حطام المعبد أيام شيشبصر الذي سبق زروبابل في العـودة إلى القدس . واللافت للنظر أنهم وجدوا بقايا اليهود يرفعون شعاراً مؤداة أن الوقت لم يحن بعد لاعادة بناء الهيكل ؛ لكن زروبابل بتعضيد من النبي حجي حث اليهود على إعادة بناء المعبد ، ومع تقدم العمل في إعادة بناء المعبد نادى أيضاً بإعادة بناء أسوار المـدينـة ولكنه على مايبدو قد أخفق ، وقد صدق حدسه فقد أثارت عملية بناء الأسوار شكوك السامريين الذي تصوروا أن زروبابل كان يهدف من ذلك أن يجعل من نفسه ملكاً ويخضعهم لسيطرته ( عزرا ٤ : ٤ ـ ٥ ) .

ولعـل من المهـم أن نشير إلى أن كثيراً من اليهود ينكرون عن السامريين انتسابهم إلى إسرائيل ، وقـد وصل بهم الأمر إلى أن بعض أحبار اليهود اعتماداً على نص سفر الملوك الثـاني ( ٢ ملك ١٧ : ٢٥ ـ ٣٣ ) كانـوا يسمـونهم «جيران السباع»[1] . ولذلك فعندما أعـرب أهـل السـامـرة ـ الـذين اعتبروا أنفسهم إخوة لليهود العائدين من السبي ـ إلى زروبابل عن رغبتهم في الاشتراك في بناء الهيكل ، رفض طلبهم على أساس أمر قورش ببناء هيكل يخص فقط أبناء يهوذا العائدين من السبي ( عزرا ٤ : ١ ـ ٣ ) . وفي أعقاب ذلك أرسل السامريون إلى الملك الفارسي أكزرسيس الأول ، ( ٤٨٥ ق.م ) ، يحذروه من أن اليهـود العائدين من السبي قد شرعوا في إعادة بناء مدينة القدس بعد أن أكملوا أسوارها ، وبعد استكمال بنائها سيمتنعون عن دفع الجزية ، فأرسل لهم تفويضاً بإيقاف عمليات التشييد بالقـوة ( عزرا ٤ : ٢١ ـ ٢٤ ) ، وتـوقف العمل في بناء الهيكل حتى

---

(١) ويطـالعنـا أورئيـل رففـورط الكـاتب اليهودي برأي مخالف تماماً لوجهة النظر العامة لليهود ، حيث يشير إلى أن السامريين هم من بقي من الشعب ، والذين لم يتم سبيهم من المملكة الشمالية على يد الأشـوريـين (٧٢٢ ق.م) ، وكـانت لهم توراة تخالف توراة اليهـود ، ونضيف إلى ذلـك أنـه من المحتمـل أن جماعـات من القبـائـل الشمالية التي تم سبيها إلى آشور ـ واستمرت تعيش في السبي مع أبناء يهوذا ـ عادت مع اليهود العائدين إلى فلسطين خلال فترة الهيكل الثاني ، إلا أنهم لم يتوافقوا مع السامريين الذين كانوا قد بقوا في السامرة والذين كانوا قد كونوا جماعة منفصلة .

راجـع أورئيـل رففـورط : تولـدت يسـرائيـل بتـوفت هبيت هشيني ( تاريخ اسرائيل في فترة البيت الثاني ) ، صفحات ٢٤ ـ ٢٥ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)



السنة الثانية من حكم الملك دارا ، وبذلك أخفق زروبابل في مهمته .

وبعد بحث وتنقيب عثر دارا على مرسوم قورش الخاص بالعودة وبناء الهيكل ـ حسب الروايات اليهودية ـ مع وصف للهيكل ، وانتهى العائدون من بناء الهيكل ـ على حسب نبوءتي حجي وزكريا ـ في شهر آذار من السنة السادسة لحكم دارا ( عزرا ٦ : ٤ ـ ١٦ ) .

ويبدو أن جنوح خيالهم نحو الاعجاب بهيكل سليمان قد هيأ لهم الظن بأن الهيكل الجديد أقل فخامة وأبهة مما هو عليه ، وهذا ماعبر عنه النبي حجي بقوله « من الباقي فيكم الذي رأى هذا البيت في مجده الأول ، وكيف تنظرون الآن ، أما هو في أعينكم كل شيء » ( حجي ٢ : ٣ ) . وكانوا قد أبقوا على المظهر العام والمغنين وقدس الأقداس مع بعض الاضافات المحدودة ، إلا أنه أصبح خاوياً من تابوت العهد الذي ربما احترق في أيام الخراب الأول أيام بختنصر أو توارى في كهف مجهول على يد النبي ارميا(١) . ورغم ذلك حدثت ردود فعل عميقة في الديانة اليهودية ، حيث ارتد عدد كبير من اليهود وتفشى الالحاد بين صفوفهم ( ملاخى ٢ : ١٧ ، ١٤ ـ ١٥ ) وامتنعوا عن دفع العشور وأخذوا يطلقون زوجاتهم اليهوديات ويكثرون من الارتباط بالأجنبيات .

ويبدو أن السامريين كانوا يعتبرون أنفسهم عُبّاداً ليهوه ، ومن المحتمل أنهم أعطوا يهوه مكاناً مرموقاً في معبدهم في الشمال ، وكان هذا كافياً لأن يجعلهم ينظرون إلى الهيكل في القدس كمعبدهم كما يبدو أن عدداً كبيراً من أهل السامرة الذين بقوا بعد التغريب الأشوري ظلوا على ولائهم للهيكل المدمر في القدس ولعبادة يهوه التي كانت هناك ، وأهم مايعيننا في هذا المقام أن نستدل على مايمكن اتخاذه قرينة على مدى تمسك السامريين بديانة يهوه ـ رغم انكار اليهود لهذه الطائفة ـ فهناك وثيقة هامة تروي قصة من القرن الخامس قبل الميلاد ، مؤداها أن ثمانين حاجاً ينتمون إلى شيلوه والسامرة وشكيم ( نابلس ) عبروا مدينة مصفاة في أكتوبر من عام ٥٨٧ ق . م ـ نفس العام الذي دمر فيه بختنصر الهيكل في القدس ـ حاملين قرابينهم إلى إلى معبد يهوه ، وكانوا حليقي الذقون ممزقي الثياب يملأهم الحزن على خراب القدس ودمار المعبد ( إرميا ٤١ : ٥ ) ، وكان من الطبيعي أن نفترض أن هؤلاء المتعبدين كانوا من أهل السامرة وأن صلتهم الأولى بالهيكل المركزي لم تكن قد قطعت بعد .

هذا من الناحية الدينية ، أما من الناحية السياسة والاقتصادية فيمكننا القول بأن اقليم السامرة كان يتمتع بحالة من الازدهار أكثر من يهوذا فترة من الزمن بعد السبي البابلي

(١) Drops : Israel , P . 234 .
LODS : The Prophets , P . 189

وترجع ذلك إلى موقع السامرة المتميز على طريق التجارة بين سورية ومصر .

وتبين لنا مما سبق أن نظرة السامريين لليهود العائدين من السبي على أنهم إخوة لهم ، إذ حاولوا الاشتراك معهم في إعادة بناء الهيكل ؛ إلا أن موقف اليهود كان على العكس يغلب عليه طابع العداء ، ولكن السامريين لم يستسلموا كما أسلفنا وقد نجحت محاولاتهم في وقف العمل في بناء الهيكل بعد أن استبعدهم اليهود من العمل معهم ، وقد استمرت العلاقات بينهم على هذا النحو حتى بعثة نحميا الثانية .

ومن ذلك يتبين لنا أن الشخصية اليهودية هي شخصية معقدة على مر العصور تمتد جذورها إلى أسباب كثيرة متداخلة ومتناقضة ، والتي تتصل اتصالاً مباشراً بواقع الظروف التاريخية التي تعرض لها اليهود ، ومن اللافت للنظر أن هذه الشخصية المعقدة قد خضعت لتأثيرات ثقافية متعددة سواء من ناحية اللغة أو المناخ الحضاري الذي يعيشون فيه .

وفي تلك الأثناء استولى الأدوميون على الجزء الجنوبي من يهوذا ، كما تعاون الفلسطينيون والأشدوديون والعمونيون في ضغطهم على يهوذا في القدس .

## نحميا والعودة من السبي البابلي

ومرة أخرى جنح خيال أهل يهوذا إلى تصور غريب ، وهو أن نحميا(١) بعد عودته إلى القدس أقام الحراس ليلاً ونهاراً حتى استطاع الانتهاء من إعادة بناء أسوار القدس في اثنين وخمسين يوماً ، وذلك حتى يتجنب غضب العرب والعمونيين والأشدوديين والسامريين ، حتى أن اليهود صوروا نحميا على أنه قام بتوزيع اليهود على المدن المحيطة بالقدس ، وذلك من خلال قوائم أعدها لذلك ( نحميا : ٤ : ٧ - ٩ ، ٦ : ١ ، ١١ : ١ ) .

ومن الغريب أن يخالف المؤرخ اليهودي يوسيفوس ماورد في سفر نحميا ، حيث ذكر أن عملية بناء الأسوار استغرقت عامين وأربعة أشهر ، أي في الشهر التاسع من السنة الثامنة والعشرين من حكم ارتاكزرسيس ، ولكنه لم يشر إلى المصدر الذي نقل عنه هذه الرواية . وكذلك يتشكك كثير من المؤرخين في صحة ماجاء في سفر نحميا ( ٦ : ١ ) أساساً عن عملية بناء الأسوار التي تمت بشكل مبالغ فيه ، ويبدو لنا مدى عمق الهوة بين أفكار نحميا والتي كان يشاركه فيها العائدون من السبي ، وبين أفكار وعقائد هؤلاء الذين بقوا في يهوذا

(١) استطاع نحميا - الذي كان يعمل ساقياً للملك أرتاكزرسيس الأول ( ٤٦٥ - ٤٢٤ ق.م ) - أن يحصل على إذن من الملك للقيام بزيارة القدس لترميم أسوارها ( نحميا ١ : ٢ - ٣ ) وكان قد تلقى قبل ذلك بعدة شهور تقريراً عن الحالة السيئة لليهود الذين عادوا مع زروبابل وعن حالة أسوارها المهدمة ( منذ تدمير بختنصر للقدس في عام ٥٨٧ ق.م ) .

بعد السبي ، هذه الخلافات التي بلغت عمقاً جعل الاندماج بين الفريقين أمراً مستحيلاً ، ومن ثم فقد أدرك نحميا تماماً أن الاصلاحات التي كان يرغب في تنفيذها لايمكن تحقيقها إلا إذا دعمت هذه الأقلية من العائدين ببعثة أخرى تأتي من بابل . وهذه دلالة على أن نحميا لم يتمكن خلال زيارته الأولى للقدس من إنجاز ماجاء من أجله ؛ وقد ترتب على ذلك أنه في عام ٤٣٢ ق.م نجح نحميا مرة ثانية في اقناع الملك ارتاكزرسيس الأول بتعيينه حاكمًا على القدس ، وربما عاد اليها في صحبة عزرا ، واستمر نحميا مناهضاً للسامريين على طول الخط ، وكان عداؤه لهم سياسياً أكثر منه دينياً .

ومما يجدر الاشارة إليه أنه على الرغم من أن هؤلاء الذين رافقوا عزرا في بعثته الأولى قد تم اختيارهم بحيث يمثلون الأسباط الاثنى عشر ، إلا أن نحميا بعد عودته حاكمًا على يهوذا ـ برفقة عزرا ـ تنكرّ لممثلي البعثة من القبائل الشمالية ، وفي ظل تلك الظروف أصبح محتمًا وقوع الانفصال بين السامريين واليهود إن عاجلاً أو آجلاً[1] .

## المعبد السامري على جريزيم وبداية الصراع بين الطوائف اليهودية

أما بالنسبة للتاريخ والظروف التي مر بها الصدام بين أهل السامرة وأهل يهوذا ، فهناك روايتان مختلفتان إحداهما ما أورده العهد القديم ( نحميا ١٣ : ٢٨ ) ويرتكز على قصة مؤداها أن أحد أبناء يوياداع بن الياشب الكاهن الأعظم قد تزوج من ابنة سنبلط الحاكم السامري للسامرة ، ولهذا طرده نحميا من الكهنوت ؛ والرواية الثانية تُروى على لسان يوسيفوس المؤرخ اليهودي ، الذي يخبرنا أن النزاع جاء نتيجة زواج منسّا الذي كان أخاً للكاهن الأعظم جادو من امرأة أجنبية تدعي نيكاسو والتي كانت ابنة سنبلط[2] الحاكم السامري لاقليم السامرة والمعين من قبل الملك الفارسي دارا ، وفي أعقاب هذا الزواج طلب الكاهن الأعظم ورجال الكهنوت في القدس ؛ إما طلاق الزوجة أويتنازل منسّا عن حقوقه الكهنوتية . ونتيجة لهذا الموقف هرع منسّا إلى صهره الطاعن في السن سنبلط طالباً مساعدته ، فوعده ببناء معبد على جبل جريزيم يماثل المعبد في القدس ـ بعد تصديق الملك دارا ـ وأنه سوف يعينه كاهناً أعظم كما وعده بأن يخلفه في الحكم ، وكان كثير من الكهنة واللاويين قد هاجروا مع منسّا إلى السامرة حيث أكرمهم سنبلط .

---

(١) Montgomery : The Samaritans P . 59 .

(٢) سَنْبَلط اسم بابلي آشوري نطقه بالأشورية سين أُو بلُط ، وسين معناها اله القمر والفعل « بلطّوا » يعني عاش ، وسين أو بلط معناها « الاله سين يُحْيى » .

وتتفق كلتا الروايتين بالنسبة لزواج أحد أعضاء أسرة الكاهن الأعظم من ابنة سنبلط ، غير أن العهد القديم ( نحميا ١٣ : ٢٨ ) لم يذكر اسم ذلك الكاهن واكتفى بالاشارة إلى أنه أحد أبناء يوياداع وحفيد الكاهن الأعظم الياشب ، في حين رواية يوسيفوس تذكر أن اسمه منسّا وأنه شقيق الكاهن الأعظم جادو الذي كان معاصراً للاسكندر الأكبر ، ولهذا فالحادثة طبقاً لرواية يوسيفوس[1] تقع مابين عامي ٣٣٢ ، ٣٣١ ق. م أي بعد نحميا بقرن كامل ؛ والواقع أن نحميا قد قصر حديثه على طرد منسي واستبعاده من الكهنوت ، في حين أنه لم يشر إلى أن هذا التصرف من جانبه كان من الأسباب الهامة التي أدت إلى إقامة المعبد السامري المنافس على جبل جريزيم .

ويجدر بنا هنا أن نتعرف على رأي كولي[2] من مناقشته لروايتي العهد القديم ويوسيفوس ، حيث يذكر أن الاشارة إلى سنبلط من سفر نحميا تبدو صعبة جداً حيث يتكلم عنه كخصم لدود ( نحميا ٣ : ٣٣ - ٣٤ ) « لما سمع سنبلط أننا آخذون في بناء السور غضب واغتاظ كثيراً وهزأ وتكلم أمام إخوته وجيش السامرة وقال ماذا يعمل اليهود الضعفاء . . . . » ، وهذه اشارة واضحة إلى أن سنبلط قد حظي بنصيب من السلطة في السامرة ، حيث كان حاكمًا عليها حوالي عام ٤٠٨ ق. م ، وإذا دققنا النظر فيما جاء برواية يوسيفوس فإننا نجد أنها تختلف عن رواية نحميا ، فهو يذكر أن سنبلط قد أُرسِل إلى السامرة حاكمًا عليها في عهد داراً ، وربما كان رأيه صحيحاً إذا كان يقصد دارا الثاني ، ولكنه بكل تأكيد يطلق عليه دارا الأخير فهو لذلك يخلط بين دارا الثاني ودارا الثالث ( ٣٣٦ - ٣٣١ ق. م ) ، ونتيجة لهذا الخلط فهو يؤخر الحوادث حوالي مائة سنة ، حيث يذكر أن ابنة سنبلط تزوجت من منسّا شقيق جادو الكاهن الأعظم الذي كان معاصراً للاسكندر الأكبر ، ويجعل بذلك سنبلط على علاقة بالاسكندر الأكبر بعد أن هزم دارا الثالث في معركة ايسوس عام ٣٣٣ ق. م .

ونتيجة لذلك نجد صعوبة في أن نوفق بين رواية يوسيفوس والروايات الأخرى ، فإذا كان سنبلط حاكمًا للسامرة في عام ٤٠٨ وقد كبر أبناؤه ، فربما كان عمره على الأقل أربعين عاماً ، وهي حقيقة من الصعب تصديقها ، ولذلك يجب أن يكون قد عاش ٧٦ عاماً بعد ذلك حيث أن يوسيفوس حدد وفاته في عام ٣٣٢ ق. م[3] .

---

(١) Ant . XI , 7 , 2 .

(٢) A . Cowely : Aramaic Papyri of the Fifth Century . B . C . ( 1923 ) PP . 109 – 110 .

(٣) Ant , XI 8 , 4 .

والرأي القائل أنه كان هناك شخصان باسم سنبلط كل منهما حكم السامرة ولكل منهما ابنة تزوجت شقيق الكاهن الأعظم في القدس ، فإن هذا الحل يبدو غير مقنع ، وعلى هذا فنحن مجبرين إلى أن نقرر بأن رواية سنبلط المعاصر لنحميا تقف على أساس متين مع الحقائق الأخرى ، وأن يوسيفوس قد أخطأ بخلطه بين دارا الثاني والثالث ، وربما توالت الأحداث في روايته بعد ذلك ولكنها ليست متعاصرة تعاصراً سليماً(١) .

وهكذا نجد أن قصة سنبلط لا تتقيد بخط مستقيم من تسلسل الأحداث ، فروايتا العهد القديم ويوسيفوس هما حالتان تتعاقبان على كثير من المؤرخين ، ففي كلتا الروايتين نجد أنفسنا أمام سؤال بالغ الأهمية يحتاج إلى إجابة . . . وهو متى بدأ الشقاق بين أهل يهوذا وأهل السامرة وهل كان بناء المعبد السامري على جبل جريزيم تأكيداً لهذا الشقاق أم أنه كان بداية ؟؟ . وسوف نحاول هنا دراسة الآراء المختلفة حول بداية هذا الشقاق بعد أن تبينا طرفا من التاريخ والظروف التي مر بها الصدام بين أهل السامرة وأهل يهوذا بعد العودة من السبي البابلي .

ويبدو في رأي بعض المؤرخين أن اصلاحات نحميا الصارمة فيما يختص بالزواج كانت من الأسباب المباشرة لهذا الشقاق ، غير أن أولمستد يرى أن بداية الشقاق الحقيقي إنما يرجع إلى اقامة المعبد السامري على جبل جريزيم ، على أن الانفصال تم في وقت لاحق(٢) . في حين يرى جاستر أن الشقاق قد بدأ منذ عمليات التغريب الأشوري واستيطان بعض القبائل العربية ( ثمود والعباد ) في إقليم السامرة ، وقد وصف جاستر هذا الشقاق بأنه كان دينياً في حقيقة الأمر أكثر كونه سياسياً(٣) . بينما يرى مونتجمري أن الشقاق ربما قد حدث في وقت متأخر عن العصر اليوناني مخالفاً بذلك يوسيفوس الذي أعاده إلى عصر الاسكندر الأكبر(٤) .

ورغم تباين هذه الآراء فإنه لايوجد دليل واضح لبيان البداية الحقيقية لهذا الشقاق ، وسوف نحاول أن نمسك الخيط من بدايته .

قبل العودة من السبي البابلي كانت كل من يهوذا والسامرة متقاربتان من حيث الأوضاع الاجتماعية التي سادت كلا منهما ، فكانت يهوذا يشغلها كل من الفلسطينيين ( اليبوسيين ) والأدوميين والعمونيين ، وهم الذين لقبوا في سفري نحميا عزرا « شعب الأرض » ، مما دفع مركز الثقل لأهل يهوذا إلى الاتجاه شمالاً نحو السامرة ، ولذلك تواجد جدالياً الحاكم

(١) A . Cowley : Aramaic Papyri of The Fifth Century B . C . ( 1923 ) PP . 109 – 110 .

(٢) Olmstead : History of Assyria P . 595 .

(٣) Gaster : The Samaritans P . 35 .

(٤) Montgomery : Op . Cit , P . 68 .

ـهـودي على المتبقين في يهوذا ـ بعد سقوط القدس على يد بختنصر ـ في مصفاة التي تقع
ـال القدس ( ١ رميا ٤١ : ١ ) ، وهكذا نجد أن أهل يهوذا وأهل السامرة كانوا واقعين
ـت ظروف واحـدة تقـريبـاً في عصر السبي في القرن السادس ق . م ، ومن المرجح أن
ـكام البابليين والفرس كانوا يتخذون من إقليم السامرة مركزاً لهم ، ولذلك فاننا نفترض
أرض فلسطين في الجنوب والتي كان يشغل جزءاً منها أهل يهوذا ـ بعد سقوط القدس ـ
أصبحت تحت سيطرة حكام السامرة ، ومن هنا يرى مونتجمري أن خصومه أهل يهوذا
ـهل السامرة قد تميزت بطابع سياسي قبل أن يكون دينياً[1] .

والواقع أننا لانستطيع الجزم برأي قاطع في هذه المسألة الهامة ، إلا أننا يجب أن نميز
ـقـة بين عنصـرين أسـاسـيـين أولهـا هروب منسّـا إلى السامرة ، وهذا واضح في سلسلة
ـداث نحميا والتي ربـما تحولت بطريق الخطأ في رواية يوسيفوس إلى عصر الاسكندر
ـكـبر كما أسلفنـا ، والثـاني هو بنـاء المعبـد السـامـري والـذي نُسِب أيضـاً إلى عصر
ـسكنـدر ، وبينـما العبـارة التي تتنـاول منسّا يشوبها كثير من الشك إلا أن الأخرى والتي
ـلق ببنـاء المعبد السامري في عهد الاسكندر أقرب إلى الصواب وتؤيدها عدة حقائق
ـة ؛ أولها اتفاق أهل السامرة وأهل يهوذا في قبول الأسفار الخمسة التي تمت مراجعتها
ـلويرها كاملة ، ولو كان الانفصال حدث حوالي عام ٤٣٠ ق . م ـ وهذا التاريخ متقدم
ـة قرن من التـاريـخ الـذي حدده يوسيفـوس قبـل أن تأخـذ الأسفـار الخمسة شكلها
ـالي ؛ فإنه من البديهي أن نقرَّ بأن التوراة الكاملة لايمكن أن تكون قد جمعت وصُنِّفت
ـظل هذا العداء بين أهل يهوذا وأهل السامرة ، ولأثبتت التوراة السامرية[2] انتمائها إلى
ـة سابقـة على ذلـك ، وإذا فرضنـا أن التـوراة في هذا الوقت فقط ( ٤٣٠ ق . م) كانت

---

(1) Montgomery : Op . Cit , PP . 58 – 60 .

(2) التـوراة السـامـرية : يبدو أن التوراة السامرية هي أقدم آثار الأدب السامري إذ أنها قديمة قدم الطائفة نفسها ، وتتفق مع النص العبري ( المسورت وهو الكتاب المقدس الموجود بين أيدي اليهود ) في كثـير من الـوجوه ، كما أنها تتألف من خمسة أسفار ، هم التكوين والخروج واللاويين والعدد والتثنيـة . وينسب السـامريون واليهود التوراة إلى موسى ، حيث أنها أنزلت عليه في طور سيناء ( ولكنهـا حرفت بعد ذلك لأنها لم تجمع وتصنف إلا بعد موسى بحوالي ألف عام ) ، وتغطي هذه الأسفار الخمسة فترة من التاريخ تبدأ من بدء الخليقة ، وتنتهي بوفاة موسى على جبل نبو في شرق الأردن حوالي ١٣٠٠ ق . م ، ومما يجدر ملاحظته أن نص التوراة السامرية يختلف عن النص العبري الحالي ( المسورت ) في نقاط عديدة ، إلا أن الاختلافات الجوهرية قليلة . ومن المرجح أن يكون اليهود أنفسهم هم الذين حرّفوا في النسخة الأصلية أكثر من السامريين .

موجودة وأنها قبلت بشكل عام ، وأن الكاهن المطرود منسّا قد حملها معه إلى السامرة ! !
إذن من المسؤول عن هذا التجديد والتصنيف ؟ والاجابة كما جاءت من التراث الرباني
بأن التوراة فُقِدت وأن عزرا قد استعادها وجمعها وهي لم تكن موجودة على هذه الصورة
التي بين أيدينا ، فقد قام عزرا بتجميعها وتصنيفها من مصادر مختلفة بترجمة ماجمعه من
هذه المصادر إلى اللغة العبرية بعد صياغتها وإكمالها حيث جاء في سفر عزرا أنه كاتب
توراة موسى ( عزرا ٧ : ٦ ) ، وهناك مغزى على قدر كبير من الدلالة ، ألا وهو تشابه
العبادة السامرية وطقوسها مع طقوس العبادة اليهودية ، وقد ظهر هذا التأثير اليهودي جلياً
في الفترة التي تلت نحميا .

ومن المدهش أننا لانجد أي اشارة عن العبادة الوثنية لدى السامريين بعد تشييد
معبدهم على جبل جريزيم ، ويبدو أن اختفاء هذه العبادات من السامرة خلال هذه الفترة
إنما يعود إلى ماقام به منسّا والكهنة الذين عادوا معه إلى السامرة حاملين الأسفار الخمسة .

ومن هذا يتبين لنا أن مجتمع اليهود في السامرة كان يميل إلى التشبه بحضارة العنصر
الغالب في البيئة التي يعيشون فيها ، مثلهم في ذلك مثل المجتمع اليهودي في القدس
الذي عاش هناك في دهاليز الاهمال وزوايا النسيان أو مايشبه ذلك .

---

= ويشير رشيوني إلى أن اختلافات النص السامري عن النص العبري يصل عددها حوالي ٦٫٠٠٠
ستة آلاف معظمها على مايبدو اختلافات كتابية ونحوية باستثناء أمثلة قليلة حرّفها السامريون
لصالحهم .

Ricciotti : Israel P. 127

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

# الفصل الخامس



## الصّراع الدّيني بين الهيكل في القدس والمعبد الإسرائيلي في الشمال

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

# الصراع الديني بين الهيكل في القدس والمعبد الإسرائيلي في الشمال

سنحـاول في هذا الفصل عمل دراسة مقارنة بين المعبد الاسرائيلي في الشمال والمعبد اليهودي الجنوبي المركزي في القدس ، لكي نصل إلى حقيقة الصراع الديني الدائم بين قبـائل الشمال والجنوب ، بعد أن تتبعنا الصراع السياسي الدائم وعدم الاستقرار والفتن وأساليب المؤمرات وأعمال الاغتيال بين الملوك في داخل كلتا المملكتين ، كما أسلفنا . وقد ترتب على ذلك أن كثرت المشاحنات والمعارك الدينية بين المتزمتين والمنحلين الذين سمحوا بإقـامـة طقوس وثنية من الديانة الكنعانية ، وقد انتهى ذلك بتضعضع الكيان اليهودي والـوجود السياسي لهم في فلسطين بعد أن دمره سرجون الآشوري في السامرة عام ٧٢٢ ق .م وبختنصر البابلي في القدس عام ٥٨٧ ق .م .

## الديانة الكنعانية وتأثيرها على الطقوس اليهودية

لم يمض وقـت طويل على اقتحـام بني اسرائيل أرض كنعـان ، حتى كان الغـزاة الاسرائيليون باستثناء بعض القبائل مثل الركابيين[١] قد اندمجوا تماماً مع أهل كنعان ، حيث تشربوا كثيراً من عاداتهم وطقوسهم الدينية[٢] .

ولقـد استمـرت المعـابد الكنعانية تخدم الكنعانيين والاسرائليين نتيجة الاندماج بين الغـزاة والمقهـورين ، ومن هنـا بدأ الاسرائيليون في التعـرف على الـطقـوس الكهنـوتية الكنعانية ، وكان أمراً محتمًا أن تتأثر الديانة اليهودية بالديانة الكنعانية وخاصة فيما يتصل بطقوس الزراعة ، حيث أنه من المعروف أن الزراعة كانت ترتبط دائمًا بالديانة في العصور البـدائية ، وكانت أوجه النشاط الزراعي المختلفة ( من حصاد . . . الخ ) تعتبر جميعها طقوساً دينية ، فعندما يقوم شعب رعوي بالتكييف مع مجتمع زراعي فإنه من المحتم أن

(١) كانت قبائل الركابيين تدين بالولاء في عبادتهم باله اسرائيل القومي ومن المحتمل أن يكون هؤلاء القوم كان ينظر اليهم على أنهم الممثلين الحقيقيين لشعب اسرائيل كشعب متميز عن الكنعانيين .

(٢) حزقيـال قويفمان : تاريخ العقيدة اليهودية في العصور القديمة وحتى نهاية البيت الثاني ـ المجلد الثاني ص ٣٠٢ .

يتشرب ديانة المجتمع الزراعي ، ومن هنا أصبحت الأعياد الكنعانية أعياداً اسرائيلية .

أما فيما يتصل بمسألة الكهنوت فإنه من الصعب أن نحدد ما إذا كان عنصراً أساسياً في المعابد الكنعانية أم لا ، ذلك أن الضحية كانت فيما يبدو تذبح بواسطة مقدم القربان نفسه ، ولذلك من الصعب أن نقرر ما إذا كان من الممكن للشخص العادي أن يقوم بحرق الدهن ثم صب الدم على المذبح . وعلى أي حال فقد كان هناك كهنوت منظم في المعابد الكبيرة العامة ، لكن يبدو أن مهمة الكهنوت لم تكن وراثية لأن الكاهن كان هو الوسيلة للحفاظ على التراث الديني والحارس على الأيقونات . والأهم من ذلك كله كان الكاهن هو الشخص الوحيد الذي يعرف أفضل الطرق لاظهار المعجزات عن طريق تقديم القرابين ، وقد أصبح للكاهن تدريجياً دور آخر في المجتمع ، وهو تسوية المنازعات وتطبيق القانون[١] .

ومن الصعب تحديد مدى التداخل بين عمل الكاهن وعمل القديسين لأن هؤلاء القديسين ، فيما يبدو ، كانوا من أصل كنعاني فهم رسل الرب الذين بعث بهم لتنمية القدرات الانتاجية للطبيعة ، ومن ثم يمكن إرجاع فكرة التضحية بالابن الأول إلى هؤلاء القديسين ، فمع انتفاخ الرحم يكون الزواج قد أثمر ، ويرجع ذلك الاثمار الى الاتحاد مع روح الرب التي تمثلت في جسد الزوج ، ولذلك فإن أول مولود يجب أن يكون ملكاً للرب . وقياساً على ذلك فإن وظيفة ماكان يعرف بالمرأة المقدسة يعتبر امتداداً لهذه الطقوس وتلك العبادات الوثنية ، كما أن القديسين ـ بخلاف الكهنة ـ كانوا لايقيمون في المعبد حيث أن قدسيتهم لاتتطلب الاقامة فيه أو تقديم الذبائح .

أما بالنسبة للقديس إبان عصر الملكية ، فقد كان يمثل شخصية بارزة في المجتمع الاسرائيلي ( ١ شعيا : ٣ : ٢ ، ميخا ٣ : ٧ ) ، وقد انقسمت طبقة القديسين إلى طبقتين رئيسيتين ، الرائي والنبى وكانت هاتين الطبقتين في البداية منفصلتين ولكنهما في نهاية الأمر أصبحتا متماثليتن[٢] .

## المعبد الكنعاني وطقوسه

من المهم أن نوضح أنه أثناء الفترات التي كان فيها حكومات مركزية قوية في مصر وبابل ، كان هناك معبد مركزي لكبير الآلهة بالاضافة الى معابد للآلهة الأخرى ، لكن

(١) J . Gray : The Canaanites PP . 135 – 138 .

(٢) Ency . Religion : Israel , P . 442 .

G . E . Wright and D . N . Freedman : The Biblical Archaeologist Reader 1 ( 1961 ) P . 174 .

G . Gray : Op . Cit ., P . 70 .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)



المعابد التي كانت موجودة في كنعان لم يكن من بينها معبد يمكن أن يطلق عليه المعبد الرئيسي لبعل ، وذلك لعدم وجود حكومة مركزية قوية في كنعان ، فالاله بعل الكنعاني كان واحداً من الناحية النظرية إلا أنه من الناحية الواقعية كان له حرم في كل مكان ، ومن المحتمل أن يكون نفس الشيء بالنسبة لبقية الآلهة الكنعانية وخاصة الأشيراه ( أم الآلهة ) وعشتروت ( آلهة الخصوبة ) .

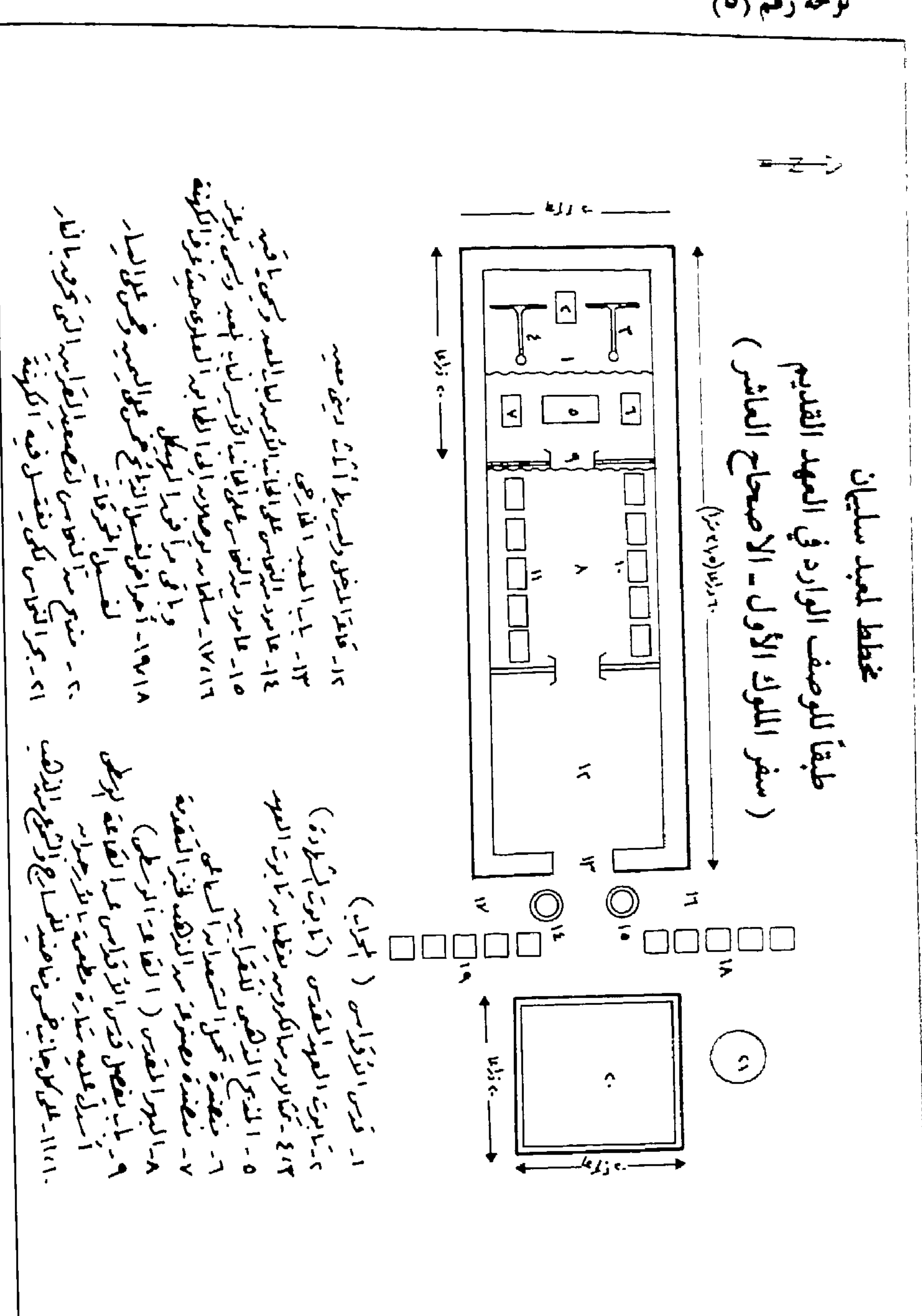
وقد تم اكتشاف أول المعابد الكنعانية في أريحا وآخر في مجيدو ، ويرجع تاريخها على وجه التقريب الى عام ٣٠٠٠ ق .م ، واكتشفت كذلك ثلاثة معابد أخرى في مجيدو يرجع تاريخها الى عام ١٩٠٠ ق .م ، وكانت معظم هذه المعابد عبارة عن غرفة واحدة مستطيلة الشكل لها باب واحد على أحد جوانبها الطويلة . كما تم اكتشاف بعض المعابد الكنعانية التي يرجع تاريخها الى حوالي عام ١٥٠٠ ق .م ، وهي تتميز بأنها ذو شكل مربع له مدخل خاص .

وقد تم اكتشاف معبد كنعاني في بيت شان حوالي عام ١٣٠٠ ق .م ، وكان نقطة تحول في تصميم المعبد الكنعاني ، فهو يتكون من غرفة خاصة مربعة الشكل تقع في نهاية الغرفة الرئيسية للمعبد ، ويتم الوصول الى الغرفة العليا بواسطة بعض المدرجات حيث يوضع تمثال للاله ، وتمثل الغرفة العلوية قدس الأقداس الذي كان يعتبر صفة مميزة لمعبد سليمان فيما بعد ، وكانت هذه الصفة المميزة موجودة أيضاً في معابد مصر والعراق . وقد بنيت في غرفة المعبد الرئيسية مدرجات لكي توضع عليها القرابين ، كما كان هناك مذبح صغير أمام التمثال المرتفع حيث تقدم البخور في الغرفة العلوية وربما كانت توقد أيضاً بعض الشموع . وفي الفناء الخارجي للمعبد يوجد المذبح الرئيسي حيث تحرق القرابين .

والتصميم العام للهيكل في القدس يكاد يماثل تصميم المعبد الكنعاني على هذه الصورة مع اختلافات غير جوهرية ، أهمها أن قدس الأقداس كان في نهاية المعبد . كما أنه تم اكتشاف معبد لبعل في رأس شمرة أبعاده ٤٠ × ٢٠ متراً وهو يعتبر أحسن تخطيط للمعبد الكنعاني قبل بناء الهيكل في القدس . ويتجه معبد رأس شمرة من الشمال الى الجنوب وهو يتكون من فناء خارجي يحتوي على المذبح ( ٢,٢ × ٢م ) ، ثم يليه فناء ضيق إلا أنه أكثر طولاً ويحتوي على تمثال للاله ، ويوجد للمعبد مدخل غير مباشر من الجانب الغربي وهذا المدخل في مواجهة المذبح .

ومن المهم أن نوضح أن المتعبدين في اسرائيل كانوا مثل جيرانهم الكنعانيين عندما اعتقدوا في أن العبادة يجب أن تكون في أماكن مقدسة وليس في أي مكان يختاره المتعبد ، ولكن نقطة الخلاف الرئيسية كانت في اعتقاد بني اسرائيل في الأماكن المقدسة ، على أنها

لوحة رقم (٥)


مخطط لمعبد سليمان
طبقاً للوصف الوارد في العهد القديم
( سفر الملوك الأول - الاصحاح العاشر )
٢٠ ذراعاً
١- قدس الأقداس ( المحراب )
٢- تابوت العهد المقدس ( تابوت الشهادة )
٤،٣- تمثالان من الكروبيم يظللان تابوت العهد
٥- المذبح الذهبي للقرابين
٧- منضدة مصنوعة من الذهب لخبز التقدمة
٨- البهو المقدس ( القاعة الوسطى )
٩- باب يفصل قدس الأقداس عن القاعة الوسطى
١١،١٠- على كل جانب خمس مناضد للمصابيح والشموع من الذهب
١٣- باب المعبد الخارجي
١٤- عامود من النحاس على الجانب الأيمن لباب المعبد ويسمى ياقين
١٥- عامود من النحاس على الجانب الأيسر لباب المعبد ويسمى بوعز
١٧،١٦- سلالم توصلان إلى الطابق العلوي حيث غرف الكهنة وباقي مرافق الهيكل
١٩،١٨- أحواض لغسل الذبائح خمس على اليمين وخمس على اليسار لغسل المحرقات
٢٠- مذبح من النحاس لتصعيد القرابين التي تحرق بالنار
٢١- بحر النحاس لكي يغتسل فيه الكهنة

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)



ديار الرب حيث يتجلى فيها ، ولذلك فلم يكن هناك تحديد لمكان الرب في المعابد المختلفة كما كان يظهر في الديانة الكنعانية [١] .

## الاختلافات الرئيسية بين المعبد الجنوبي والمعبد الشمالي

يمكننا أن نجمل الاختلافات الرئيسية بين المعبد الجنوبي والمعبد الشمالي في النقاط التالية :

**أولاً** : كان المعبد الجنوبي معبداً رعوياً بينما كان المعبد الشمالي معبداً زراعياً ، وهذا يعني أن النشاط الرئيسي اليومي يبدأ في المعبد الجنوبي في الصباح المبكر ، بينما يبدأ في المعبد الشمالي الزراعي ليلاً بعد العودة من الحقول .

**ثانياً** : كان المعبد الجنوبي يخضع لسلطة دينية متشددة جداً ، بينما غلب روح التسامح على المعبد الشمالي ، وذلك لأن مجتمع الزراعيين في الشمال كان مستقراً ومنفتحاً على فينيقيا ، وهذا يبين لماذا لم تظهر الدعارة المقدسة في القدس إلا في متأخر جداً في أيام يوشياهو وكانت هذه الظاهرة بالطبع عدوى من الشمال[٢] ( عاموس ٢ : ٧ ـ ٨ ، هوشع ٤ : ١٤ ـ ١٩ ) .

**ثالثاً** : كانت تسود المجتمع الرعوى في الجنوب روح القبيلة لأنه ينقسم الى مجتمعات صغيرة ، مما يجعل انتشار الفسوق به أمراً صعباً ، وذلك على عكس المجتمع الزراعي في الشمال الذي كان يخضع لمؤثرات خارجية كثيرة منها انفتاحه على المجتمعات الأخرى .

**رابعاً** : كانت أعياد المجتمع الرعوي المهمة هي الربيع لأنه عيد نتاج الغنم ( عيد الجز الذي يبيعون فيه الصوف ) ، بينما كانت أعياد الزراعة هي أعياد المطر والحصاد وربما تداخلت مع الأعياد اليهودية ، ومع ذلك فربما أخذ عيد الربيع في القدس شكلاً من المؤكد أنه كان أكثر مما أخذه في السامرة على الأقل ، لأن عندهم عيدين ، عيد اليوريم ( الكرنفال ) وعيد الفصح ، وربما تداخلت هذه الأعياد نظراً لوجود مجتمعات بعضها رعوى وبعضها زراعي يجمعها دين واحد ، ومن هنا كانت ازدواجية المجتمع الاسرائيلي . فهو زراعي على السهول الزراعية ، ورعوى على سفوح الجبال والهضاب وفي بعض الأقاليم الصحراوية كصحراء يهوذا من أريحا

(١) G . E . Wright and D . N Fraedman : Op Cit . , PP . 174 – 175 .
J . Gray : Op . Cit . , P 71 .

(٢) E . W . Heaton : The Hebrew Kingdoms PP . 24 , 25 .
راجع :- W . R . Smith : The Prophets P . 99 .

الى القدس الى المجدل جنوباً ، وصحراء النقب من القدس الى بئر سبع ، ويفسر هذا التعبير العبري الذي يرد في العهد القديم أكثر من مرة من دان إلى بئر سبع ( ١ صم ٣ : ٢٠ ) ، دان في سهل الحولة وبئر سبع في صحراء النقب أي من الشمال إلى الجنوب ، ( من الحضر إلى البدو- من الفلاحين إلى الرعاة ) ولذلك استعمل للشمال اسم مبسط وهو دان وللجنوب اسم مدينة بئر سبع .

خامساً : كان المعبد في المجتمع الزراعي أميل الا الاعتماد على الخطباء والمنشدين والشعراء ، أما في المعابد الرعوية فكانت تميل الى استعمال الآلات الموسيقية أي آلات النقر « الدف » ( قضاه ١١ : ٣٤ ، ١ صم ١٨ : ٦ ، مزامير ٦٨ : ٢٥) ، آلات النفخ (الأرغول) والآلات الوترية (القيثارة) [أنشودة ديبورة - قضاة : ٥] ، وقد كان داود من الجنوب مشهوراً بالانشاد على نغمات الآلات الموسيقية ( ١ أخ ٢٥ : ٦ ) ، وفي كثير من المزامير التي أعدت للطقوس يذكر في أولها اسم أو أسماء الآلات الموسيقية المصاحبة ، وذلك لأن البدوي كان أميل لأن يكون المعبد الديني مرحاً لأن حياته نفسها ليست مرحة ، أما الاحتفال الديني في المجتمع الزراعي فكان فخماً مؤثراً ، لأن المرح كان ظاهرة يومية ؛ ولذلك نظمت أماكن للموسيقين والمنشدين في هيكل أورشليم على عكس معبد السامرة الذي لم يشتهر عنه ذلك [(١)] ، فعلى سبيل المثال نجد في الشمال أنبياء مثل الياهو أو هوشع أو عاموس خطباء وشعراء من الطراز الأول وكلامهم ووعظهم كله زجر ووعيد وتحذير ، ولذلك اكتسبوا هيبة كبيرة ضد ملوك الشمال ، بينما لقى أمثالهم الاهانة في يهوذا وخصوصاً النبي ارميا الذي واجه الاعتداء عليه في الطريق ومات قتيلاً .

سادساً : من المهم أن نوضح أن المسائل اختلطت في أواخر عصر اليهودية في فلسطين قبل السبى البابلي . حيث ظهر خطباء في الجنوب مثل ارميا كما تقاربت الطقوس بعضها مع بعض ، فعلى الرغم من كل ماعمله ملوك اسرائيل لمنافسه الهيكل في القدس ، لم يستطع معبد السامرة وبيت أيل أن يمنع الحجاج الشماليين من الاتجاه الى الجنوب .

---

(١) Albright : Archeology of Religion of Israel PP . 166 – 167 .

حيث يشير أن موسيقي المعبد ومغنوه الأوائل كانوا كنعاني الأصل أو تعلموا على يد الكنعانيين ، وعندما وضع داود موسيقى الانشاد الديني وهي التي تبعها سليمان من بعده ، لم يكن لديهما نموذج يسيران على هديه إلّا النماذج الكنعانية . ومما يؤكد ذلك أن طوائف الموسيقيين المتأخرين كانوا يفخرون بنسبهم إلى أسر تحمل أسماء كنعانية .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)



سابعاً : كانت تقسيمات المعبد الجنوبي مريحة حيث كان يتم الدخول اليه من أبواب معينة للمدينة المقدسة ، وبعض هذه الأبواب كانت توجد بجانبها محكمة ، وبعضها كانت توجد بجانبها سوق مخصصة ( سوق للخيل ، سوق للسمك ) . وتحت البعض منها كانت توجد مساكن الخصيان الذين يعملون حرساً للحريم في القصور . كما كانت هناك أسواق تؤدي الى المعبد ، حيث يكون الشخص الذي اشترى الضحية قد وجد في الثلث الأول من المعبد ـ وهو الفناء المكشوف ـ مائدة القرابين التي يذبح عليها الذبيحة ويغسلها في بحر النحاس ( حوض ماء ) ، وهناك جماعة لحرق القرابين ، وحول كل هذا تصدح فرق المنشدين ، وبعد ذلك يدخل الفرد لبهو الصلاة بلا فرق موسيقية حيث يؤم الكاهن الأعظم الصلاة ويقيم الطقوس . ويوجد حول المبنى كله بعض أحواش مخصصة « للجوييم » لايتجاوزونها . نجد بعد ذلك على الروابي وفي الضواحي القريبة وحتى تخوم المعبد دور الخمر وأسواق لبيع كل شيء من البضائع المحلية والمستوردة ( مثل الكتان المصري والأحجار الكريمة من آسيا الصغرى وفارس ) ، كل هذا كان لايمكن تهيئته للمعبد الشمالي بنفس الطريقة ، حيث كان أساس الطقوس في الشمال هو الموعظة .

ومما يجدر بالملاحظة أنه عند إعادة بناء المعبد الثاني على يد نحميا ، كان عزرا ونحميا والكهنة قرّاءً للكتاب المقدس حيث لم يكن يوجد منشدون مثلما كان الأمر في أيام داود وذلك لأنهم تربوا في مجتمع ديني زراعي في بابل ، ولايمكن مقارنة حفل تدشين الهيكل أيام داود بحفل تدشينه أيام عزرا الذي جرى بطريقة بسيطة .

ثامناً : من المرجح أن المملكة الشمالية عاشت لمدة طويلة نسبياً دون كاهن أعظم ودون هيكل مثل هيكل سليمان ودون سلطة دينية ضخمة ، ولذلك تعرضت لهذا التأثير من الوثنية الذي أسلفنا الحديث عنه ، بينما كان الكاهن الأعظم والنبي في الجنوب يستطيع أن يوجه اللوم إلى الملك .

فالوازع الديني في الشمال لم يكن نابعاً من سلطة كهنوتية ( الياهو ) ، وذلك لأن القصر الملكي في الشمال كان وليداً انقلاب ، ولذلك فإن الملك لم يكن يريد أن تشاركه سلطة كهنوتية . بينما تشكل الوزاع الديني في الجنوب ببطء وعلى مهل ، وكان الكاهن الأعظم مساعداً للسلطة الحاكمة على توطيد نفوذها ، ولذلك كانت السلطة الحاكمة لها

احترامها[١] ، وهذا يفسر لنا أن الرجل الاسرائيلي في الشمال استمر في الاعتقاد في نقاء الديانة الموسوية في الجنوب . فكان يذهب الى الحج الى القدس ( أورشليم ) رغم أنف السلطة الحاكمة ؛ حتى بعد إقامة معبد جريزيم . فبعضهم كان يذهب الى جريزيم وبعضهم الى بيت إيل والجلجال والمصفاة ( عاموس ٥ : ٥ هوشع ٥ : ١ ، ٦ : ٩ ) وبعضهم إلى القدس وبعضهم إلى جبل الكرمل وبعضهم إلى شكيم ، وهذا يعني أنهم في الشمال كانوا في ضياع [٢] ، بينما كانت السلطة الدينية في الجنوب مركزية وكانت القبلة بمثابة المعبد المركزي والحرم وكان للمعبد آداب وتقاليد ، أي كانت فيه أحواش معينة لايدخلها إلا النساء وأخرى لايدخلها إلّا الملك والكهنة ( قدس الأقداس ) .

إذن لماذا فشل معبد الشمال ؟ . . في الغالب لأن معبد أورشليم كان أكثر شعبية . فالمعبد الشمالي كان أشبه بالمعبد الفينيقي . كما أسلفنا القول ، حيث كانت الطقوس تقام حوله في الهواء الطلق أما دخول المعبد فكان للزيارة والتبرك . ومن الواضح أن المعبد في الشمال مثل المعبد الفينيقي ، كان مبنى ليس فيه الأقسام المورقة مثل المعبد المصري أو المعبد في القدس ، فالطقوس التي كان يقوم بها كهنة البعل كانت في معابد صغيرة الحجم وكان لكل كاهن معبد ( كان عدد كهنة البعل ٤٠٠ كاهن ) ، فعندما أقيمت المباراة الكبيرة بين النبي الياهو وكهنة البعل . أقام الياهو مذبحاً في الهواء الطلق ، وهذا يؤكد أن معظم الطقوس كان تقام حول المعبد في الهواء الطلق[٣] .

ومما يجد ذكره أن اسم يهوه كان بمثابة سور منيع ضد دخول الوثنية في الجنوب ، حيث أن يهوه أكثر ايغالاً في العالمية وهو الاله الواحد الذي اتخذته يهوذا عن يعقوب .

كان للمعبد الذي أقيم في السامرة وصف في كتب الآثار وليس له وصف في العهد القديم ، يضاف الى ذلك أن السامرة كانت محطة مواصلات محلية ، بينما القدس كانت محطة مواصلات دولية . فهي طريق العرب القادمين من أرض مدين ، وطريق الآشوريين والبابليين والحيثيين الى مصر ، كما كانت معبراً لموانىء البحر الأبيض مثل يافا وحيفا .

---

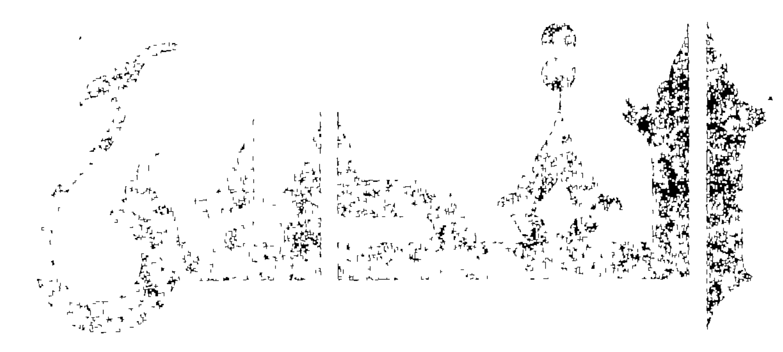
(١) E . W . Heaton · The Hebrew Kingdoms (1968) P . 143 .

(٢) W . R . Smith : Op . Cit ., PP . 98 – 99 .

(٣) G . E Wright : Op . Cit . Reader 1 PP . 174 – 175 .

راجع : K . Kenyon : Digging Up . Jerusalem PP . 155 , 127 , 128 .

# الفصل السادس



# القدس في العصرين اليوناني والروماني

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

# القدس في العصرين اليوناني والروماني

## القدس في العصر اليوناني

فقد اليهود استقلالهم السياسي منذ الغزو الآشوري والكلداني ، حيث أطاح الآشوريون بمملكة اسرائيل عام ٧٢٢ ق .م ، كما أطاح الكلدانيون بمملكة يهوذا عام ٥٨٧ ق.م ، وانتقلت السيادة من الكلدانيين إلى الفرس عام ٥٣٩ ق.م ، ومن الفرس الى الاسكندر الأكبر عام ٣٣٣ ق .م ، بعد سيادة الفرس التي دامت حوالي قرنين (١) . وقد استمرت فلسطين تحت سيادة البطالمة حوالي قرن ( ٣١٩ ـ ٢٢١ ق .م ) في عهد البطالمة الثلاثة الأوائل ، ولكن في عام ٢٢٠ ق .م نجح انطيوخوس الثالث الملك السلوقي في السيطرة على فينيقيا وفلسطين(٢) ، وبذلك أصبحتا تحت سيطرة السلوقيين فترة من الزمن ( ٢٢٠ ـ ١٨٧ ق .م ) ، عادت بعدها فلسطين الى سيادة البطالمة حتى عام ١٦٤ ق .م ، ثم عادت مرة ثانية الى سيطرة السلوقيين التي استمرت حتى الفتح الروماني لفلسطين عام ٦٣ ق .م على يد بومبي(٣) .

قرر اليهود ـ منذ سيادة الفرس على فلسطين ـ أن ينظموا أنفسهم ليكونوا مجتمعاً سياسياً دينياً جديداً ، ولكن الشكل الجديد للمجتمع اليهودي بعد العودة من السبي كان يختلف اختلافاً جوهرياً عن ذي قبل ، فمنذ هذا الوقت أصبح الحكم ثيوقراطياً تحت سيطرة الكهنوت ، بمعنى أن أصبح الشكل الجديد للمجتمع اليهودي دينياً أكثر منه سياسياً فقد كان تأثير الكهنة سائداً ربما منذ عصر عزرا ، والواقع أن تسمية الكاهن الأعظم لم تأت من كونه الموجه الأعظم للعبادة فقط ، ولكن لكونه على رأس التنظيم السياسي ، وهي سلطة طائفية بمعنى أن تجمع الزكاة من اليهود وتتولى ادارة القضاء بينهم وتنفيذ الأحكام الشرعية فيهم ، واستمر منصب الكاهن الأعظم وراثياً بحيث أنه كان يرأس مجلسات للسنهدرين

(١) E. Schurer : A History of Jewish people in the time of Jesus (1978), P. 13 .

(٢) د . ابراهيم نصحي : تاريخ مصر في عصر البطالمة ( ١٩٧٦ ـ الطبعة الرابعة ) جـ ١ صفحات ٧١ ، ١٤٣ .

(٣) ابراهيم نصحي : المرجع السابق جـ ١ ص ٢٧٢ .

كجهاز تنفيذي . ويبدو أن هذا الشكل الجديد للمجتمع اليهودي الذي أسلفناه قد استمر أثناء فترة السيادة الفارسية والسيادة الاغريقية[١] .

## الاسكندر وفلسطين

بعد أن دحر الاسكندر الأكبر داريوس الثالث ملك الفرس في موقعة إسوس Issus في خريف عام ٣٣٣ ق . م ، توقع المجتمع اليهودي في فلسطين قدرا من الحرية أكثر من التي منحهم إياها ، وحسب رواية يوسيفوس فإن الاسكندر عند حصاره لمدينة صور أرسل الى الكاهن الأعظم في القدس يطلب منه المساعدة في حصارها بارساله جنوداً من اليهود ، ورفض الكاهن الأعظم ولاءاً منه للملك الفارسي دارا الثالث . ونتيجة لذلك ثار الاسكندر وصمم على الانتقام من الكاهن الأعظم اليهودي بعد أن ينتهي من السيطرة على صور ، وقد انتهز هذه الفرصة سنبلط حاكم السامرة الذي سار ومعه ستة آلاف مقاتل من السامريين لمساعدة الاسكندر في حصاره لصور . ونتيجة لهذه المساعدة طلب سنبلط موافقة الاسكندر على بناء المعبد السامري على جبل جريزيم لصهره الكاهن منسّا الذي انشق عن المجتمع اليهودي في القدس ، فوافق الاسكندر على طلبه . وبعد استيلاء الاسكندر على صور بمساعدة السامريين سار الى القدس لينتقم من الكاهن الأعظم الذي خرج لاستقباله خارج المدينة ومعه الكهنة في ملابسهم البيضاء ، وعند رؤية الاسكندر الكاهن الأعظم هب لتحيته ، وقد أوضح الاسكندر لقواده سبب تصرفه هذا الذي أدهشهم ، بأن الكاهن الأعظم قد تراءى له في الحلم مبشّراً إياه بالنصر على الفرس ، وبعد ذلك ذهب معه الاسكندر الى الهيكل في القدس حيث قدم القرابين نيهوه ، وهناك عرض عليه الكاهن سفر دانيال الذي تنبأ بأن أحد قواد الأغريق سوف ينتصر على الامبراطورية الفارسية ، وعلى أثر ذلك قبل اليهود الخدمة في جيش الاسكندر[٢] كما ذكر يوسيفوس أن جنود سنبلط الذين ساعدوا الاسكندر عند حصاره لصور ، أحضرهم معه الى مصر وأقطعهم أرضاً في طيبة وعينهم حراساً على هذا الاقليم[٣] . ومن المهم أن نشير أن رواية يوسيفوس عن تواجد السامريين في طيبة في عصر الاسكندر لاتستند على أدله واضحة ؛ وإذا سلمنا جدلاً بصدق دعواه على أنه كان في

(١) E . Schurer : Op . Cit . , P 14

(٢) JOS : Ant . XI . VIII . 4

راجع مصطفى عبد العليم : المرجع السابق ص ٣٠ .

(٣) Jos : ant . XI . VIII . 6

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)



إقليم الفيوم قرية تسمى السامرة إلا أن إقليم الفيوم لم يكن جزءاً من منطقة طيبة ، ومن المحتمل أن يكون سكان هذه القرية من السامريين الذين أحضرهم بطليموس الأول على نحو ماأورده يوسيفوس نفسه ، ومن المرجح أنهم جاءوا مع توافد اليهود على مصر منذ بداية عصر البطالمة (١) .

ومما يجدر ذكره أن كثيراً من المؤرخين رفضوا رواية يوسيفوس عن زيارة الاسكندر للقدس التي انفرد بذكرها ، ومن بينهم تشركوفر حيث ذكر أن روايته فيما يتعلق بتقديم الكاهن الأعظم لسفر دانيال الى الاسكندر لاتقوم على أساس تاريخي سليم ، حيث أن السفر حتى عصر الاسكندر لم يكن قد وجد بعد . وإنما تم جمعه بعد الاسكندر بحوالي خمسين سنة وبالتالي فإن قصة زيارة الاسكندر للقدس وتقديمه القرابين الى يهوه لاتقوم أيضاً على أساس متين (٢) .

ومن المهم هنا أن نورد رواية أبي الفتح الكاتب السامري الشهير في القرن الرابع عشر الميلادي عن زيارة الاسكندر للسامرة ومقابلته للكاهن الأعظم السامري ، والتي تبدو واقعية الى حد بعيد لارتباطها بوقائع تاريخية . حيث أشار الى أن الاسكندر عندما حاصر صور طلب مساعدة السامريين فلم يطيعوه وذلك لتحالفهم مع صور . ومن ثم فقد سخط عليهم الاسكندر سخطا شديداً ، فبعد أن هزم صور تحول الى السامرة وكان قد عقد العزم على معاقبتها ، وعندما سمع أهل السامرة بحضوره خرجوا لملاقاته حاملين توراتهم وعلى رأسهم كاهنهم الأعظم ، فلما نظر الاسكندر اليه أسرع في النزول عن فرسه وقبل الأرض بين يديه وطلب مباركته ، فاندهش قواده لما فعله الاسكندر ثم فعلوا كما فعل وقالوا له أن أهل السامرة قد سحروك ، ولكي يفسر موقفه هذا ذكر أن الملاك الذي تراءى له في الحلم - أثناء حصاره لدارا الملك الفارسي - هو نفسه هذا الكاهن الأعظم وقد هبط عليه من السماء ، وقال له لاتخف فإن الله معك وجميع أهل الأرض في طاعتك وأنت عليهم منتصر ، ومن ثم فقد أعطى أهل السامرة عطايا كثيرة وقال لهم إن الهكم أعظم من كل الآلهة . وعند عودته من مصر مرة ثانية قال للكاهن الأعظم أن يبني له على جبل جريزيم مكاناً يضم صورته مثل بقية الشعوب ، فتضايق أهل السامرة وصعدوا الى الجبل وصاموا وصلوا للرب ليرشدهم الى حل يتخلصون به مما أمرهم الاسكندر . فأرشدهم الرب - حسب أقوال أبي الفتح - بأن يسموا كل ولد من ذكر وأنثى باسم الاسكندر ، وعندما عاد الى السامرة ولم يجد منصة ولا صورة ثارت ثائرته وقال للكاهن خالفتموني ، فأخبره بأنهم

(١) مصطفى عبد العليم : المرجع السابق ص ٣١ .

(٢) Victor tcherikover : Hellenistic Civilization and the Jews (1979) p . 45 .

قدموا له صوراً ومناصب لها عقول تتكلم ، وطلب من رزق في تلك المدة بأولاد فحضروا وعلق عليهم باسم الاسكندر فأجابوا جميعاً بنعم فاستحسن الاسكندر ذلك ، وعندما عرف الكاهن الأعظم بشأن الحلم قال للاسكندر ماأريدك أن تفعله هو أن تؤمن بالله ولاتشرك به أحداً ، وصعد مع الاسكندر على جبل جريزيم حيث سجد « لله عز وجل » وقال له هذا المكان هو اله الآلهة القادر الذي جعل الممالك بيدي ، وسمح لهم ببناء مكان معبدنة على جبل جريزيم(١) .

وبينما كان الاسكندر في مصر ، أحرق السامريون أندروماخوس الذي كان الاسكندر قد عينه حاكماً على جوف سوريا(٢) وهربوا من السامرة ، فأثار هذا الحادث حفيظة الاسكندر الذي قرر الانتقام بأن دمر مدينة السامرة ، وكانت هذه أولى علامات الثورة في سورية وفلسطين ومن المحتمل أن الاسكندر بعد تدميره للمدينة أسرع الى بابل بعد أن كلف بيرديكاس ( ٣٢٣ ـ ٣٢١ ق . م ) بإعادة بنائها وتوطين المقدونيين بها .

وقد تصدى تشركوفر لهذا الرأي حيث افترض أن الاسكندر وهو في طريقه من مصر الى صور ـ عندما علم بحرق السامريين لاندروماخوس ـ قد كلف بيرديكاس بمعاقبة السامريين ولم يكن الاسكندر نفسه هو الذي قام بهذا العمل ، كما أنه أمر بيرديكاس بتوطين جالية مقدونية في السامرة بعد ذلك (٣) . كما أشار الكاتب اليهودي أوريل رففورط الى أن الاسكندر قد أعطى إقليم السامرة الى اليهود وأعفاهم من الجزية بعد حرقهم اندروماخوس ، ونتيجة لذلك أصبحت شكيم مركزاً لتجمعهم (٤) . وأضاف جاستر أنه في أعقاب ذلك صحب الاسكندر عدداً كبيراً من اليهود والسامريين حيث استقروا في مصر وبذلك حملوا نزاعهم العنيف من فلسطين الى مصر(٥) .

---

(١) أبو الفتح بن أبي الحسن السامري الدنفي : تاريخ السامريين ( ١٣٥٢ م ) صفحات من ٤٦ ـ ٤٨ .

(٢) جوف سورية كان إقليماً يشمل فلسطين وجنوب سوريا ويحده شمالاً جبل حرمون ( الشيخ ) وشرقاً نهر الأردن وغرباً البحر الأبيض ـ غير أن سوريا البطلمية تشمل جوف سوريا وفينيقيا . راجع ابراهيم نصحي جـ ١ ص ٧١ .

(٣) Tcherikover : op . Cit p 84

(٤) Montgomerv : op . Cit p 79

وقد اعتمد مونتجمري على ماجاء في يوسيفوس . . Jos : Contra Opionem , II, 4

راجع أوريل رففوط تولدوت يسرائيل بتقوفت هبيت هشيني ( تاريخ اسرائيل في فترة البيت الثاني ) ، ص ٥٦ .

(٥) Gaster : OP . Cit p 33

ومما يثير دهشتنا أننا نلاحظ أن أبي الفتح في روايته التي أسلفناها لم يشر الى قتل السامريين لاندروماخوس حاكم سوريا الجوفاء ، ولا إلى تدمير الاسكندر للسامرة نتيجة لذلك ، ولا إلى إعادة بنائه للسامرة .

وبناء الأحداث على هذه الصورة له الآن مايؤيده من المعلومات الأثرية . فلقد أثبت العالم جـ. أرنست رايت أنه من خلال الأبراج الهيلينية التي ظهرت في ذلك الوقت في السامرة والتي بنيت على الطراز الاغريقي ، بالاضافة الى المعلومات التي وردت في أوراق البردي التي عثر في كهف وادي داليا والتي تعود إلى القرن الرابع قبل الميلاد ؛ إن الاسكندر قد قام بتدمير السامرة وكلف بيرديكاس بإعادة بنائها وتوطين جالية مقدونية فيها ، ومن المحتمل أن قادة السامرة الذين تورطوا في الأعمال الثورية التي أدت الى مقتل الوالي قد هربوا من السامرة عندما علموا بمسيرة الاسكندر العاجلة الى المدينة ، ويبدو أنهم سلكوا الطريق الرئيسي خلف وادي الفرعة الى الصحراء ووجدوا ملجأ مؤقتاً في كهف وادي داليا ، كما هرب عدد كبير من العائلات السامرية وكان معهم مايكفيهم من الزاد وقد اكتشف مكانهم المقدونيون ، إما عن طريق البحث الدؤوب أوعن طريق الخيانة من جانب زملائهم الذين ظلوا في السامرة وقد ذبحوا بقسوة عن آخرهم[١] .

وبوفاة الاسكندر الأكبر في عام ٣٢٣ ق .م يبدأ في العالم الاغريقي العصر الذي أطلق عليه « العصر الهلينيسي » والذي ينتهي بموقعة أكتيوم عام ٣١ ق .م وهي التي بعدها بسط الرومان سلطانهم على مصر[٢] ، وقد قسمت الدولة المقدونية بين قواده الى دويلات ، وكانت مصر من نصيب بطليموس الأول « سوتر = المنقذ » ( ٣٢٣ ـ ٢٨٣ ق .م ) وفي عام ٣١٩ ـ ٣١٨ ق .م استولى على فينيقيا وجوف سوريا ، وفي هذه الفترة كان قد هاجم القدس واستولى عليها ، وكانت الظروف تضطره أحياناً الى الانسحاب من جوف سوريا ثم العودة الى احتلالها مثلما حدث في عامي ٣١٢ ، ٣٠٢ ق .م[٣] ، ثم استقرت أوضاع البطالمة في فلسطين ٣٠١ ق.م ، وكان من الطبيعي أن ينقل بطليموس الأول معه الى مصر نتيجة لهذه الحملات عدداً كبيراً من الأسرى من يهوذا ومن السامرة ، أي أنه نقل معه أسرى من اليهود والسامريين وقام بتوزيعهم في مصر وأعطاهم

---

(١) D . Noel and F . Edward : the Biblical Archaologist Reader 3 pp . 236 - 237 .

(٢) ابراهيم نصحي : المرجع السابق جـ ١ ص ٣٩ .

راجع د . فؤاد حسنين : فلسطين العربية صفحات ٨٠ ـ ٨١ .

(٣) ابراهيم نصحي : المرجع السابق جـ ١ صفحات ٧١ ، ٧٨ ـ ٧٩ .

راجع مصطفى عبد العليم : المرجع السابق ص ٣٣ .

في الاسكندرية امتيازات مساوية للمقدونيين أنفسهم[(١)] .

وقد اتفقت أقوال كثير من المؤرخين على أن عدد الأسرى من اليهود والسامرين الذين أحضرهم بطليموس الأول كان مبالغاً فيه الى حد كبير ، وحتى في أوائل العصر الروماني كان اسم سوريا مايزال يطلق أيضاً على فلسطين ، ولما لم تكن لدينا وسيلة للتمييز بين اليهود والسوريين في الوثائق ، فإنه لاجدوى في السعي الى تحديد دقيق لعدد اليهود الذين حضروا مع بطليموس الأول الى مصر[(٢)] .

وقد تعرضت يهوذا وماجاورها من البلاد لحروب دائمة بين الملوك السلوقيين ( الثاني والثالث والرابع ) وبين الملوك البطالمة ( الثاني والثالث ) بغرض السيطرة على إقليم جوف سوريا ، إلا أن إقليمي فينيقيا وجوف سوريا ظلتا تابعتين لمصر ، وحاول سليوقس الثاني استمالة سكان فينيقيا وجوف سوريا لكي يفصلهما عن مصر ، وكان قد نجح في استمالة الكاهن الأعظم أونياس الثاني الى جانبه[(٣)] الذي امتنع عن تسليم الجزية التي كان يقوم بجبايتها لمصر سنوياً ، وعلى أثر ذلك حذر بطليموس الثالث ( يورجيتس EUergetes = الخيِّر) اليهود من النتائج المترتبة على هذا العصيان لكي يعدل الكاهن الأعظم عن موقفه إلا أنه رفض[(٤)] . وفي هذه الفترة ظهر رجل قوي يدعى يوسف بن طوبياس الذي عارض خاله الكاهن الأعظم ، ولذلك عينه بطليموس الثالث مسئولاً عن جباية الجزية من فينيقيا وجوف سوريا بعد أن أمده بقوات من الجيش لتساعده في مهمته ، وقد استمر يوسف في هذا المنصب حوالي اثنين وعشرين عاماً[(٥)] .

---

(١) Jos : Ant , XII , I .I

RICCIotti · vol II , p . 154

راجع : Ency . Britanica : vol . 19 ,p 918

ويذكر د . مصطفى عبد العليم أن بطليموس الأول قد نقل أسرى اليهود الى مصر خاصة بعد موقعة غزة عام ٣١٢ ق.م . راجع مصطفى عبد العليم : المرجع السابق ص ٣٣ .

(٢) E . schurer : op . Cit . p . 14

راجع سليم حسن : مصر القديمة ج ١٤ صفحات ٧٣٤ - ٧٣٥ .

مصطفى عبد العليم : المرجع السابق صفحات ٣٤ - ٣٥ .

(٣) فؤاد حسنين : المرجع السابق ص ٨٤ .

(٤) Jos : ant . XII , IV . 1 – 4

لكن دكتور راسل أشار أن بطليموس الرابع هو الذي امتنع في عهده الكاهن الأعظم أونياس الثاني عن دفع الجزية وليس بطليموس الثالث .

راجع D .S . Russell : Between the Testaments p 26

(٥) Jos : Ant .. XII , IV , 5 - 6

وبعد وفاة بطليموس الثالث خلفة بطليموس الرابع ( فيلوباتور = المحب لأبيه ) ، وأثناء فترة حكمه دب الضعف في مصر ، فانتهز الملك السلوقي انطويوخوس الثالث المسمى الأكبر(٢٢٢ ـ ١٨٧ ق . م ) ، هذه الفرصة واستولى عام ٢١٨ ق . م على جوف سوريا بما فيها السامرة ولم يستطع السيطرة على إقليم يهوذا ومنطقة القدس وظلتا تابعتين لمصر(١) .

## الفصائل المتأغرقة والخروج على الشريعة اليهودية

وبعد وفاة بطليموس الرابع في عام ٢٠٣ ق . م انتهز انطيوخوس الثالث ملك سوريا وفيليب ملك مقدونيا ، الفرصة لتقسيم مصر والأقاليم التابعة لها فيما بينهما ، وقد تعاون أبناء يوسف بن طوبياس مع انطيوخوس بدافع من حقدهم على البطالمة ، حتى أنهم ساعدوا ملك سوريا على دخول القدس ، وهكذا سقطت يهوذا والقدس من قبضة السلوقيين عام ٢٠٢ ق . م(٢) . وفي ظل هذا التوتر حدث صراع بين السلطة الدينية اليهودية المحافظة وبين السلوقيين الذين خططوا لادخال الحضارة الهيلينية في المجتمع اليهودي وإبعاد هذا المجتمع عن التقاليد الموروثة بقدر الامكان ونتج عن ذلك :

١ ـ تساهل في التقاليد الدينية المفروضة على الشباب اليهودي واشتراكهم في الالعاب الاولمبية .

٢ ـ الجانب الثقافي : وهو أن الفكر اليوناني بدأ يتسلل الى المعتقدات الدينية اليهودية ، ومن ثم فقد ظهرت الفرق اليهودية الأخرى مثل الأسينيين والصدوقيين .

كل هذا كان يعتمد على أخذ ورد من داخل الفلسفة اليونانية ، فعلى سبيل المثال نجد أن الصدوقيين كانوا ينكرون الثواب والعقاب في الاخرة متأثرين بالفكر اليوناني الأبيقوري بالذات .

وعلى ذلك نشأ فريقان متنافسان ، وكان ياسون ( اسمه العبري يوشيا وغير اسمه الى الأسم اليوناني ياسون ) قد نجح في تولى منصب الكاهن الأعظم متحمساً للحضارة الهيلينية ، ومن ثم فقد أصبح زعيًما للفريق المتأغرق بمساعدة السلوقيين . وقد تحول الصراع بين الفريقين المتنافسين الى صراع ديني ، وبلغ من تطرف أعضاء الفريق

(١) JOS : Ant , XII , IV , 6 - 10 .

(٢) د . ابراهيم نصحي : المرجع السابق ج ١ صفحات ١٦٩ ـ ١٧٠ .
راجع فؤاد حسنين : المرجع السابق ـ ص ٨٩ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)



المتأغرق ، أنهم تنكروا للعادات والشريعة اليهودية ، وفي ظل هذا الصراع ظهرت جماعة دينية من اليهود المحافظين الذين عرفوا في التاريخ اليهودي باسم « الحسيديم »[١] ، أعلنوا معارضتهم لتلك الوثنية الهيلينية . وفضلاً عن ذلك فقد سمح في عهد الكاهن الأعظم ياسون بتأسيس الجومنازيوم[٢] بالقرب من الهيكل في القدس ، وقد اشترك بعض الكهنة من صغار السن في ممارسة الألعاب الاغريقية داخله كما أن التمادي في الانحراف عن الشريعة اليهودية أدى إلى اشتراك بعض اليهود في تقديم القرابين للاله هرقل[٣] .

## تسرب الحضارة الهيلينية الى المجتمع اليهودي

وقد جعلت العوامل السابقة الانفجار الثوري قاب قوسين أو أدنى ضد السلوقيين ، ولـذلـك سارع الملك السلوقي انطيوخوس الرابع (١٧٥ ـ ١٦٤ ق.م) (أبيفانس) بمهاجمة القدس لمزيد من النكاية في اليهود وشريعتهم حيث اقتحم المعبد واستولى على كنوزه ، وكان الكاهن الأعظم منيلاوس ـ الذي عينه الملك السلوقي ـ هو الذي أرشده إلى المكان الذي كانت توضع فيه هذه الكنوز والآنية المقدسة ، وفي أعقاب ذلك بنى انطيوخوس مذبحاً وثنياً وضع فيه هذه الكنوز والآنية المقدسة ، وأجبر اليهود على أن يتخلوا عن عقيدتهم وأن يوقروا الآلهة الوثنية ، كما أجبرهم على بناء معابد ومذابح وثنية ، وهكذا بسط الحزن جناحية على القدس وإمعانا في تحدي اله اسرائيل أدخل انطيوخوس الرابع

(١) الحسيديم «الأتقياء» هو اللقب الذي أطلقته طائفة الفريزيين على أنفسهم وهم طائفة علماء الشريعة من الربانيين قديمًا ، وقد أطلق عليهم بعض الكتاب « الفريسين » وبالعبرية « فروشيم » ومعناها المفروزين ، أي الذين امتازوا عن العامة من اليهود وأصبحوا من الصفوة المختارة لعلمهم وورعهم ، كما كانت لهم السلطة في توجيه المجتمع اليهودي على عهد المسيح كما كانوا من أشد خصومه .

راجع حسن ظاظا : الفكر الديني الاسرائيلي صفحات ٢٥٢ ـ ٢٥٣ .

(٢) كان الشباب من صغار السن ( من سن التاسعة عشر والعشرين ) يلتقون في الجومنازيوم حيث يتم تدريبهم عسكرياً بالاضافة إلى تثقيفهم مختلف علوم العصر ، وقد أدى هذا إلى انتشار حرية الفكر والتي ظهر في كنفها الآداب والفلسفة .

راجع ابراهيم نصحي : المرجع السابق جـ ١ صفحات ٤١ ـ ٤٢ .

(٣) ٢ مكابين ٤ : ١٨ ـ ٢٠ .

راجع لؤاد حسنين : المرجع السابق ـ ص ٨٩ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)



عقيدة « زيوس أليمبيوس »[١] في القدس ، حيث بني مذبحاً جديداً وأحرق التوراة المحفوظة بالمعبد ووضع صورة زيوس على المعبد المقام لتقدم إليه القرابين مباشرة ، وبذلك حول الهيكل الى مكان لهذه العبادة ، وايذانا بتدشين المعبد قدم انطيوخوس خنزيراً كقربان حيث نثر دمائه على المذبح الجديد وكان ذلك في يوليو عام ١٦٧٠ ق . م [٢] .

وعندما رأى السامريون مدى ماتحمله اليهود في يهوذا من معاناة واضطهاد على يد أنطيوخوس الرابع ، بعثوا اليه برسالة ـ كما ذكر المؤرخ اليهودي يوسيفوس ـ هذا نصها : « الى الملك أنطيوخوس الاله ، هذا تذكار من الصيدونيين الذين يقيمون في شكيم ، إن أجدادنا نتيجة تعرضهم المتكرر لوباء الطاعون ولاتباعهم الخرافات ، فقد كان من تقاليدهم الاحتفال بهذا اليوم الذي يطلق عليد اليهود اسم السبت ، وأنهم أقاموا معبدهم على جبل جريزيم دون أن يطلقوا اسماً عليه وقد قدموا على قمة هذا الجبل القرابين . وبالرغم من معاملتك العادلة لهؤلاء اليهود الأشرار ، وعلى افتراض أنه كانت تربطنا بهم صلة قربى ، فقد جعلونا نتعرض لنفس اتهاماتهم مع أننا أصلاً صيدونيون كما هو واضح من الوثائق ، ولذلك نستعطفك أيها الخيّر ياولي نعمتنا ومُخلّصنا أن تصدر أوامرك إلى أبولونيوس Apollonius حاكم الاقليم الموكل من جانبك بألا يضطهدنا ولايوجه إلينا التهم المنسوبة إلى اليهود ، نظراً لأننا لاننتسب إليهم ولانمارس تقاليدهم وعاداتهم ، وأن تسمح

(١) عقيدة زيوس : حدثت أشياء كثيرة منها أن معظم الشباب اليهود قد أعجب بالحضارة اليونانية ، وكان يحتفل بأعياد اليونان ويشترك كثير منهم في الألعاب الاغريقية ، وأخذ على كثير من هذا الشباب تهاونه في مراعاة أحكام الدين حتى أن بعضهم كان يأكل لحم الخنزير ، كما أن بعضهم كان يخلع ملابسه خلال مباريات المصارعة ويبدو عارياً ، وكان مما استدعى سخرية الاغريق رؤيتهم لشباب اليهود المختتن مما جعل بعضهم يبحث عن وسيلة حتى يبدو كأنه غير مختتن ، ويقال أن بعضهم قد أجرى عمليات جراحية لكي يخفي الاختتان ، مما أثار رجال الدين وظهرت طائفة شديدة التعصب لليهودية أطلق عليها القنائين ـ وهم شعبه من الفريزيين ، إلا أنهم اشتهروا بالقسوة التي تصل إلى حد القتل والتي ظهرت كرد فعل للانحراف الديني للشعب اليهودي المفتتن بالحضارة الاغريقية ، فعيد زيوس كان عيد رقص وعربدة وكان احتفالاً بمقدم الخريف .

(٢) ٢ مكابين ٥ : ١٥ ـ ١٦ ، ٦ : ٢ ، ١٨ .

راجع :

K . Kenyon : Digging Up Jerusalem . P . 190 .

كما يشير م . كاري أنه أقيم للاله زيوس اكسينيوس عبادة في السامرة لقيت نفس النجاح الذي لقيته عبادة زيوس أليمبيوس في أورشليم .

راجع :

M . Cary : A History of the Greek World From 323 to 146 B . C . , ( 1965 ) P . 228 .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)



لنا بأن نطلق على معبدنا الذي لايحمل اسمًا في الوقت الحاضر معبد جوبيتر هيلينيوس وإذا تمت موافقتك على هذا ولم نتعرض لأي اضطهاد فسوف نركز اهتمامنا في العمل بطمأنينة وبذلك نستطيع زيادة الجزية المقررة » .

وبناء على الالتماس المقدم من السامريين ، أرسل الملك رسالة موجهة إلى أبولونيوس يخبره فيها بمضمون الرسالة ، ويؤكد على أن من حقهم الاقامة في شكيم مع الاعلان بأن الملك يحلهم من التهم المنسوبة إلى اليهود وموافقته على أن يسمى معبدهم بمعبد جوبيتر هيلينيوس(١) .

ينبغي علينا بعد ذلك أن ندرس ماجاء بمضمون هذه الرسالة ، فيرى يوسيفوس من وجهة نظره أن السامريين قد خصصوا بمحض ارادتهم معبدهم جوبتر أثناء حكم انطيوخوس ابيفانس ، كما أن يوسيفوس قد لجأ إلى أسلوب تبادل الرسائل ليؤيد مزاعمه ، ولكن لو كان الأمر كذلك لحق لنا أن نتساءل لماذا أطلق على السامريين هنا الصيدونيون ، وزعم أنهم لاينتسبون إلى السلالة الأصلية لليهود وأنهم لايحتفلون بيوم السبت مثلما كان أجدادهم يحتفلون به ، كما نتساءل لماذا حدد لهم مدينة شكيم كمحل لاقامتهم ؟ . . وقد سبق أن استدللنا على مدى الخطأ الذي وقع فيه يوسيفوس عندما أطلق عليهم أيضاً اسم الشكميين في كتابه Ant , XI , VIII , 6 ، ويوسيفوس كمؤرخ يهودي لايريد بأن يقر بأن السامريين هؤلاء هم بقايا القبائل العشر في السامرة ، فهو يذكرهم كطائفة منسوبة إلى شكيم ، ويحاول بذلك أن يبعد نسبهم عن السامرة وأن يدلل على أنهم غير يهود ، وهذا الزعم من جانبه جدير بالملاحظة ، فعلى الرغم من أنهم غير يهود على حد تعبيره ، إلا أنهم احتفلوا بيوم السبت منذ أقدم العصور .

وقد تصدى رشيوتي لمناقشة هذه الرسالة حيث أشار إلى أنه لو سلّمنا جدلاً بصدق دعوى يوسيفوس في تخصيص المعبد السامري على جبل جريزيم لجوبيتر ، فإن هذا بدون شك قد مثّل أماني السامريين في السامرة وهو فرع من الحزب الرئيسي في القدس أيضاً ، وبالطبع لايضم كل المجتمع السامري ، كما يتضح من سفر المكابيين الثاني ٦ : ٢ أن تخصيص المعبد السامري لجوبيتر ربما كان نتيجة للقسوة الوحشية التي عانى منها اليهود في القدس عندما أجبرهم أنطيوخوس على ترك دينهم وعبادة آلهة وثنية(٢) .

وجاء في بعض المصادر أن السامريين في القرن الثاني قبل الميلاد كانوا ضمن الذين شملتهم اجراءات القمع التعسفية على يد انطيوخوس ابيفانس ، وكانت هذه الاجراءات

(١) JOS : Ant . , XII , V , 5 .

(٢) Ricciotti : Vol . II , P . 153 .

التعسفية سبباً في توحيد صفوفهم وجعلهم طائفة متميزة لها كيانها الخاص [١].

ويبدو من وصف يوسيفوس للأحداث ، أنه في نهاية القرن الثالث وبداية القرن الثاني قبل الميلاد قد أصبحت فلسطين تشكل إقليماً منفصلاً بجانب أقاليم جوف سوريا وفينيقيا [٢].

ونتبين من هذا أن انطيوخوس أبيفانس قد دمر الهيكل في القدس وحوله إلى مكان لعبادة زيوس أليمبيوس وأوقف عبادة يهوه ، وأجبر اليهود على أن يذبحوا للآلهة الوثنية ، كما أطلق على المعبد السامري الذي على جبل جريزيم اسم جوبيتر هيلينوس ، وهذه الاجراءات التي اتخذها انطيوخوس للقضاء على الديانة اليهودية ، كانت سبباً ساعد على تطور الصراع بين الديانة اليهودية والهيلينية الوثنية يوماً بعد يوم ، حتى اندلعت ثورة المكابيين التي وضعت هدفها الأساسي في استعادة الهيكل وتطهيره ، وبذلك جاءت النتيجة مختلفة تماماً عما توقعه انطيوخوس ، فقد عجزت السلطات السلوقية عن قمع الاضطرابات ، وقد ظهرت في هذا الجو العاصف أسرة اشتهر أبناؤها بالتدين والتمسك بالشريعة وأحكامها تعرف باسم المكابين ، وقد استطاعت قواتها في عام ١٦٦ ق.م بقيادة يهوذا المكابي أن تهاجم القوات السلوقية بقيادة ابولونيوس حاكم الاقليم السامري الذي قتل في المعركة وكان النصر حليف المكابيين .

وعندما علم انطيوخوس ابيفانس بنتيجة المعركة مع المكابيين ، أرسل سيرون قائد جيش جوف سورية لمهاجمتهم ، ولكن بعض اليهود المتأغرقين أرشدوا الجيش السلوقي إلى أقصر الطرق وأصلحها إلى يهوذا ونتيجة لهذا فقد دب الرعب في نفوس أفراد جيش يهوذا المكابي عندما أبصروا قوة الجيش السلوقي ، إلا أن يهوذا المكابي أثار حميتهم عندما خطب فيهم مذكراً اياهم بكنوز المعبد الثمينة والآنية المقدسة التي سيدافعون عنها وبأبنائهم وعقيدتهم ، فرفع من معنوياتهم واستطاع المكابيون أن يحققوا نصراً على الجيش السلوقي عند بيت عورون ، وعندما أدرك ابيفانس أنه أساء تقدير قوة المكابيين حشد جيشاً آخر أكثر قوة تحت قيادة ليزياس بمساعدة نيكانور وجوجياس ، قوامه أربعون ألفاً من المشاة وسبعة آلاف من الفرسان ، وكان ابيفانس قد عقد العزم على أن يهدم القدس ويسكنها أقواماً وثنيين بدلاً من اليهود ، ولكن يهوذا المكابي أخذ يحث جنوده بالتمسك بالعقيدة وقسم جيشه إلى ثلاثة أقسام وعين على كل قسم أحد اخوته ، وبذلك أحرز يهوذا نصراً آخر على السوريين عند إماوس ثم عاد اليهود إلى مودين مركز تجمعهم مرة ثانية [٣].

---

(١) Ency . Religion : Samaria , PP . 163 – 164 .
(٢) Jos : Ant . XII , IV , 1 – 4 .
(٣) J0s : Ant . XII , VII , 1 , 2 , 3 , 4 , 5 .

وفي خريف عام ١٦٥ ق.م عاد ليزياس مرة أخرى على رأس جيش كبير قوامه ستون ألفاً من المشاة وخمسة آلاف من الفرسان للانتقام من يهوذا المكابي ، إلا أنهم فضلوا الانسحاب نتيجة للحماس الديني الذي أظهره المكابيون ، وهكذا بعد نحو ثلاثة أعوام ونصف منذ اندلاع الحروب بين السلوقيين والمكابيين حل نوع من المهادنة انتهز يهوذا المكابي خلالها الفرصة وهاجم القدس ، واستطاعت قواته أن تحطم المذابح الوثنية والتماثيل اليونانية وزوّدوا المعبد بمذبح طاهر جديد ، وقد استغرقت هذه العملية ثلاثة أسابيع . وفي ٢٥ كسلو ( ديسمبر) ١٦٥ ق.م أعيد فتح الهيكل في القدس للشعائر اليهودية حيث أقيمت صلوات الشكر وقدمت القرابين واعتبروا أن هذه المناسبة عيداً أطلقوا عليه عيد التدشين أو عيد الحانوكة(١) .

ومرة أخرى عاد يهوذا المكابي إلى تطبيق النظام الكهنوتي القديم من حيث تعيين الكهنة واللاويين في المعبد ، كما أقصى الذين انحرفوا واتبعوا الهيلينية عن الخدمة في المعبد .
وفي أعقاب الحروب المكابية مع السلوقيين لم يحاول انطيوخوس الخامس أن يكرر مافعله ابيفانس مع اليهود ، وإنما ترك لهم حرية أكثر ، وبالتالي فإن الحزب المتأغرق قد اضطهد إلى حد كبير وبانتهاء الحروب المكابية في عام ١٦٢ ق.م تحول الصراع الديني إلى صراع سياسي(٢) . وقد أصبح ديمتريوس الأول ـ ابن انطيوخوس الرابع ـ ملكاً على سوريا بعد قتله انطيوخوس الخامس واستطاع بعد ذلك اكتساب تأييد الرومان(٣) .

وأهم مايعنينا في هذا المقام ، أن قادة الحزب المتأغرق على رأسهم الكيمس قد أرسلوا إلى ديمتريوس يشكون من الظلم الواقع عليهم من يهوذا المكابي ، الذي كان قد طرد أتباع الملك أيضاً ، ونتيجة لهذا عين ديمتريوس الكيمس كاهنا أعظم وسير الجيش السلوقي تحت قيادة بكيدس إلى يهوذا لتعيين الكيمس في منصبه بالقوة إذا لزم الأمر(٤) . وما أن سمع المكابيون وأنصارهم بذلك حتى ولوا الأدبار ، وأعلن الحسيديم ولاءهم للنظام الجديد لاعتقادهم أن الكاهن الأعظم الكميس من نسل هارون والذي كان قد منح السلطة السياسية والادارية علاوة على السلطة الدينية وانتهز ديمتريوس فرصة ضعف

---

(١) ٢ مكا ١٠ : ١ ـ ٧ ، ١ مكا ٤ : ٣٦ ، ٥٤ .
(٢) E. Schurer : Op. Cit., P. 317.
(٣) ١ مكا ٧ : ١ ـ ٤ .
(٤) ١ مكا ٧ : ٥ ـ ٩ ، ٢ مكا ١٤ : ٣ ـ ١٠ .

المكابيين وهزمهم في أبريل عام ١٦٠ ق.م وبذلك انتهت أسطورة المكابيين(١) .

ومن هذا يتبين لنا أن أمور اليهودية لم تكن مستقرة خلال هذه الفترة ، ولم يشكل اليهود الكثرة الغالبة من السكان ، وأنهم كانوا يتمتعون بالاستقرار فقط حينما كانوا يستعينون بقوة أجنبية لمساندتهم ، كما أن الفلسطينيين في عصر المكابيين كانوا يمثلون تهديداً للكيان اليهودي حتى أن يهوذا المكابي عندما شعر بخطرهم حاول القضاء عليهم ، ومعنى هذا أن خطورة الفلسطينيين كانت مستمرة بشكل متواصل .

وبعد وفاة يهوذا المكابي لجأ الاخوة الحشمونيون يوناثان وشمعون ويوحنان إلى تكوين حزب قوي للصمود أمام الحزب المتأغرق ، وعلى الرغم من أن الهيلينية قد كفلت للحشمونيين حرية العبادة وإقامة الشعائر الدينية ، إلا أن يوناثان استغل فرصة الاضطرابات التي حدثت في سوريا نتيجة انقسام المملكة السلوقية بين ديمتريوس والكسندر واقتحم المعبد في عيد المظال عام ١٥٢ وأعلن نفسه كاهناً أعظم ، فكان بذلك أول حشموناني يصل إلى هذا المنصب حيث ظل به يوناثان تسع سنوات ( ١٥٢ - ١٤٣ ق.م ) تميزت بالتقدم ، ولكنه أعدم عام ١٤٣ ق.م على يد تريفون أحد قواد ديمتريوس(٢) .

وفي أعقاب ذلك قام شمعون آخر أبناء متتياهو الكاهن المكابي بتحرير البلاد من السيطرة السلوقية ، كما تخلص من الحزب الهيليني وكان شمعون قد وضع نفسه في خدمة روما حيث أصبح ضمن رابطة الولايات الرومانية ، وعموماً فقد اتسم حكمه الذي دام تسع سنوات ( ١٤٢ - ١٣٤ ق.م ) بالازدهار ، وبقيت زعامة الأسرة الحشمونية على اليهود حتى بسط الرومان سلطانهم على فلسطين في عام ٦٣ ق.م(٣) .

---

(١) ١ مكا ٧ : ١٠ - ١٥ .
راجع :
Jos : Ant ., XII , 10 , 2 – 4 .
E . Schurer : Op . Cit , PP . 40 – 41 .
(٢) ١ مكا ١٣ : ١٨ .
راجع :
Jos : Ant . , XIII , I , 1 – 6 .
(٣) E . Schurer : Op . Cit . , PP . 65 – 68 .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)



# القدس في العصر الروماني

ينقسم تاريخ القدس في العصر الروماني في فلسطين إلى ثلاث مراحل :

١ ـ المرحلة الأولى وتمتد من عام ٦٣ ق.م بعد أن بسط بومبي القائد الروماني سلطانه على فلسطين وحتى نهاية الثورة اليهودية الأولى في عام ٧٠ م .

٢ ـ المرحلة الثانية وتمتد من عام ٧٠ م وحتى عام ٣٣٧ م وهو نهاية حكم الامبراطور قسطنطين ( ٢٧٤ ـ ٣٣٧ م ) .

٣ ـ المرحلة الثالثة وتمتد من عام ٣٣٧ م وحتى بداية الغزو العربي لفلسطين عام ٦٣٤ م بقيادة عمرو بن العاص .

## أولاً/ المرحلة الأولى من العصر الروماني ( ٦٣ ق.م ـ ٧٠ م )

### جافينوس وتفتيت الكيان اليهودي

بعد أن بسط الرومان سيطرتهم على فلسطين أصبحت تحت سيطرة الحاكم الروماني لسورية ، وقد تمتعت السامرة بقدر من الحرية السياسية خلال العصر الروماني[(١)] ، وخاصة عندما أصبح جافينوس حاكماً على سوريا ( ٥٧ ـ ٥٥ ق.م ) ، وقد أصدر هذا الحاكم أوامره بإعادة بناء كل المدن التي دمرت من قبل ومن بينها السامرة وبيت شان[(٢)] ، وكان جافينوس قد اتخذ عدة اجراءات سياسية جديدة بجانب تعمير السامرة وغيرها من المدن ، حيث قسم أرض فلسطين إلى خمسة أقاليم تُحكم حكمًا ذاتياً مع وجود سلطات قضائية وادارية وهذه الأقاليم الخمسة هي القدس ، واريحا ، وجازر ، والجليل الأعلى وشرق الأردن ، وكان الغرض الظاهر من هذا التقسيم بلا شك هو تسهيل جمع الضرائب ، ولكن الهدف الرئيسي لجافينوس كان تفتيت الكيان اليهودي ؛ ويتبين لنا أن هدف السياسة الرومانية هو إعادة الصبغة الاغريقية للمدن والمناطق التي كان المكابيون قد هوّدوها[(٣)] .

---

(١) Interpreter's Dictionary of the Bible : Samaria P . 186 .
راجع أوتسار يسرائيل ـ مقالة السامرة جـ ٥ ص ٢٧٠ .

(٢) Jos : Ant ., XIV , V , 3 .
راجع : Montgomery : Op . Cit ., PP . 82 – 83 .

(٣) Ricciotti : Vol . 11 PP . 306 – 307 .
راجع : E . Schurer : Op . Cit . , PP . 102 , 336 , Note 4 .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)



وعندما آلت زعامة روما لقيصر بعد أن هزم بومبي عام ٤٨ ق.م عين هيركانوس كاهناً أعظم في القدس ، وأعلن انتيباتير مواطناً رومانياً مسئولاً عن جباية الضرائب في فلسطين ، وبعد فترة من تعيين هيركانوس كاهناً أعظم صدر قرار بتعيينه رئيساً على بقايا اليهود ( اثنارخيس ) . وقد ترتب على ذلك الغاء التقسيمات الادارية والسياسية التي كان جافينوس قد أدخلها .

## هيرودس والهيكل الثاني

وبعد فترة من الزمن قام هيرودس ( ابن انتيباتير) بدور الوصي على الكاهن الأعظم هيركانوس ، حيث عاد الوئام بينهما مرة أخرى ، حتى أنه تزوج مريم حفيدة هيركانوس ، وفي تلك الأثناء عيّن أغسطس الامبراطور الروماني هيرودس الأدومي ملكاً تابعاً له على مابقي من اليهود في فلسطين حكم خلالها من عام ٣٧ حتى عام ٤ ق.م ، وهكذا جلس على العرش ملك وصفه الشعب استهجاناً بأنه ملك نصف يهودي لافتقاره إلى الجذور الدينية القومية . وقد كانت السنوات الأولى من حكمه ( ٣٧ ـ ٢٥ ق.م ) بمثابة حروب مستمرة هدفها دعم سلطانه ، ونجح عن طريق القسوة في التغلب على العقبات الخارجية والداخلية التي كانت تعترض طريقه ، ففي هذه الفترة كان النزاع على السلطة مازال مستمراً بين المكابيين ، رغم أنها سلطة هزيلة تتصل بجمع العشور من اليهود وتنفيذ الأحكام الشرعية بينهم نتيجة لسيطرتهم على القضاء(١) .

وفي تلك الظروف انتهز هيرودس الفرصة وهاجم مدينة القدس عام ٣٧ ق.م بمساعدة القائد الروماني سوسيوس ، وأحكم عليها الحصار وقصفها بالمنجنيقات حتى تحطمت أسوارها ثم اقتحمها ، وفي أعقاب ذلك نصّبه الامبراطور الروماني أغسطس ملكاً كما أسلفنا . وكان هيرودس ـ الذي كان ينتمي إلى أصل أدومي ـ قد اعتنق الديانة اليهودية ، إلا أن اليهود اعتبروه أجنبياً وزادت كراهيتهم له بعد أن استأصل شأفة المكابيين لقتلهم والده .

على أن الأمور أخذت تسير بعد ذلك وفقاً لميزان القوى الجديد بعد أن آلت زعامة روما لأغسطس ، واستطاعت السامرة أن تعيد إليها الاهتمام خلال فترة حكم هيردوس ، إذ وقفت بجانبه في نضاله ضد انتيجونوس الحشموني ، وهناك تزوج مريم وفيها دفن أبناءه ،

---

(١) شمعون دولفوف : هيميم لعام يسرائيل ( تاريخ الشعب الاسرائيلي ) صفحات ١٦٠ ، ١٦١ ، ١٦٤ .

وقد أخذ على عاتقه إعادة بناء السامرة فبدأ عام ٣٠ ق.م بإقامة سور حول المدينة عززّه بأبراج من مواقع متعددة على امتداده ، وعند انتهائه من بناء المدينة وطّن بها حوالي ستة آلاف من المحاربين الاغريق القدماء ، واتخذها مقراً لتجميع القوات المرتزقة ، وكان هيرودس قد أطلق على مدينة السامرة اسم « سبسطية » تكريمًا للامبراطور أغسطس سبستبان وأصبحت عاصمته المفضلة[١] .

وبعد أن أعاد بناء السامرة خطط لبناء ميناء قيسارية في نهاية طريق السامرة الساحلي لتكون حلقة الاتصال بينها وبين الساحل وكانت غالبية سكانها من الاغريق والرومان .

ولكي يكسب تأييد مابقي من اليهود في فلسطين ـ مع علمه بكراهيتهم الشديدة له ـ أعاد تخطيط مدينة القدس ودعم أسوارها ، وعندما أحسّ بالخطر نقل مقر قيادته من القصر القديم ـ على آثار الدمار المتبقية من قلعة أكرا ( قلعة صهيون ـ داود ) ـ وأتى به إلى مقره الجديد بالجزء الشمالي الغربي من المدينة على حافة وادي هنوم بالقرب من باب يافا وباب افرايم ، وحصّن قصره الجديد بثلاثة أبراج هم فزائيل وهيبيكوس وداود ، وبذلك أصبحت قلعة هيرودس مدعمة بالأبراج الثلاثة وخلفها يقع قصره ، وقد ضم سور القصر السوق الكبرى بالاضافة إلى صفين من المباني ، أطلق على إحداهما المبنى القيصري إجلالاً لعظمة القيصر الروماني أغسطس ، واسم المبنى الثاني أجريبا نسبة إلى أجريبا القائد الروماني التابع لقيصر روما أغسطس .

وفي أقصى الزاوية الشمالية الغربية من السور الثاني ـ الذي بناه نحميا ـ قام هيرودس بتحويل حصن البيرة القديم ( أقيم بعد العودة من السبي البابلي ، وهو تسمية فارسية بمعنى القلعة عرفت بهذا الاسم تحت حكم الفرس ) إلى بناء ضخم يسيطر على أرجاء الهيكل وسماه قلعة « انطونيا » تشريفاً لحامية « مارك انطونيو » . ويتكون الحصن من أربعة أبراج أحدها وهو الشمالي الشرقي ، ومنه يراقب جنود الرومان مايجري داخل الهيكل الذي حظي بعناية هيرودس .

وفي تلك الأثناء جمع هيرودس اليهود من مختلف طبقاتهم في السنة الثانية عشرة من حكمه ، وأخبرهم أنه قد أتم تحصين القدس ولم يبق سوى الهيكل ، وأوضح لهم أن عملية إعادة بنائه على أيدي آبائهم بعد العودة من السبي ، قد تمت على النحو الذي حدده لهم الملك قورش الفارسي ، فلم يظهر بالمظهر اللائق ثم أصبحوا تابعين للاغريق ، وبعد ذلك لم يتمكن المكابيون من إعادة تعميره بسبب انشغالهم بالحروب والنزاع على السلطة ، فخاف اليهود من عملية الهدم أولاً ، ولكنه وعد بإحضار كل مايلزم لعملية البناء من

(١) G . Smith : The Historical Geography of The Holy Land P . 229 .



لوحة رقم (٦)
مخطط لمدينة السامرة
قبل التدمير الأشوري لها
وفي العصرين اليوناني والروماني
عصر الانشقاق الإسرائيلي
١- السور الداخلي الأول للقلعة
٢- السور المتأخر
٣- السور السفلي الذي أحاط القلعة
٤- قصر عمري و آحاب
٥- البيت العاجي
٦- مقر المنفى
٧- البوابة المؤدية للقلعة
العصر اليوناني
٨- البرج المستدير
العصر الروماني
٩- سور المدينة
١٠- بوابة محاطة بالقلاع
١١- طريق الأعمدة (الأشجار)
١٢- المعبد الوثني لأغسطس (جوبيتر)
١٣- المعبد الوثني للإلهة كورا
١٤- ملعب الجمنازيوم
١٥- مسرح
١٦- مجلس المدينة
(سور المعبد في جانبه الغربي)

جديد ومواد خام ، ثم يقوم بعملية بناء هذا الهيكل من جديد .

ولم يلبث هيرودس أن قام ببنـاء الهيكل على مساحة تبلغ عشرون فداناً ، وهو بذلك يعتبر ضعف مساحة هيكل نحميا ، بما زاد عليه من أروقة وساحات متصلة ، وقد أحاطه بجـدران كبـيرة لم يبق منها سوى جدار واحد هو الحائط الغربي والذي يطلق عليه حالياً حائط المبكى .

وكان هيكل هيرودس مكوناً من الساحة الأولى الخارجية كسوق لبيع القرابين ، وهي المسمـوح بدخـول غير اليهـود فيها ، وتحيط بساحة الهيكل الداخلية أروقة ذات أعمدة مزدوجة من الرخام على شكل زوايا قائمة ، والساحة الداخلية تنقسم إلى رواقين أحدهما في الجانب الغربي وغير مسموح فيه بتواجد الرجال ، والرواق الآخر في الجانب الشرقي غير مسموح فيه بتواجد النساء .

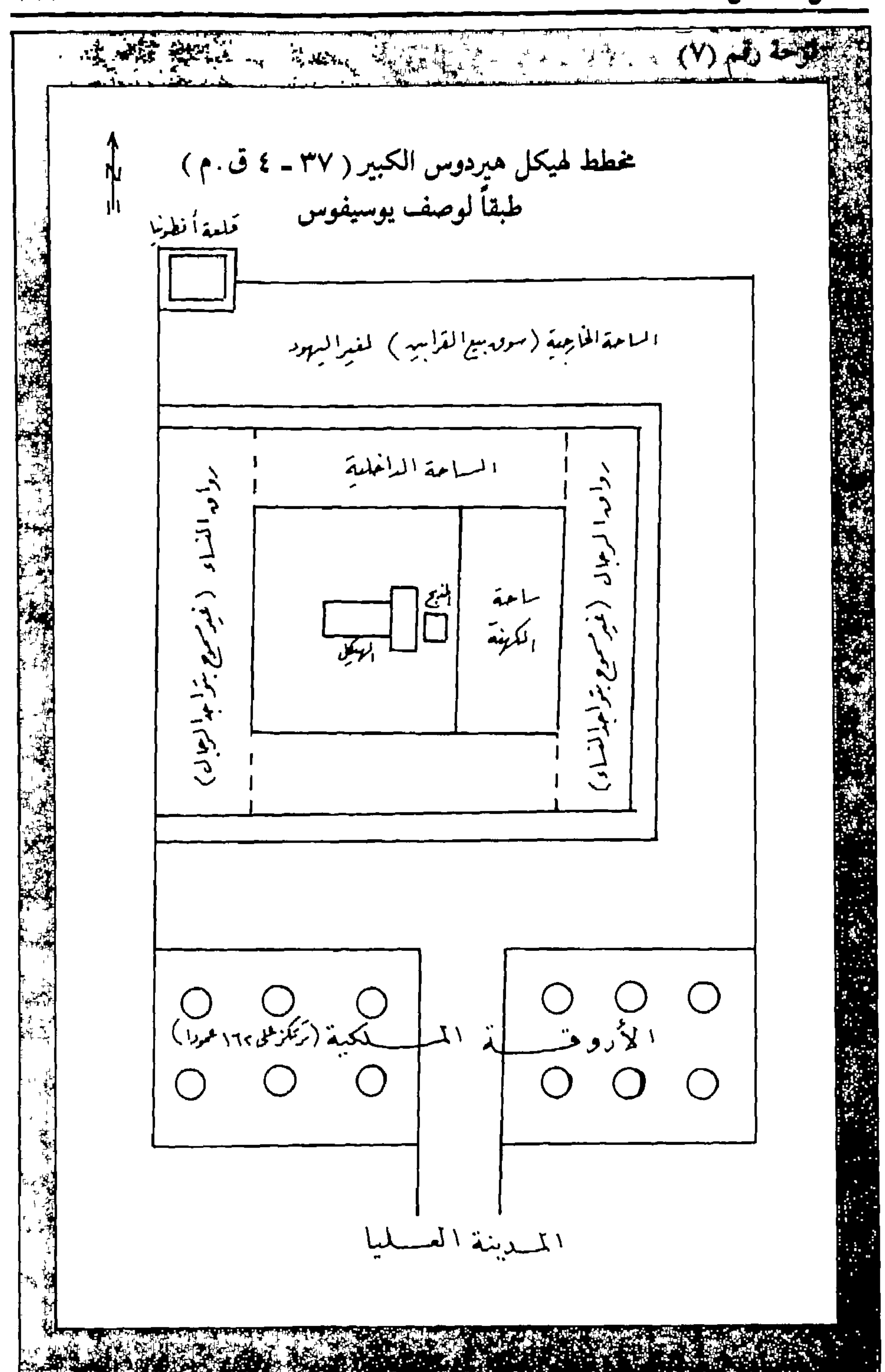
وكانت ساحة الهيكل الداخلية منفصلة عن الساحة الخارجية ويفصل بينهما سياج من الأحجار على مسافات متساوية مكتوب عليها تحذير بأن كل من يتجاوز هذا المكان ـ من غير اليهود ـ عقابه الموت ، بالاضافة إلى ذلك فكانت ساحة الكهنة ترتفع ثلاث درجات وتلي الساحة الداخلية ، وفي الداخل قدس الأقداس ولا يدخله إلا كبير الكهنة مرة كل عام ، ومن المحتمل أن يكون تمثالي الكروبين في هيكل سليمان قد تم تنفيذهما في هيكل هيرودس بشكل أقرب إلى الفن التجريدي دون تفاصيل دقيقة .

أمـا الأروقـة الملكية فكـانت تحيط بالهيكـل من اتجاه الجنوب ، وكان الهيكل متصلاً بالمدينة العليا عن طريق مرتفع ، وكان قد شيّد مسرحاً دائرياً وساحة للسباق ليجري عليها الألعـاب الأولمبية ، وهكـذا كانت القدس في عهده مدينة لها طابعها الوطني الدموي ، لايميزها عن غيرها سوى وجود الهيكل ومقر الكهنوت اليهودي والمعروف بالسنهدرين .

أمـا بالنسبـة للنظام الكهنوتي في القدس فقد أصابه الضعف ، حيث استبدل بنظام التعيين لشغل منصب الكاهن الأعظم بدلاً من نظام الوراثة ، وذلك ليتحكم هيرودس فيمن يشغله حسب أهوائه الشخصية ، وتوالى بعد وفاة هيرودس بعض الولاة من اليهود ، وتولى حكم فلسطين بعد ذلك حكام من الرومان متعاقبين كانت في عهدهم كإقليم يتبع الحاكم الروماني لسوريا .

(١) السنهدرين : أول سنهدرين كان في عصر موسى عندما دعا السبعين رجلاً ليعملوا معه عندما تذمر أتباعه مطالبين بالعودة إلى مصر . وقد منح الرومان السنهدرين صلاحيات دينية واجتماعية واسعة ، على ألا تؤثر هذه السلطات على المصالح السياسية الرومانية . وكان للحاكم الروماني الصلاحيات في التصـديق على أحكـام السنهـدرين التي يصدرها في الجرائم الكبرى ، ويبلغ عدد أعضائه واحد وسبعين عضواً ، منهم ثلاثة وعشرين يتألف منهم المجلس المخصوص .

لوحة رقم (٧)


مخطط لهيكل هيردوس الكبير ( ٣٧ - ٤ ق.م )
طبقاً لوصف يوسيفوس
قلعة أنطونيا
الساحة الخارجية (سور مبيع القرابين) لغير اليهود
الساحة الداخلية
رواق النساء (غير مسموح بتواجد الرجال)
رواق الرجال (غير مسموح بتواجد النساء)
المذبح
الهيكل
ساحة الكهنة
الأروقة الملكية (ترتكز على ١٦٢ عموداً)
المدينة العليا

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)



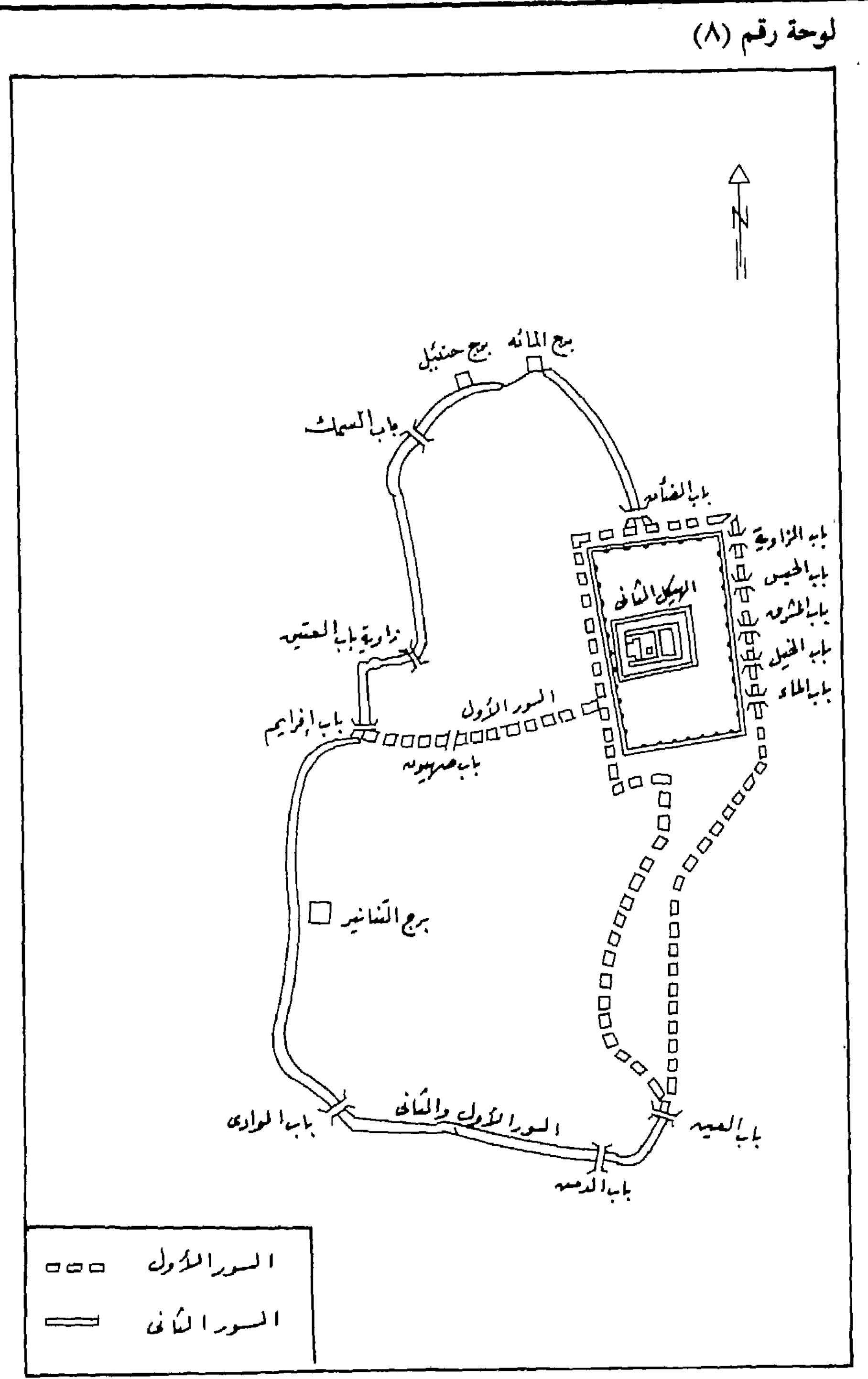
## ثانياً/ المرحلة الثانية من العصر الروماني ( ٧٠ م - ٣٣٧ م )

### الخراب الثاني للقدس

وبعد مضي زهاء ثلاثة عشر عاماً على تلك الأحداث التي وقعت في عهد الامبراطور الروماني كلاوديوس ، اندلع لهيب الثورة في القدس نتيجة لصراع بين الطبقات العليا التي اتفقت مصالحها مع مصالح روما والطبقات الدنيا من اليهود في يهوذا ، وتطور الأمر إلى الثورة ضد روما نفسها . واشتعلت الحرب بين اليهود والرومان ( ثورة اليهود ٦٦ - ٧٠ م ) في عهد الحاكم الروماني فلوروس الذي تولى الحكم عام ٦٤ ( ٦٤ - ٦٦ م ) ، ففي خريف عام ٦٦ م بدأت ثورة اليهود ضد الحكم الروماني وتقدم على أثر ذلك حاكم سوريا الروماني كيتيوس جاليوس على رأس جيشه في محاولة لقمع الثورة في القدس ، إلا أنه اضطر للانسحاب على أثر هزيمته ، واستمرت سيطرة اليهود على القدس حتى أصدر الامبراطور الروماني نيرون أوامره إلى قائده فلافيوس فسبازيان في خريف عام ٦٨ م الذي جاء على رأس جيش قوامه ستون ألفاً من الجنود ( ثلاثة فيالق ) ، ولكنه اضطر للعودة إلى روما ليتولى العرش بعد وفاة نيرون في صيف عام ٦٩ م ، فتولى ابنه تيتوس قيادة الجيش في فلسطين الذي كان قد أصبح مكوناً من أربعة فيالق أحدهما الفيلق الخامس الذي استدعاه من مصر ، ثم حاصر تيتوس القدس في خريف عام ٦٩ م وأحكم حصاره على المدينة ليعمل على خفض الروح المعنوية لليهود ، وأعقب ذلك بهجوم شامل في شهر مايو ٧٠ م استطاع من خلاله تحطيم الأسوار ، ثم وجه فيلقين من جيشه لمهاجمة المدينة ذاتها وأمر الفيلقين الآخرين بمهاجمة حصن انطونيا الذي سقط في يونيو . وفي التاسع من أغسطس احترقت بوابة الهيكل ولحق الخراب بالمدينة وانتهى الصراع الدموي بالقضاء على كل أثر فيها فيما عدا ثلاثة حصون - أنشأها هيرودس - ظلت باقية لحماية الفيلق العاشر . وهكذا قضي على الكيان الذاتي لليهود في فلسطين وهو ماكان باقياً بعد القضاء على الكيان السياسي لهم على يد البابليين والأشوريين .

ويشير مونتجمري أنه في بداية ثورة اليهود عام ٦٦ م شاركت سبسطية ( السامرة ) في الثورة حيث تعاون السامريون مع اليهود وحاربوا ضد الرومان ، وكما يروي يوسيفوس أن عدداً كبيراً من السامريين اجتمعوا على جبل جريزيم وأعلنوا تحقيرهم للنجاح الذي أحرزه الرومان وأنهم يشاركون اليهود في حربهم ، وعندما علم فسبازيان بذلك وجد أنه من الضروري أن يوقف تزايد الثورة ، فوجّه كرليس - الذي كان قائداً للفيلق الخامس أثناء حصار تيتوس القدس والذي استمر قائداً للقوات الرومانية في فلسطين بعد تيتوس - ومعه

لوحة رقم (٨)




تخطيط لمدينة القدس في بداية العصر الروماني يوضح الأسوار والبوابات والأبراج

ستمائة فارس وثلاثة آلاف من المشاة للقضاء على الثوار ، وقد تمكن هذا القائد من ذبح حوالي ١١٫٦٠٠ من السامريين بطريقة وحشية ، إذ أن الرومان لم يفرقوا بينهم وبين اليهود ، وعلى أثر ذلك تفرق السامريون في كل أرض فلسطين(١) .

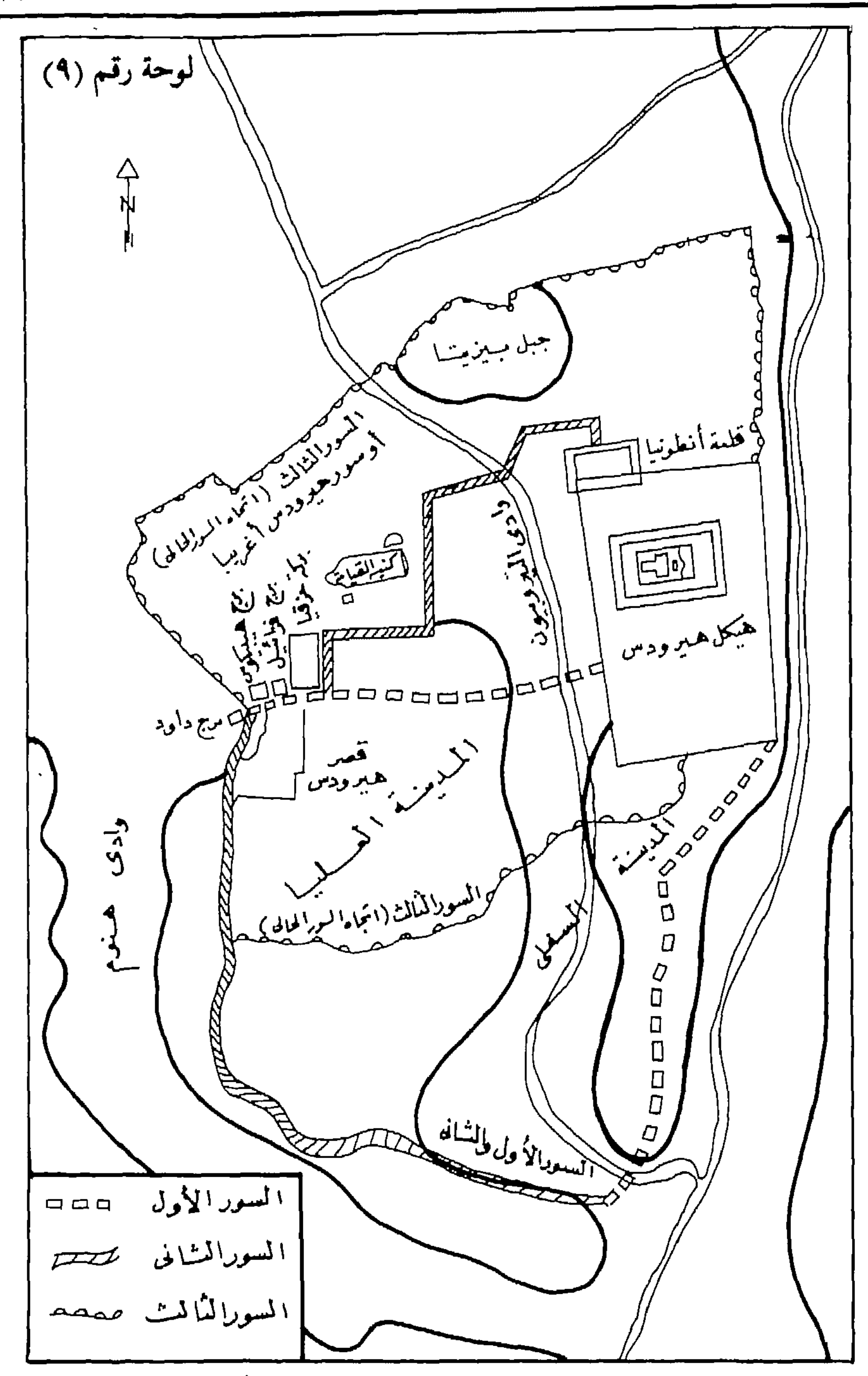
ويجدر بنا أن نشير إلى ماذكرته دائرة المعارف الدينية ، أنه برغم المعلومات القليلة عن الدور الذي لعبه السامريون في ثورة اليهود ( ٦٦ - ٧٠ ) ، إلا أن هناك احتمالاً كبيراً أنهم كانوا بمعزل عن هذه الثورة أو أنهم تصرفوا بصورة مستقلة حيث كان من الصعب عليهم التعاون مع خصومهم اليهود ، ويعود كاتب المقال ويناقض نفسه ويشير إلى أن جانباً من هذه الطائفة قام بالاشتراك في تمرد ذي طابع ديني متعصب ، والذي تم قمعه على يد فسبازيان بإراقة الدماء عام ٦٧ م ، إلا أنه لم يوضح طبيعة هذا التمرد واتجاهاته السياسية والفكرية ، ولكنه بالطبع كما أشار يوسيفوس كان بداية تعاون السامريين مع اليهود في ثورتهم ضد الرومان(٢) .

ويثير اهتمامنا ماذكره جاستر أنه على الرغم من فرح السامريين لسقوط القدس في عام ٧٠ م ، إلا أنهم عانوا كثيراً تحت ضغط السلطات الرومانية التي لم تميز في قهرها واضطهادها بينهم وبين اليهود ، وهكذا يرى جاستر أن السامريين بموقفهم هذا إنما كانوا بمعزل عن الثورة اليهودية(٣) .

**ايليا كابيتولينا لا القدس :**

عاد اليهود إلى أعمال الشغب في عهد الامبراطور الروماني تراجان ( ١٠٦ م ) ، واشتدت خطورة أعمالهم عندما قامت ثورة اليهود المشهورة في كل من برقة ومصر في آن واحد وامتد خطرها إلى يهوذا . ولما تولى الامبراطور هدريان عرش روما ( ١١٧ - ١٣٨ م ) ، صمم على القضاء على الكيان اليهودي ، وقرر تشييد مستعمرة رومانية محل القدس بالاضافة إلى إصداره أمراً بابطال عادة الختان عند اليهود ؛ كل ذلك كان السبب الحقيقي وراء نشوب الثورة اليهودية الثانية ( ١٣٢ - ١٣٥ م ) ضد الرومان حوالي عام ١٣٢ م بقيادة بركوكبا أحد زعماء اليهود ، الذي قام بإعلان الثورة حتى يتمكن من الحفاظ على كيانهم الذاتي ، ولكنه ادعى أنه المسيح المخلص ، وفي قول آخر أنهم الذين أطلقوا عليه المخلص بسبب نجاحهم المؤقت في بداية الثورة ، وقد استطاع هدريان إخماد هذه الثورة بعد أن قتل عدداً كبيراً من اليهود ، ثم قام بتغيير اسم القدس إلى إيليا كابيتولينا

(١) Montgomery : Op . Cit ., PP . 87 – 88 .
(٢) Ency . Religion : Samaria , P . 164 .
(٣) Gaster : Samaritans , P . 37 .




تخطيط لمدينة القدس قبل تدميرها عام ٧٠ م على يد تيتوس
يوضح أسوار المدينة الثلاث والقلاع والأبراج

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)



Aelia – Capitolina بعد تشييدها ، كما أقام معبداً لجوبتر كبير آلهة الرومان محل الهيكل ، واتضح لليهود بعد ذلك أن هذا المسيح المخلص لم يكن إلا دجالاً فقاموا بتغيير اسمه من بركوكبا ( أي ابن الكوكب ) وجعلوه بركوزيا ( أي ابن الكذاب ) ، وبذلك تقلصّت أحلام المسيحانية ضد اليهود وأكد هادريان قضاءه على الكيان الذاتي الديني لليهود(١) .

ومن الجلي أن الطائفة السامرية قد تعرضت لأذى شديد في عهد هدريان مثل اليهود في أنحاء اليهودية ، حيث أمر الامبراطور بإحراق معظم كتب التراث السامري ، كما يبدو أنهم خرجوا من بلادهم وانتشروا في المناطق التي سبق لليهود أن انتشروا فيها . ويجدر بنا أن نشير إلى ماذكره أبو الفتح السامري عن موقف السامريين من هدريان خلال الثورة اليهودية الثانية ، والتي اتخذ السامريون خلالها موقفاً مخالفاً لموقفهم من الثورة اليهودية الأولى ، فيذكر أبو الفتح أن السامريين ساعدوا هادريان في حصاره للقدس ؛ ونتيجة لهذه المساعدة طرد كل اليهود من نابلس وأعلن ألا يسكن يهودي فيها وما حولها وسّلم السامريين أمور أنفسهم كما ملّكهم على اليهود . وكان هدريان قد أحضر أبواب القدس الكبرى النحاسية وقام بتركيبها على باب معبد سفيس جوبيتر الوثني الذي أقامه على جبل جريزيم ، وكان من نتيجة إقامة هذا المعبد الوثني على الجبل المقدس ، أن ثارت ثائرة السامريين واجتمعوا في السامرة وقرروا هدم هذا المعيد الوثني ، وبالفعل تم ذلك وأحرقوا الرهبان وأخذوا أبواب النحاس ودفنوها في حريزيم ، وعلى أثر ذلك مضى اليهود إلى هادريان فلما سمع مافعله السامريون بمعبده اشتد غضبه وأحرق معظم كتب التراث السامري وأمر بقتل كل من هو سامري ، ولكن رجلاً سامرياً وقف أمامه وأقنعه بعمق العداوة بينهم وبين اليهود وأنهم يريدون الوقيعة بينه وبين السامريين ، فصدق الملك كلامه وندم على قتل السامريين ونادى بألا يقتل سامري وأمر بقتل اليهود وجرى على اليهود ماجرى على السامريين ، وبعد وفاته خلفه ابنه انطونينوس بيوس . Antoninus Plus ( ١٣٨ ـ ١٦١ م ) الذي كان يؤازر السامريين حتى أنه درس التوراة وعمل بمقتضاها ، وقد ذكر أبو الفتح أن السامريين في عهد انطونينوس كانوا يتمتعون بامتيازات مثلما كان الحال أيام يوشع بن نون ، وإن كنا لا ندري الأساس الذي بنى عليه أبو الفتح هذه المقارنة(٢) .

(١) راجع : Jewish Ouarterly Revlew : Vol . 58 Hugo Mantel : The Causes of Bar Kokba Revolt PP . 226 – 230 .

(٢) أبو الفتح : تاريخ السامرين ـ صفحات ٦٢ ـ ٦٣ .
راجع : Montgomery : Op . Cit ., PP . 91 – 93 .

واستمرت هذه الأوضاع قائمة في فلسطين تحت حكم الرومان طوال مائتي عام حتى استولى الامبراطور قسطنطين على روما وجلس على عرشها ، وجعل المسيحية الدين الرسمي للدولة .

ونلخص من هذه الدراسة عن القدس في العصر الروماني ، إلى أن اليهود لم تستقر أمورهم في معظم الأحيان ، كما أن اتجاهات الفكر الديني عندهم كانت تخضع للاعتبارات السياسية وتتأثر بها إلى حد كبير ، فقد استمر التنافس القديم بين اليهود والسامريين في العصر الروماني . ومعظم تاريخ الفترة الرومانية في فلسطين يدور حول السامرة باعتبارها عاصمة للاقليم ، خاصة بعد أن أعاد هيرودس بناءها حيث كان الرومان يدركون القيمة الحقيقية لتاريخها السياسي ، ويبدو أنه كان في العصر الروماني مجلساً للسامريين على نمط مجلس السنهدرين اليهودي ، وكان له نفس السلطات على المجتمع السامري . ويبدو لنا أن السلطات الرومانية لم تفرق في المعاملة بين اليهود والسامريين على حد سواء .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

# الفصل السابع

# القدس

## يهود الأندلس والحنين إلى القدس

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

# يهود الأندلس والحنين إلى القدس

## أثر الحضارة الاسلامية على الفكر اليهودي

كل دين من الأديان التي يدين بها البشر سماوياً كان أو وثنياً ، له مكان تجمع يقصدون إليه من أجل الحج ، حتى البوذية ، حتى ديانات اليونان القدماء ( معبد دلفو ومعبد الأكروبول ومعبد الكابيتول في روما ) ؛ فالكيان الديني الذي شهد ظهور الشريعة الموسوية ، كان معبده المركزي قد استكمل استقراره على أيام داود وسليمان ، بعد أن كانت هناك معابد وأماكن حج متفرقة بعد وفاة موسى بعضها في شكيم أو الجلجال أو حبرون ، ولذلك ظهر عندهم نوع من الشعر الذي تصبغه الصبغة الصوفية ، وهي الحنين إلى زيارة هذه الأرض المقدسة في القدس ، وهم في ذلك يقلدون المسلمين في حنينهم إلى زيارة الأراضي المقدسة في مكة المكرمة والمدينة المنورة ، واليهود ينظرون نظرة المسيحيين إلى أماكن الحج المسيحية والتي منها كنيسة القيامة في القدس وكنيسة الميلاد في بيت لحم في فلسطين وكنيسة الفاتيكان بالنسبة للكاثوليك في روما ( وهي كنيسة القديس بطرس ) .

فحنين اليهود إلى زيارة المعالم المقدسة اليهودية ، كان نوعاً من الحج يحمل في طياته طابعاً صهيونياً روحياً بقدر ماكان تقليداً للحجاج المسلمين ، كما قلدوا الأدباء المسلمين في ضبط اللغة بالنحو والصرف والبلاغة وفي وزن الشعر وقوافيه ، وكذلك في أغراض الشعر العربي ، فإذا نظم الشاعر العربي الموشحات الأندلسية نظموا هم كذلك موشحات باللغة العبرية على نفس المنوال ، كذلك قلدوا الشعراء العرب في قصائدهم في مدح الملوك وكتبوا مثلهم شعر خمريات وشعر إخوانيات ، وكذلك قلدوهم في نفس هذه الأغراض باللغة العبرية .

ولايتسع المجال هنا للتفصيل في أمر هذه الناحية الفريدة التي تستوقف الاهتمام في تاريخ الفكر الاسلامي ، فقد عاش اليهود منذ القرن الثالث الميلادي في اسبانيا تحت حكم القوط الغربيين في اضطهاد شديد ، ومع ظهور الاسلام الذي انتشر وعمّ المنطقة

كلها وبمجرد أن وضع العرب أيديهم على الأندلس حتى صبغوها بالصبغة العربية من حيث عاداتها وتقاليدها وآدابها[١] ، حيث عومل اليهود على أنهم أهل كتاب فتركت لهم حرية العقيدة والثقافة ، وهكذا بدأت اللغة العبرية في الظهور ـ وكان أمرها قد انتهى بين اليهود كلغة حية وحلت محلها اللغة الآرامية ـ وقامت نهضة لغوية أدبية حيث اهتم اليهود بدراسة النحو في لغتهم متأثرين بالنحاة العرب[٢] .

وقد أخذت ثقافة يهود الأندلس من موارد الثقافة الاسلامية بصورة مباشرة ، فبعد الفتح العربي تمتع اليهود بحرية دينية وفكرية لم يكونوا يعرفونها من قبل ، ووجدوا أنفسهم أمام ظاهرة تشبه شبهاً كبيراً الظاهرة الدينية اليهودية ، فهم أهل كتاب مثل المسلمين ، وكلاهما يختلف عن المسيحيين في أن كتاب المسيحيين مروى بالمعنى وليست له لغة مقدسة اجبارية ، بينما القرآن الكريم كتاب سماوي مفروض على المسلمين بمعناه ولفظه ولا يصلح فيه الاعتماد على الترجمة .

إذن وهم تحت حكم السيطرة المسيحية لم ينجحوا في تقليد المسيحيين في شيء ، لأن المسيحي يعتمد على الانجيل في أي ترجمة ولأنه يضطهد اليهود ولا يعطيهم حرية في المشاركة في أي حياة فكرية .

ونظراً لما تميزت به الحركة اللغوية والأدبية داخل المجتمع الاسلامي ، فقد لاحظ اليهود المتمتعون بظل الاسلام ، أن المسلمين بحثوا في القرآن لفظاً ومعنى وقراءة وصوتاً فظهر علم النحو ، ولمعرفة البناء الأصلي للألفاظ ظهر علم الصرف ، ثم انتقل البحث إلى الشكل الأسلوبي للقرآن وهو عند المسلمين شكل يعتبر معجزة لم يعرفها العرب لا في الشعر ولا في النثر « قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً . . . » ، وهكذا ظهرت علوم البلاغة وعلم المعاني للبحث في مطابقة اللفظ للمعنى ثم علم البيان وعلم البديع الذي يبحث في تجميل الأسلوب .

إلى هذا الوقت كان اليهود لا يبحثون في مثل هذه الأشياء وكانوا تلقينيين في دراستهم للتوراة ، يأخذون تفسيرها وتلاوتها بالتلمذة جيلاً بعد جيل ولكنهم فتنوا بمناهج المسلمين ، فظهرت لأول مرة في تاريخهم مؤلفات في النحو والصرف ، فمن نحاة اليهود الذين ترسموا خطى العرب في دراسة اللغة في غضون القرن العاشر الميلادي أبو زكريا يحيى بن داود حيوج الذي ألفّ في الصرف كتاب الأفعال الجوفاء والمضاعفة ، ومن

---

(١) أحمد أمين : ظهر الاسلام ـ الطبعة الرابعة جـ ٤ ص ٩٩ .

(٢) د . حسن ظاظا ـ الساميون ولغاتهم ـ ص ٩٤ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)



الواضح البين مثلاً أن شيخ نحاة اليهود في النصف الأول من القرن الحادي عشر الميلادي هو أبو وليد مروان بن جناح القرطبي الذي ألفّ باللغة العربية كتاباً في النحو اشتهر باسم « اللُمَعْ » .

ومن هنا كان هذا الزمان عصراً عظيمًا للشعر والشعراء ، فظهرت حركة فكرية بلغة عبرية متطورة ، متأثرة باللغة العربية الثرية ولذلك كان هناك حشد حافل من الثقافة الجديدة يعتمل ويختمر في قرطبة في ظلال الحضارة الاسلامية ، وانصرف نفر من أهل الأدب اليهودي إلى تقليد الشعراء العرب ، فظهر من بين يهود الأندلس شعراء عرفوا الشعر الموزون المقفى على الطريقة العربية مثل يهودا اللاوي وابن جبيرول وموسى بن عزرا والحريزي الذي ألف مقاماته العبرية على غرار مقامات الحريري العربية[1] .

ومجمل القول : تأثر اليهود بالفكر اللغوي الاسلامي ، وكما ربطه المسلمون بالقرآن ، ربطه اليهود بالتوراة ، وقلدوا المسلمين في استنباط آيات الاحكام والتوفيق بين ماجاء في التوراة وما جاء في التلمود ، ولعلّ أحسنهم موسى بن ميمون طبيب الدولة الأيوبية الذي ظهر في أواخر القرن الحادي عشر وأوائل القرن الثاني عشر وجمع الشرائع اليهودية في كتاب يسمى « مشناه توراة » بمعنى أحكام التوراة واشتهر باسم « يدحزقاه » بمعنى اليد القوية ، أخذ فيه ماجاء في التوراة وما جاء في المشنا والتلمود ورتبه على أبواب وهو الكتاب الوحيد الذي كتبه موسى بن ميمون باللغة العبرية ، بالاضافة إلى ذلك كتب كتباً كثيرة باللغة العربية أهمها كتابه المشهور « دلالة الحائرين » وهو في العقيدة اليهودية . وقد تأثر موسى بن ميمون في كتابه بالفكر الديني الاسلامي الذي لم يكن معروفاً على عهد التوراة .

كل هذا أدى إلى أن يتسلح المفسر اليهودي بهذه الثقافات حتى لايكون متخلفاً عن مفسري القرآن من المسلمين وهو يعيش بينهم ويرى جهودهم في العناية بحفظ وتفسير كتابهم المقدس .

ومن هنا عملوا على تنقية اللغة العبرية بما فيها من شوائب وقلّد يهود العصور الوسطى الاسلامية بقدر الامكان أسلوب التوراة .

هذا إلى جانب أن اللغة العربية لغة سامية مثل العبرية ، مما جعل تسرب أشكال تركيب الجملة العربية إلى الأسلوب العبري في العصور الوسطى أمراً سهلاً لدرجة أننا نجد عندهم مقامات الحريزي يقلد فيها أسلوب مقامات العرب وخصوصاً الحريري .

(١) ظاظا : الساميون ولغاتهم ـ صفحات ٩٨ ـ ٩٩ .

وفي الرحلات يظهر بنيامين الططيلي ويتأثر في طريقته في التعبير بوضوح بأساليب الرحالة العرب مثل ابن جبير .

على أن المعنى السياسي في حنين يهود العصور الوسطى في الأندلس إلى القدس ـ وهو معنى لا يوجد مايقابله في حنين المسلمين إلى الحرمين الشريفين ـ هو أنهم يعتقدون أن وجودهم في الشتات كان بغضب من الله عليهم ، ولذلك فإنهم على الرغم من تأقلمهم في ظروفهم الجديدة كانوا يترقبون زوال غضب الله عنهم ، وذلك بأن يكون لهم كيان في عاصمة سليمان ؛ ولهذا كانت التقاليد المعمارية تقضي على اليهودي إذا بنى بيتاً أو قصراً أن يترك فيه قطعة مكشوفة من الحجارة ، أو مهدمة تُذكِّرُه بخراب الهيكل وتدعوه دائماً إلى ألا يسكن في دار كاملة العمران حتى يتم عمران المدينة المقدسة ، لذلك امتزج الحنين الديني بهذه العقيدة السياسية والحربية ولكنهم حولوها إلى عقيدة غيبية لدرجة أن المتزمتين منهم كانوا يرفضون الصهيونية الحديثة عند ظهورها لما تتضمنه من تمرد على غضب الله الذي به كتبت عليهم الذلة والمسكنة ، ولم تنحل هذه العقدة إلا عندما اقتنع بعض الحاخامين بالصهيونية في أواخر القرن الماضي ( من أمثال هيرش ) ، فبدأ المتدينون المثقفون يقبلون الصهيونية بدون حرج .

والخلاصة أن حنين المثقفين اليهود سياسياً إلى فلسطين في العصور الوسطى كان وسطاً بين الرضا بالعقاب الآلهي الذي أنبأهم به أنبياؤهم وانتظار العفو عنهم ، الذي لا يكون إلا بوجود حاكم لهم في الأراضي المقدسة . فهي إذن صهيونيةٌ روحيةٌ قوامها التسليم بالارادة الآلهية ، أي أنها بالمقارنة بصهيونية هرتسل ، كانت عاطفية لا تتخطى ذلك إلى عالم المال والأعمال ، وكذلك كانت سلبية لم تفكر في ترجمة هذه العاطفة الصهيونية إلى مشروع عملي واجب التنفيذ .

ولذلك فشعرهم في الحنين إلى القدس كان ممهداً للصهيونية السياسية ، فعندما قام هرتسل بتحويل الحركة الصهيونية من حركة فكرية إلى حركة سياسية ـ بارساء منهجها العام سنة ١٨٩٦ م في كتابه الشهير « الدولة اليهودية » ـ إنما حوَّرها وسخرها للوصول إلى خدمة أغراضه السياسية وأهدافه القومية .

وحتى نتبين طابع الشعر العبري في الأندلس وتأثره بالشعر العربي في ظل سماحة الاسلام وحضارته ، سوف نعرض نماذج من انتاج أعلام الأدب العبري الذين عاصروا هذه الفترة ، والذي يبدو فيه البكاء على المجد الضائع القديم ، وعلى الهموم التي يعيشها اليهود في الشتات والجيتو ، بل كان الشعر يخاطب آلام اليهودي الذي طرد من زمن طويل وكتبت عليه الذلة والمسكنة .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)



# الشعر العبري الوسيط

ويمكن تقسيمه إلى قسمين رئيسين ، ديني ودنيوي ، وبالطبع فإن الشعر الديني قد سبق نظم الشعر الدنيوي الذي كان نتاج هذه الفترة وهي فترة الاتصال بالثقافة العربية ؛ والسبب في ذلك أن التراث الشعري لليهود قبل العصر الوسيط كان كله في العهد القديم ، وكانت النظرة إليه على أنه شعر ديني ، فظلوا قروناً طويلة لا يتصورون الشعر إلا دينياً ، ولا يكتبونه إلا في هذا الغرض حتى قبل التأثر بالحضارة الاسلامية ، فلم يرد لنا من شعر العصر الوسيط المتقدم غير أشعار دينية عند « هقلير » و« يوساي اليتيم » وحتى سعديا الفيومي ، إلى أن استطاع الشعر العربي أن يؤثر على شاعرية اليهود المقيمين بين المسلمين وبخاصة في الأندلس والمغرب حيث ظهرت الأغراض الدنيوية الأخرى .

ويذكر الأستاذ أحمد أمين في كتابه القيم « ظهر الاسلام » مانصه « ولئن دمغ الأدب الجاهلي الأدب المشرقي فالأدب المشرقي دمغ الأدب الأندلسي »(١) . وقد يسّر ظهور الشعر الديني عدة عوامل من أهمها ، أنه في فترة إحياء اللغة العبرية ازداد الاهتمام بالعهد القديم ولغته وكذلك بفقه اللغة والتفسير .

وهناك اثنان من الينابيع التي تغذي الشعر العبري ، أولهما العاطفة الدينية العميقة ، وثانيهما معاناة بني إسرائيل التي تناضل في يأس لكي تنقل مشاعرها للرب ، ولم تجد كفايتها في الصلوات فأضاف اليهود التسابيح والقصائد وكثيراً من صور الشعر الديني الذي يعبر روحياً عن مشاعرهم وتطلعهم للخلاص(٢) .

فالشعر العبري المعروف « بالبيوطيم » لم يعالج موضوعات مثل الفروسية والغزل أو الرثاء أو الهجاء فقط ، وكذلك لم تغلب عليه الموضوعات المعروفة في الشعر العربي وغيره من أشعار الأمم الأخرى ، بل كان اهتمامه منصباً أساساً على الدين والمعبد تعبيراً عن آلام اليهود وأحزانهم ، وقد نشأ شعر البيوطيم في ظلال الاسلام متأثراً بالشعر العربي وزناً وقافية(٣) .

ينقسم الشعر الديني إلى نموذجين أولها البيوطيم مثل ترانيم المديح وهي تسبيحات للرب ، حيث تتجلى قدرة الخالق في إطار فلسفي ، أما النموذج الثاني فعُرف باسم « سليحوت » وهي الصلوات التي تتضمن كل أنواع القصائد الحزينة ويندرج تحتها

(١) أحمد أمين : ظهر الاسلام جـ ٤ - ص ٢٣٠ .
(٢) Waxman : Jewish Literature Vol . I p . 207 .
(٣) د . فؤاد حسنين : من الأدب العبري - ص ١٢٧ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)



مايسمى « قينوت » وهي مرثيات لذكرى تدمير المعبد في التاسع من آب أو تلك الأيام السوداء في التاريخ اليهودي .

وتعتبر الفترة من القرن التاسع الميلادي وحتى نهاية القرن الثاني عشر الميلادي عصراً ذهبياً للأدب العبري في الأندلس ، وخلالها نظم شعراء اليهود أشعاراً متنوعة ، ولكن كان اهتمامهم منصباً على أشعار الحنين إلى القدس ، وكان من أبرز شعرائهم ابن جبيرول ويهوذا اللاوي وموسى بن عزرا ويهوذا الحريزي ، وسوف نستشهد ببعض أشعارهم في الحنين للقدس لنتبين اتجاهاتهم .

**سليمان بن جبيرول وبعض نماذج من أشعاره(١)**

هو رائد من رواد الشعر العبري في العصر الذهبي للأدب العبري في الأندلس ( من القرن التاسع حتى نهاية القرن الثاني عشر ) ، وقد طرق ابن جبيرول في شعره موضوعات شتى عكست طبيعته التراجيدية التي طبعت روحه بالحزن منذ شبابه الباكر ، فلا عجب إذن أن نلاحظ تلك المرارة والنظرة التشاؤمية منتشرة بين قصائده .

وقد نظم عدة قصائد فلسفية أهمها قصيدته الشهيرة «كِتِرْ ملخوت» ومعناها ( تاج الملك ) ، وقد ضمنّها آراءه الفلسفية عن العالم وأبرز علاقته بالله ، حيث تحدث فيها عن عظمة الخالق وجبروته وحكمته ، وفي قسمها الثاني يتكلم عن الكون الذي صنعه الرب والكواكب السبع تلف في مداره ، وهذه القصيدة منظومة بصورة حرة لاتخضع للتفعيلات العروضية العربية بحساباتها الدقيقة في الحركات والسكون وهي تشبه إلى حد ما أسلوب المقامات ، وأهم مايميزها أنه أدخل السجع العربي إلى الأدب العبري ، ويبدو فيها تأثره بآراء فلاسفة العرب ونستشهد منها بالآتي :

لك الجبروت الذي في سره ... عجزت أفكارنا عن الوقوف
لأنك أخفيته عنا تماماً ... لك سر القوة والروح والمادة
لك الفضل الذي فاض على مخلوقاتك ... وثواب الآخرة لخائفيك
لك الأسرار التي لايستوعبها عقل وادراك ... والحياة التي لا يصيبها الفناء

وقد استوقفنا كتابه الذي ألفه باللغة العربية وهو بعنوان « ينبوع الحياة » ، وهو كتاب صوفي يظهر سعة تأملات ابن جبيرول ويبين تأثره الواضح واستيعابه لكتب الفلسفة الاسلامية في ذلك الوقت ، ثم قام ابن جبيرول بعد ذلك بالتعبير عن حنينه للعودة إلى

(١) وقد عرفه العرب باسم « أبي أيوب سليمان بن يحيى »

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)



القدس في إطار الوجدانيات الدينية التي امتزجت بصهيونية روحية ، فنظم قصيدة « شْبِيَاَبَتْ صهيون » وترجمتها بالعربية ( أسيرة بنت صهيون ) ، وفيها يتضرع إلى الرب لينقذ اليهود من العبودية في الشتات ولكنه يعود فيؤكد أن الرب لم يغفل عنهم ، ولكنه سيرسل لهم المسيح المخلص[1] ليجمع اليهود في المنفى استعداداً للعودة إلى القدس ، وفيها يقول :

أسيرة بنت صهيون ( القدس ) مصهورة في أتون الفقر
أقسم آباؤك كما أقسمت من أجلك
سمعت صرختك وصعدت إلى مقري
وأجبتك لأني رحيم

.................. ..................

ها قد أقسمت أن أجمع شعبي الأسير
ألا يقوم الملوك آنذاك بتقديم هدية لك
وها هو شاهد للأمم وضعته لمقدس
وهنا رأيت ابن يسى (٢)

وذلك كله إنما كان يدل على ما كان يتوافر في قلب ابن جبيرول من عذاب في المنفى ورغبته في الخلاص وطلب العودة إلى القدس ، وهو ماكرره في ندائه الذي جاء في قصيدته المعروفة باسم « شبيا عنيا » وترجمتها العربية ( أسيرة معذبة ) ، وفيها يحدثنا عن عظمة الرب وجبروته وحكمته ويتضرع إليه أن يخلصهم من المنفى ويساعدهم على العودة إلى القدس ، ويناشد الرب أن يتذكر اسرائيل ولاينساها وأن يرسل ايليا النبي ليبشر بالمسيح المخلص[3] .

(١) اقترنت فكرة المسيح المخلص بفكرة تجديد العهد مع الرب ، وبذلك تتجدد الأمة لتصبح على المستوى الذي يليق بقدرة الله ، وعندئذ تصبح أورشليم ( القدس ) مدينة السلام وتليق بإقامة الرب على جبل صهيون ويتجمع فيها أبناء اسرائيل من السبي .
راجع ظاظا : الفكر الديني - ص ١١٢ .

(٢) أي المسيح المنتظر المنحدر من سلالة داود بن يسّى .

(٣) ومن تقاليد عيد الفصح عند اليهود أن يُصبّ كأس للنبي ايليا عند صب النبيذ ، وقد وجد في الخيال الشعبي اليهودي أن ايليا النبي قد أصبح جزءاً لا يتجزأ من فكرة المسيح المخلص عند اليهود ، وكان لذلك تأثير عميق من التطور الديني عندهم .

ويؤكد ابن جبيرول في قصيدته ( أسيرة معذبة ) ماكان يقتبسه شعراء اليهود في الأندلس من نصوص العهد القديم ، في حين ندر اقتباسهم من نصوص التلمود ، ولم يكن ذلك عن عدم معرفة بالنصوص التلمودية ، وإنما كان تقليداً للشعراء العرب في اقتباسهم من القرآن الكريم أكثر من اقتباسهم من الحديث الشريف[١] . يضاف إلى ذلك أن لغة التلمود لم تكن عبرية بل آرامية ، مما جعل الاقتباس منه معيباً في قصيدة تسعى إلى أن تكون عبرية فصيحة ، فيقول ابن جبيرول :

أسيرة معذبة في أرض غريبة
مأخوذة لأمة لأمة مصرية
ومنذ تركتها لك تنتظر
أعد سبيها يا قادر يا قدير
وأم العشيرة تكون ثالثة
( بين الأمم بعد مصر وآشور )
وبادر بسرعة وبشرها بايليا
تغني يا بنت صهيون ها هو مسيحنا
لماذا تنسانا إلى الأبد
لكل نهاية ولا نهاية لألمي

## يهوذا اللاوي وبعض نماذج من أشعاره[٢]

عاش يهوذا اللاوي أثناء الفترة الزمنية التي وصل فيها التطور الثقافي لليهود إلى ذروته ، وذلك عندما كانوا في ظل سماحة الاسلام وحضارته ، ويمكن تقسيم شعره إلى ثلاثة أنواع هي : دنيوي وديني وقومي . وأهم مايعنينا هو شعره القومي ، وفيه يتساءل عن الأسباب التي وراء تشريد وتعذيب الشعب المختار ؟؟!! وقد اتخذت هذه المشكلة والبحث عن حل لها علامة مميزة في شعره القومي . . وقد توصل إلى حل لها وهي الخلاص والتوبة وهما يمثلان الفكرة الرئيسية عند يهوذا اللاوي ، وهو لذلك صور نفسه على أنه يحترق حباً

(١) د . محمد بحر عبد المجيد : اليهود في الأندلس ـ ص ٣٦ .
(٢) ويكنيه العرب بأبي الحسن اللاوي ، لقد نظم أشعاره في قوالب وموضوعات عربية . ولد في الأندلس عام ١٠٨٠ م ومات حوالي عام ١١٤٠ م .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)



لصهيون التي اعتبرها هدفه الرئيسي[١] .

وعندما يأس يهوذا اللاوي من التبشير بالمسيح المخلص ووصوله لتخليص اليهود من المنفى ومساعدتهم في العودة إلى صهيون ، قال باستياء شديد تلك الكلمات « إن يد المنفيين أقصر من أن تنقذنا » ، وقد أدخل فكرة الهجرة في مؤلفه العربي الكبير وعنوانه « الحجة والدليل في نصرة الدين الذليل »[٢]ويبدو من عنوان الكتاب أنه أراد أن يجعل من نفسه مدافعاً عن اليهودية ، وقد ضمّنه آراءه الدينية والفلسفية والتي تأثر فيها بالعقيدة الاسلامية وفلسفة الاغريق ( ارسطو والأفلاطونية المحدثة ) ، وكان الذي نقل هذه الاتجاهات الاغريقية إلى الفكر اليهودي هو فيلون اليهودي السكندري الذي كان أول من سخّر منطق أرسطو ومفاهيم أفلوطين السكندري أيضاً عن فلسفة أفلاطون ، لخدمة الدين اليهودي خصوصاً في تفاسيره على التوراة ، كما يتضح منها دراسته العميقة لفلسفة ابن سينا المفكر العربي .

ومن قصائده عن صهيون قصيدة بعنوان « لبى بمزراح » وترجمتها العربية « قلبي من الشرق » ، وهي من قصائده الدينية عن التوبة والتوبة هي الفكرة الرئيسية في شعر يهوذا اللاوي ، فهو ينفي الحاضر ويعيش في المستقبل ومن أجل ذلك يحترق حباً لصهيون التي هي هدفه الوجداني ، ولذلك يأمل في الاقامة على أرضها المقدسة ونورد فيما يلي بعض أبياتها :

قلبي في المشرق وأنا في أقصى المغرب
فكيف أتذوق زادي وكيف يطيب لي ؟
وكيف أفي بنذوري[٣] في حين
أن صهيون في قبضة أدوم وأنا في قيد العرب
يهون في نظري كل جمال اسبانيا مثلما
يعز على نفسي رؤية تراب قدس الأقداس مخرباً

كما نظّم قصيدة عن الأرض المقدسة بعنوان « شيري ارتس يسرائيل » ومعناها بالعربية

(١) شيرمان : هشيرا هعفريت بسفراد وبفروباتس «الشعر العبري في اسبانيا وجنوب فرنسا» - ص ٤٢٥ .
Waxman : Jewish Literature Vol . I , P . 229 .

(٢) كتبه باللغة العربية بحروف عبرية وقد ترجمه إلى العبرية يهوذا بن تبون تحت « سفر هخزري » كتاب الخزري بفتح الخاء أو ضمها .

(٣) كفارة عن النذر الذي نذره بالهجرة إلى القدس .

( أشعار أرض إسرائيل ) ، تظهر تعمقه في الديانة اليهودية وفلسفتها اللاهوتية ومن خلالها يبرز جمال مدينة القدس ويعرض كل ثروته في الأندلس ( التي جمعها تحت راية الاسلام وسماحته ) من أجل امتاع نظره بتراب القدس ، كل ذلك في ظل حلم يريده في إطار النوجدانيات الدينية التي امتزجت بصهيونية روحية تخاطب آلام اليهودي الذي طرد من زمن طويل .

يا جميلة المشهد يابهجة الكون ، يامدينة الملك العظيم (١)
لك تتطلع نفسي من مكاني من الغرب ( الأندلس )
ويفيض حناني عندما أتذكر تاريخ
مجدك الذي انقضى وقدسك الذي خرّب
ومن يحملني فوق أجنحة النسور حتى
تختلط دموعي بثراها فترويها
ألا أتلمس أحجارك وأقبلها
فمذاق ترابك عندي أحلى من العسل

**نموذج من شعر اسحاق بن غياث عن القدس(٢)**

معظم القصائد التي كتبها ابن غياث تنتمي في غالبيتها إلى الأشعار الدينية ، ويذكر موسى بن عزرا وهو أحد تلاميذ اسحق بن غياث ، أن أستاذه قد تميز بإلمامه الواسع باللغة الآرامية التي كتب بها معظم قصائده والتي وزنت على بحور الشعر العربي وفقاً للقواعد العامة لأصول البلاغة العربية . وقد استوحى الأمور العلمية في أشعاره من الأعمال الفلسفية لمن سبقه من الفلاسفة العرب .

وفي مرثية التاسع من آب (٣) ، يصور الشاعر مدى الدمار الذي حاق بالقدس والهيكل الثاني لليهود ، وفي هذه القصيدة اقتبس كثيراً من ألفاظ العهد القديم وخاصة مراثي ارميا وفيها يبكي على المجد الضائع القديم .

---

(١) كلها أوصاف لصهيون استعارها الشاعر عن المزمور ٣٨ : ٣ من العهد القديم ، وتلك كانت لازمة لشعراء اليهود في الأندلس قلدوا فيها شعراء العرب عند اقتباسهم من القرآن الكريم كما أسلفنا .

(٢) ولد اسحاق بن غياث في الأندلس عام ١٠٣٨ م وتوفي عام ١٠٨٩ .

(٣) وهي ذكرى سقوط القدس في التاسع من آب عام ٧٠ م على يد الامبراطور الروماني تيتوس ، كما دمر الهيكل الثاني لليهود ( والذي أعاد تشييده عزرا ونحميا بعد العودة من السبي البابلي .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)



مطرودون من بيت عزهم ... ثقلت نفسي من رؤية قتلاهم
يوم خروج العذارى من هياكلها ... والأمهات ثكالى على أطفالها
يوم حملن قيدهن عوضاً عن حليهن ... وهن سبايا حرب في أيدي قادتهن
يوم سفكت الدماء كالمطر ... وانتهكت حرمة الهيكل في الأرض
وتلطخ كتاب التوراة بالدماء ... وصارت صهيون عجباً أمام الساخرين
خرجوا إلى الأمام شرقاً وغرباً ... وكيف مر عليهم سيف الانتقام

**موسى بن عزرا وتأثره بالأدب العربي[1] :**

استفاد موسى بن عزرا كثيراً من الحركة الفكرية العبرية التي تأثرت باللغة العربية الثرية في ظلال الحضارة الاسلامية ، فقد اهتم بدراسة الأدب العربي ونسج شعره على منوال شعراء العرب . وبعد أن درس الأدب العربي تحول إلى تناول الأدب العربي والعبري بالدراسة والنقد ، وفي أعقاب ذلك ألفّ كتاباً بالعربية في الأدب والبلاغة بعنوان « المحاضرة والمذاكرة » وفيه قلّد من سبقه من البلاغيين العرب في تناوله لتاريخ الأدب والشعر العربي والعبري على حد سواء ، وخاصة وأنه كان مولعاً بالمحسنات البديعية ولاسيما الجناس ، كما تناول فيه عرضاً تاريخياً لفتح العرب للأندلس ، وظهر فيه أيضاً أثر العلوم اللغوية والأدبية العربية في إثراء الأدب العبري[2] .

**يهوذا اللاوي(٣) وبعض نماذج من أشعاره**

عاش يهوذا الحريزي في أواخر الفترة الزمنية التي وصل فيها تطور الثقافة العربية الأندلسية إلى القمة ، وأثناءها اشتهر بأنه أفضل من كتب المقامات العبرية وجاءت شهرته من خلال ترجمته لمقامات الحريزي[4] العربية إلى اللغة العبرية ، هذا بالاضافة إلى ترجمته لبعض الكتب العربية إلى العبرية .

---

(١) هو موسى بن يعقوب بن عزرا ، وقد عرفه اليهود باسمه المختصر ( ر ب م // ع ) ، ربى موسى بن عزرا ، ويكنيه العرب باسم أبي هارون . وله ديوان شعر يتغنى فيه بالحب والخمريات والطبيعة على منوال شعراء العرب . ثم تغلبت عليه الروح الدينية وأدركت روحه الشوق إلى الرب ، فكرّس حياته لشعر التوبة والغفران .

راجع :

Waxman : Vol . I , PP . 225 – 226 .

(٢) د . شعبان محمد سلام : الأثر العرب في الشعر العبري ( جـ ١ ) صفحات ٣٧ ـ ٤٦ .

(٣) هو يهوذا بن سليمان الحريزي الذي ولد في عام ١١٦٥ م وتوفي في عام ١٢٢٥ م .

(٤) تعتبر مقامات « أبي علي محمد قاسم بن الحريزي ( ولد ١٠٥٤ م أو ١٠٥٥ م ، وتوفي عام ١١٢٢ م ) من أشهر كتب الأدب العربي وأوسعها ، وكان يروي مقاماته على لسان شخصية « أبي

ففي سوريـا كانت بدايـة كتـابـة يهوذا الحـريـزي للمقامات العبرية والتي تسمى اليوم « تحكموني » ، وتشتمل على خمسين مقامة تروى على لسان « هيمان ها ازراحي » شخصية البـطل في هذه المقـامـات باسم « حبر هاقيني » يكنى به عوضاً عن المجتمع اليهودي ، وهاتان الشخصيتان اقتبس اسميهما من العهد القديم[1] .

ومن الممكن أن يسمى كتـاب يهوذا الحـريزي « تحكمـوني » بعنوان آخر هو « كتاب حروب يهوذا الحـريزي » وقد أطلق عليه هذا العنوان نظراً للجهود الكبيرة التي بذلها في تطويع اللغة العبرية وجعلها قادرة على التجاوب مع أعماله الأدبية المختلفة وخاصة عندما نظم مقاماته بالعبرية على غرار مقامات الحريري العربية . فهو يكشف بكل صراحة عن حسده للأديب العربي الكبير ورغبته في أن يحذو حذوه ، وأن ينتج أعمالاً على غرار أعماله باللغة العبرية ، ونورد هنا نص ماقاله يهوذا الحريزي :

( والأمر الذي أيقظ نفسي وروحي لتأليف هذا الكتاب هو أن رجلاً حكيمًا من حكماء العـرب وصفوة المثقفين ، فلغته أعلى من أن توصف بالبلاغة ، وعلى فمه تطلعت نبوءة الشعر ، وعلى ذلك فقد كتبت هذا الباب لكي أظهر قوة اللغة المقدسة )[2] .

وقد ضمّن كتابه « تحكموني » موضوعات شتى منها على سبيل المثال مقامتين منظومتين في تاريخ الأدب العـبري ، كما أدخـل فيه الـبركـات والـترنيمات ، ونظراً لما تضمنه هذا الكتـاب من ثراء موسـوعي ، فقـد أصبـح أحـد الكتب اليهودية المشهورة التي أدخلت نصوص منه إلى الصلوات الدينية .

ومن بين ثنـايا كتـابـه نبرز مقـامتـه عن صهيون ، والتي يظهر فيها تعمقه في الديانة اليهودية ، وحنينه إلى صهيون يتضح من خلال وصفه لجمال القدس حتى أن العين لم تر مثـل بهائها ، كما يتحسر على دمارها ، ويسير يهوذا الحريزي على منوال يهوذا اللاوي في طلب الخـلاص من الرب حتى يتجنب اليهود عذاب المنفى ويقل الخلاف بينهم داخل المدينة المقدسة ، ولذلك أطلق عليها اسمًا جديداً هو « صخرة الخلافات » :

---

= زيد السروجي » ويشتمل كتابه على خمسين مقامة ( فصلاً ) ، وبعد كتابتها قلدها كثير من الأدباء العرب واليهود في الأندلس ، حيث كان الحريري من أهل البصرة في العراق .

راجع : تاريخ الفكر الأندلسي ترجمة د . حسين مؤنس ـ صفحات ١٨٠ ـ ١٨١ .

(١) د . محمد بحر عبد المجيد : اليهود في الأندلس صفحات ٩٢ ـ ٩٣ .

(٢) يهوذا الحريزي : كتاب « تحكموني » جـ ١٨ ـ ص ٣ .

ويقول في مقامة صهيون :

صهيون وكم من الدول ازداد بهاؤها
ولكن بهائها لم تره عين بشر
المدينة التي كانت مقراً للسكينة
وكشفت عن مجدها لعيون بني الانسان
وكيف هبطت رباها أسفل سافلين
بعد أن كانت في أعلى القمم فخورة
نفي شعبها من القصور الفخمة
ولم تنفذ وصايا السرب
تتعشم ان تتطهر بمياه المنفى
ولكنها لم تتطهر بعد ، ولم تغتسل
لقد انقضى عليها ألف سنة ومائة
وثمانية وأربعون عندما استيقظت من سباتها
وطردت من قلب صهيون
وحتى الآن تريد صهيون سبيها
وهي تبكي حينما ترى جموع الغرباء
يصعدون إلى بيت الرب وهي لم تبرأ بعد
ولم تعجز يد الرب عن انقاذها
وجمع شمل أفراد شعبها ليعيدهم للبيت
وسوف يعيدها الرب فوق عرشها
وتعود إلى مجدها بعد خرابها[1]

ويقول في إحدى مقاماته على لسان « هيمان ها ازراحي » مانصه : « فقلت له ماذلك هنا وما هي وجهتك ؟ قال : كنت على أرض اسبانيا مشتت ومفرق ، وفي كل يوم كنت أسمع عن معجزات عزرا . مقدس الرب . ولقد أخافت الكلمات أفكاري وأطارت النوم من عيني . وأيقظ الله روحي لأركب السفن وأسير في المستنقعات من جبال النمور ومواطن الأسود بعد أن تركت وطني بعيداً مهجوراً حتى تميز الحق من الباطل »[2] .

ولقد وقفنا في دراستنا ليهوذا الحريزي على حقائق بالغة الأهمية ، وهي أن الثقافة

(١) يهوذا الحريزي : كتاب « تحكموني » صفحات ـ ٢٤٦ ـ ٢٤٧ .
(٢) الحريزي : المرجع السابق ـ ص ٢٨٧ .

العربية قد صبت كل روحها في الأدب العبري في الأندلس ، بل الأمر أبعد من ذلك مدى ، فهو لم يقتصر على ترجمة الشعراء اليهود للشعر العربي والمقامات العربية ، وإنما تجاوز ذلك إلى تأثرهم بالفكر اللغوي الاسلامي ، وكما ربطه المسلمون بالقرآن ربطه اليهود بالتوراة ، كما قلدوا نحاة العرب في النحو والصرف وعلوم البلاغة وعلم المعاني وعلم البيان وعلم البديع ( طباق وجناس ) إلى جانب أوزان الخليل بن أحمد في العروض العربية التي أدخلها إلى العبرية دوناش بن لبراط وأصبحت من بعده إلى قيام الصهيونية الحديثة الطريقة المثلى لكتابة الشعر العبري لم تتزحزح عن عرشها هذا إلا عندما كتب يهود أوروبيون أشعارهم على الأوزان الأوروبية ، ومن بعد ذلك قلّ من يكتب على الأوزان العربية ، وإن كان بعضهم مايزال يلتزم ذلك إلى الآن خصوصاً اليهود السفرد .

وقد جاء في المقامة الثامنة عشرة من كتابه « تحكموني » تفسيراً ليهوذا الحريزي لافتاً للنظر ، وهو أنه تحدث عن فضل شعراء العرب ونحاتهم على الأدب العبري ، ونورد هنا نص ماقاله الحريزي عن فضل العرب في هذه المقامة :

« اعلموا أن الشعر الرائع الذي يمتلىء بالنفائس والروائع هو من ممتلكات العرب في البداية ، واستطاعوا رأب كل صدع فيه وأن يزنوه بموازين عادلة وأن يضعوه في مكانته ، بل وأثروا به على غيرهم فنجدهم قد بنوا أسقافه وشذّبوا قصوره وأقاموا مصاريعه ولهم اليد الطولى بين شعراء الدنيا .

فنجدهم أول من يتحدثون إذا ما دعي الشعراء للحديث ، وعلى الرغم من أن لكل أمة من ينظم لها الشعر ويعمل في صنعة الشعر ، إلا أن شعرهم لايمثل شيئاً وكلامهم نوع من العبث الذي لايجدي بالمقارنة بشعراء أبناء الاسماعيليين ( يعني العرب ) حيث لانجد الشعر الجميل اللفظ ، الجزل العبارة مثل الشمس في اشراقها ، صحيح المخرج كالفجر إلا لدى العرب ، أما الباقون فلا يعتبرون إلى جانبهم شيئاً »(١) .

ولايتسع المجال هنا للتفصيل في أمر هذه الناحية الفريدة التي تستوقف الاهتمام في تاريخ الأدب العبري وتأثره الواضح والجلي بالثقافة العربية والفكر الاسلامي ، وبحسبنا الآن أن نعلم أن الشعر العبري على وجه الخصوص قد أخذ منهجه في الأندلس من الشعر العربي كما أنه نظمّ على ضوابط ومقاييس القصيدة العربية ، وهذا ماعبّر عنه الحريزي في قوله :

---

(١) حاييم شيرمان : المرجع السابق ، جـ ١ صفحات ١٣٢ - ١٣٣ . وقد ترجم هذا الجزء من المقامة الثامنة عشرة من كتاب « تحكموني » ، الدكتور شعبان سلام في كتابه « الأثر العربي في الشعر العبري » صفحات ٥٩ - ٦٠ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)



« أقام العديد من شعبنا بعد النفي ، بين العرب في أقطارهم وسلكوا الحديث بلغتهم والنطق بنطقهم ، وفي اختلاطهم بهم تعلموا عنهم صنعة الشعر . فعندما كان يسكن آباؤنا الأرض المقدسة لم يعرفوا الشعر الموزون باللغة العبرية فلا يوجد في أسفار أيوب والأمثال والمزامير إلا بعض الفقرات القصيرة تشبه أبيات الشعر ولكنها بلا قافية أو وزن »(١) .

وبوفاة يهوذا الحريزي أسدل الستار على العصر الذهبي للأدب العبري في الأندلس خلال أربعة قرون ، وكل ذلك إنما يدل على ماكان يتمتع به اليهود من حرية في ظل الحضارة الاسلامية وتسامح الاسلام ، وهو الأمر الذي اعترف به اليهود كما أسلفنا في بعض مقامات الحريزي . وبعد هذا العصر نضبت مصادر الشعر باللغة العبرية .

ونحن بهذا العرض الموجز ليهود الأندلس وحنينهم إلى القدس ، والذي يرد في أشعار أدبائهم في العصور الوسطى ، تجدنا نقف على أرض صلبة وهي أننا نختلف معهم عقائدياً ولكننا لم نختلف على أن شعرهم في الحنين إلى القدس وهم في الأندلس كان شعراً جيداً ، وإنما كان في اطار الوجدانيات الدينية التي لبست طابعاً صهيونياً روحياً أصبح فيما بعد مُمَهِّداً للصهيونية السياسية التي اعتمدت على نصوص التوراة في تبرير ادعاءاتها في إقامة الدولة الصهيونية على أرض فلسطين العربية .

---

(١) حاييم شيرمان : المرجع السابق ١٣٣ .
د . شعبان سلام : المرجع السابق ـ ص ٦٠ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

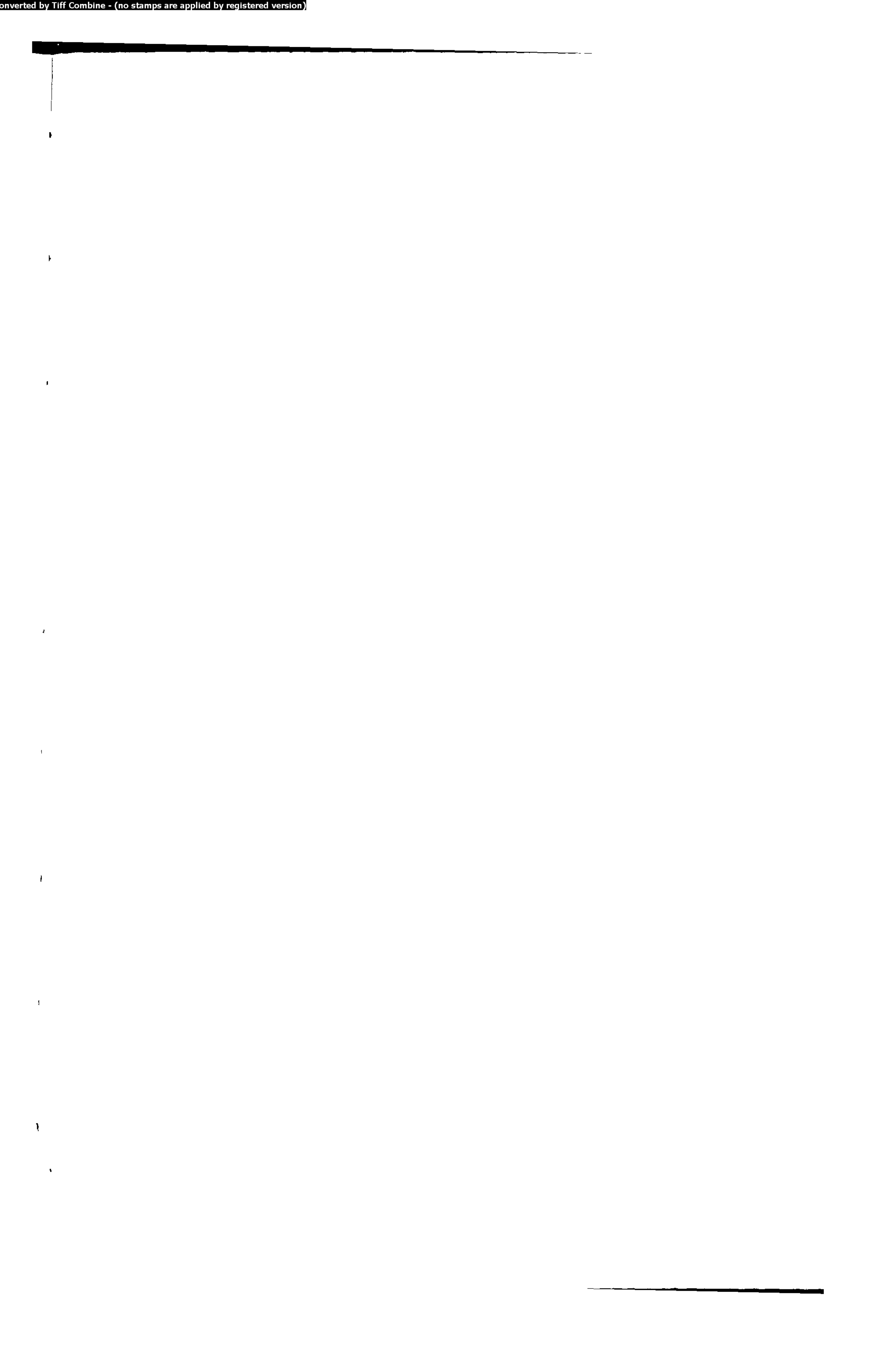
Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

# الفصل الثامن



## صلاح الدين واسترداد بيت المقدس من الصليبيين

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)



Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

# صلاح الدين واسترداد بيت المقدس من الصليبيين

## فلسطين بين الحروب الصليبية

لم يجرؤ اليهود طوال أيام الخلفاء الراشدين على الاقامة في القدس ، ولما جاء الأمويون أولوا القدس اهتمامهم ، وبنى الخليفة عبد الملك بن مروان مسجد قبة الصخرة المشرفة عام اثنين وسبعين هجرية ( ٦٩١ م ) ، ورصد لبنائه خراج مصر لسبع سنوات كاملة ، هذا إلى جانب اهتمام الأمويين بالقدس ورفع شأنها ، وهو ماحتمته الظروف في تلك الأثناء . وعلى كل حال فقد احتفظ المسيحيون بكنائسهم في بيت المقدس ومن بينها كنيسة القيامة .

وعندما انتقل الحكم إلى العباسيين ، قام الخليفة أبو جعفر المنصور بزيارة القدس عام ٧٥٨ م ، فهاله الدمار الذي حل بالمسجد الأقصى من جراء الزلزال الذي حدث عام ٧٤٧ م ، فأمر بإصلاحه وترميمه وقد أنجزت هذه الاصلاحات في عام ٧٧١ م .

وفي عام ٧٧٤ م حدث زلزال آخر أضر بالمسجد الأقصى من جديد وعندما قام الخليفة المهدي بزيارة القدس عام ٧٨٠ م أمر بإصلاح وترميم ما أحدثه الزلزال من خراب للمسجد الأقصى ، بل أدخل تعديلات على تخطيطه . وفي عهد هارون الرشيد ( ٧٨٦ م ) وفي ظل سماحة الاسلام ، قام الامبراطور شارلمان بترميم الكنائس وبناء كنيسة العذراء وعندما جاء الخليفة المأمون بن الرشيد ( ٨١٣ - ٨٣٣ م ) تمت التعديلات في مسجد الصخرة وجددت عمارته .

وقد أثرت الأحداث التي وقعت في العصر العباسي في أوضاع الدولة الاسلامية ، ونشبت الخلافات داخل المجتمع الاسلامي وتضعضعت وحدته السياسية ، وانتهى الأمر بتقلص الحكم العباسي .

ولم تكتسب القدس أهميتها أيام الدولة الاخشيدية مثلما كانت على عهد الأمويين ، فظلت تقصد للأغراض الدينية فقط .

وقد رأينا كيف فُرضت المحن على فلسطين وأصبحت من جديد موضع نزاع بين مصر

وسوريا ، ففي عهد الطولونيين وقعت اضطرابات داخلية في فلسطين ( ٨٧٨ م ) وتكررت تلك الأحداث في أيام الفاطميين وخاصة في عهد الحاكم بأمر الله الذي اضطهد اليهود حتى وفاته . وفي عهد الخليفة الظاهر بيبرس ـ الذي يعد امتداداً لعصر الحاكم بأمر الله ـ اضطر إلى عقد صلح مع القيصر رومانوس الثالث البيزنطي ، وبمقتضاه سمح للقيصر بترميم بعض الكنائس التي هدمها الزلزال ، وفي تلك الأثناء أصيب مسجد قبة الصخرة من جراء الزلزال ، فسارع الخليفة الظاهر إلى إعادة تعمير المسجد ، واصلاح قبته أفضل مما كانت عليه .

وفي الوقت الذي نشبت فيه الصراعات السياسية في الأندلس بين الامارات المسيحية وبين المرابطين ، كانت قد بدأت في المشرق ما اصطلح على تسميته في التاريخ باسم الحروب الصليبية .

وعندما نتتبع كيف بدأ الصراع في المشرق العربي منذ ظهور الاسلام ، بين الدولة الاسلامية التي أرسى قواعدها سيدنا محمد ﷺ ، وبين الدولة البيزنطية وحلفائها من الغساسنة والمناذرة ، نجد أن الدولة البيزنطية أحست بالخطر منذ ظهرت الدعوة الاسلامية الجديدة ، فأخذت تخطط لمجابهتها بهدف تصفيتها والقضاء عليها . وقد واجهت الأمة الاسلامية هذا الخطر تحت قيادة نبينا محمد ﷺ بالتخطيط المحكم والقيام بعمليات هجومية لتوسيع رقعة الأمة الاسلامية لنشر الدعوة ، واستمر هذا الخط في عهد الخلفاء الراشدين ، واتخذ صورة المد والهيمنة على أراضي الدولة البيزنطية في الشام ومصر وشمال افريقيا ، فضلاً عن بلاد فارس في الشرق ، وبلغ المد ذروته بعبور طارق بن زياد من شمال افريقيا إلى بلاد الأندلس وأصبح البحر الأبيض بحيرة عربية .

ولم تلبث هذه الوحدة الاسلامية السياسية أن تضعضعت وتجزأت ، ويبدو أن هذا الانقسام كان أمراً طبيعياً ونتيجة محتومة ، فقد كانت رقعة العالم الاسلامي عندئذ شاسعة مترامية الأطراف ، وما كان من المتيسر أن تدار هذه الرقعة كلها من مركز واحد في القرن الثالث أو الرابع الهجري ، ومن ثم فقد كان من الطبيعي أن تتخذ الشكل السياسي الذي اتخذته في تلك الأيام ، وكان انقسامها إلى ثلاث وحدات ، فسقطت الخلافة الأموية في دمشق على يد العباسيين وتأسست الخلافة العباسية في بغداد ، بينما قامت الدولة الأموية في الأندلس والتي تحولت إلى خلافة ، كما قامت الخلافة الفاطمية في المغرب ؛ ومن هنا نشب خلاف بينها وبين الدولة الأموية في الأندلس من جهة ، ومع الدولة العباسية في بغداد من جهة أخرى .

وساعد على ذلك خلاف مذهبي في الدين الاسلامي نفسه ، فالأندلسيون كانوا أهل

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)



سنة مالكيين يميلون إلى فهم النصوص على ظاهرها ويكرهون التأويل ، أما العباسيون في بغداد فكانوا أهل سنة يتخيّر المؤمن هناك لتعبده وقضائه مذهباً من مذاهب الأئمة الأربعة ، وكانوا مع ذلك يتعايشون مع مذاهب أخرى كالشيعة الجعفرية الاثنى عشرية ، والمعتزلة والمرجئة والأشعرية وغيرهم ، بينما كان الفاطميون طائفة من الشيعة الاسماعيلية الباطنية التي تقول بالتأويل إلى أبعد مايحتمله النص ، كما كانت تقول بتقسيم التعاليم إلى علنية وسرية ، فالخلاف إذن كان دينياً وسياسياً وعسكرياً مما جعل الوصول إلى نقطة لقاء بينهم أمراً مستحيلاً .

وفي تلك الأثناء كانت أوروبا تعاني من تغييرات سياسية تكاد تكون مشابهة للأوضاع في الأمة الاسلامية ، فامبراطورية شارلمان في غرب أوروبا والمعروفة باسم الامبراطورية الرومانية المقدسة كانت تقف في مواجهة الامبراطورية البيزنطية في الشرق .

وفي ظل هذا الجو المضطرب والأوضاع المفككة ، جاء الصليبيون إلى الشرق ، وكان البابا « أوربان الثاني » قد لعب على أوتار العاطفة الدينية ببلاغته في مؤتمرين إحداهما عقد في ايطاليا والآخر في فرنسا وذلك في عام ١٠٩٥ م ، مستغلاً فكرة الخطر المزعوم على المسيحية في فلسطين . وحتى نتصور ما أوصى به البابا أوربان إلى الجماهير المسيحية في أوروبا لحثها على انقاذ المسيحية ـ على حد تصوره ـ في فلسطين ، كان لا بد أن ننقل فقرة هامة ذكرها المؤرخ وليم مالمسبوري من خطاب البابا أوربان « يا أمة الفرنج ، يا أبناء السلالة التي أحبها الله واصطفاها . وصلتنا من جهات القدس والقسطنطينية (!) أنباء مفجعة مفادها أن أمة من الأمم اشتطت السبيل ، فعاثت في ديار المسيحية سلباً وحرقاً وقتلاً ! وقادوا جموعاً منهم أسرى وأهلكوا آخرين بالتعذيب المبرح ، ودمروا بيوت الله ، واستولوا على بلاد تابعة لليونان شاسعة الأرجاء ، لا تقطع بمسيرة شهرين ! . . ، فعلى من تقع تبعة الثأر واستعادة الديار ألا تنهضوا أنتم بهذا الأمر ؟ يامن شرفكم الله بفضله وأسبغ عليكم العزة والسؤدد ، وحباكم من نصره على أعدائكم ؟ . . لتكن مآثر الأجداد ، ومآثر شارلمان ومن سار بسيرته حافزاً لكم . وليكن استعادة القبر المقدس سبباً ليقظتكم . .

اسلكوا سبيل الله حيث يوجد البيت ، وانقذوا الأرض ، وامتلكوها لأنفسكم ، فإن القدس هي من أكثر بلاد الدنيا ثماراً وهي جنة الأفراح ومركز الدنيا . إنها اليوم تناشدكم المساعدة ، فاقصدوها بكل شوق تغفر لكم ذنوبكم وجزاؤكم دار الخلود »[1] .

وفي أعقاب ذلك حدد البابا يوم ١٥ اغسطس ١٠٩٦ لبدء الحملة الصليبية الأولى ،

---

(١) د . عبد العظيم رمضان : الصراع بين العرب وأوروبا ، صفحات ٣٢١ ـ ٣٢٣ .

على أن تكون القسطنطينية نقطة التجمع والانطلاق ومن العجيب أنه وعدهم بغفران ذنوبهم ماتقدم منها وما تأخر بعد أن يحملوا السلاح لتنفيذ هذه المهام التي ألبسها عباءة الدين وقد هدد بعقاب كل من يرفض الاشتراك في هذه الحملة ( المقدسة ! ) واغراهم بأن سبل الثراء تنتظرهم هناك .

ومؤدى هذا كله أن البابا حثّ مستمعيه على محاربة المسلمين دفاعاً عن المسيحية ـ وفي هذا تضليل لهم عن الحقيقة ـ مستخدماً لغة الدين ، والدنيا باغرائهم بالجنة في الآخرة وبالثراء في الشرق .

وفي ذلك الحين كان الفاطميون ينشرون سيطرتهم على فلسطين والساحل السوري الجنوبي ، ولذلك قرر الصليبيون محاصرة بيت المقدس في ٧ يونيو ١٠٩٩ ، ولم يصمد الوالي الفاطمي للقدس أمام هذا الحصار سوى أربعين يوماً ، اقتحموا بعدها المدينة في يوم ١٥ يوليو ١٠٩٩ ، وتتبع الصليبيون جنود المسلمين الذي احتموا في المسجد الأقصى ، ولكن الصليبيين اقتحموا المسجد وأحدثوا بهم مذبحة مروعة وبشعة حتى بلغ عدد القتلى عشرات الآلوف(١) ، وجاء على لسان ابن الأثير(٢) « وقتل الفرنج بالمسجد الأقصى ، مايزيد على سبعين ألفاً ، منهم جماعة كثيرة من أئمة المسلمين وعلمائهم وعبّادهم وزهّادهم ، ممن فارق الأوطان وجاور بذلك الموضع الشريف وأخذوا نيفاً وأربعين قنديلاً من الفضة وزن كل قنديل ثلاثة آلاف وستمائة درهم ، وأخذوا تنوراً من فضة وزنه أربعون رطلاً بالشامي ، وأخذوا من القناديل الصغار مائة وخمسين قنديلاً ، ومن الذهب نيفاً وعشرين قنديلاً ، وغنموا منه ما لايقع عليه من الاحصاء » ، وكتب أبو الفرج ابن العبري الملَطي ، أحد المؤرخين المسيحيين يقول : « ولبث الفرنج في البلد أسبوعاً يقتلون فيه المسلمين وقتل في المسجد الأقصى مايزيد على سبعين ألفاً »(٣) .

وبعد أن استقرت أمورهم في القدس على هذا النحو ، قرروا مواصلة الاستيلاء على بقية مدن فلسطين ، ورغم ذلك استمرت الدول الاسلامية في المنطقة تستعد لانتزاع زمام المبادأة بالاستعداد للقتال لاستعادة القدس وبقية الأراضي والمدن التي فقدت منها ؛ وفي

(١) ستيفن رنسيمان : تاريخ الحروب الصليبية ، من الترجمة العربية للدكتور السيد العريني جـ ٢ صفحات ٤٢٥ ـ ٤٢٦ .

(٢) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، جـ ١٠ صفحات ٢٨٣ ـ ٢٨٤ .

(٣) وبينما نجد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب يترك الكنائس للمسيحيين يباشرون فيها عباداتهم أحراراً ، نجد الصليبيين يستولون على المساجد ويحولونها إلى كنائس ، ومن العجيب أنهم حولوا المسجد الأقصى إلى ماعرف خطأ باسم « معبد سليمان » .
راجع : الحافظ شمس الدين الذهبي : كتاب دول الاسلام ، جـ ٢ ص ٧٠ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)



سبيل استعادة القدس قرر الوزير الأفضل الفاطمي ارسال حملة كبيرة إلى فلسطين واتخذت مدينة عسقلان مركزاً لتجمعها ، ولكنها بقيت مدة طويلة هناك انتظاراً لبقية الامدادات مما أتاح للصليبيين الهجوم والانتصار على الجيش الفاطمي .

ونلخص من ذلك إلى نتيجة هامة مؤداها أن فشل التعاون المشترك بين عرب مصر ( الفاطميين ) وبين ترك دمشق ( السلاجقة ) ، أدى إلى توطيد مركز الصليبيين واستمرارهم في بسط سيطرتهم على القدس ؛ وعندما حسم الخلاف المذهبي فيما بعد لصالح المذهب السني على يد صلاح الدين الأيوبي اتحدت مصر والشام في مواجهة العدو الصليبي(١) .

وبوفاة نور الدين زنكي ـ الذي يعد من أكبر قادة المسلمين والذي هزم الملك فولك ملك بيت المقدس هزيمة منكرة ـ انتهى الدور التاريخي في ذلك الحين لقيادة دمشق في مواجهة العدو الصليبي ، وأخذت مصر ذلك الدور القيادي تحت حكم صلاح الدين الأيوبي والذي كان يبدو أقوى أمراء الدولة الزنكية ، وقد حرص على المحافظة على التقاليد الزنكية ، فلم يشأ مهاجمة الصليبيين إلا بعد أن أعاد الوحدة إلى دولة نور الدين ، التي كادت تتفكك بعد وفاته .

وفي تلك الأثناء أخذ صلاح الدين يعمل على تقوية التحصينات في مصر فأقام سوراً ضخماً يحيط بالقاهرة والفسطاط والقطائع ، وأخذ في بناء قلعته الشهيرة في القاهرة .

وكانت الأحوال في بيت المقدس مشجعة لصلاح الدين على اتخاذ عمل حاسم ضد الصليبيين ، خاصة بعد استيلائه على حلب عام ١١٨٣ م ، وهو بذلك طوق الامارات الصليبية على امتداد الساحل .

وسرعان ما أخذ المسرح السياسي في المشرق العربي يتهيأ لموقعة حطين ، خاصة بعد أن شعر المسلمون بتهديد الصليبيين لطريق الحج إلى مكة المكرمة .

## موقعة حطين نقطة تحول لاسترداد القدس

أرسل صلاح الدين يجمع جيوشه في ربيع عام ١١٨٧ م وجعل مركز قيادته في دمشق ، فلما تكامل الجيش الاسلامي في الصيف سار في اتجاه طبرية ( في ٤ يوليو ١١٨٧ م ) ، وجعلها وراء ظهره ثم تقدم غربها عند قرية « حطين » وذلك عندما علم أن الجموع الصليبية جاءت واحتشدت عند جبل طبرية من جهة الغرب وكان ذلك في يوم شديد الحرارة ، ولكن جيوش صلاح الدين كانت ترابط بينهم وبين الماء مما اضطر الجيش

(١) د . عبد العظيم رمضان : المرجع السابق ـ ص ٣٧٩ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)



الصليبي إلى قضاء ليلته يئن من العطش والانهاك ، واستغل صلاح الدين انهاكهم وطوقهم في الليل ، فكان هذا انتصاراً له قبل أن يضرب ضربة واحدة ، وفي اليوم التالي حاول الصليبيون بلوغ الماء ولكنهم فشلوا ، وفي تلك الظروف دارت موقعة حطين الشهيرة والتي انهزم فيها الصليبيون هزيمة منكرة(١) .

وظهر صلاح الدين على درجة عالية من الحنكة العسكرية ، فلم يتقدم بعد حطين للاستيلاء على القدس مباشرة ، بل فضل أن يعزلها عن الامدادات البحرية التي تأتي اليها من الخارج ، ولكي يحقق عزلها اتجه إلى عكا التي سقطت دون مقاومة واتخذها صلاح الدين مركزاً لقيادته ، ومن هناك وجه جيوشه لفتح المدن القريبة فاستولى على الناصرة وقيسارية وحيفا وصفورية والفولة والطور ، بينما استولى أخوه العادل على حصن مجدليا بين يافا ونابلس ثم يافا ثم سبسطية ( السامرة القديمة ) وصيدا .

وفي عام ١١٨٧ م سقطت بيروت ثم حاصر عسقلان وهي التي اتخذها الصليبيون قاعدة لتهديد مصر ، وبذلك قطع خطوط المواصلات بينها وبين الشام . وفي أوائل سبتمبر ١١٨٧ استسلمت عسقلان ولم يبق أمام صلاح الدين سوى القدس (٢).

وكان صلاح الدين قد عقد النية على أخذ بيت المقدس ، فبعد أن رأى رايات النصر تخفق له بعد استسلام معظم المدن التي كان يحتلها الصليبيون بلا مقاومة تذكر فيما عدا مدينة صور التي بدأت تتحصن وتتجهز ، سار إلى قلب فلسطين وأخذ كل ماكان بين بيت المقدس والساحل من حصون ، فلما تأكد من تأمين الساحل لمنع وصول الامدادات البحرية إلى الصليبيين في المقدس ، ألقى الحصار عليها وعرض على أهلها التسليم بنفس الشروط التي استسلمت بها بقية المدن الصليبية ، نظير تأمينهم على أرواحهم وأولادهم وأموالهم ، ولكنهم أبوا ذلك وعندئذ أقسم صلاح الدين أن يأخذ القدس عنوة ، وجعل يتلمس في أسوارها نقطة ضعف يهاجمها ، وفي ٢٠ سبتمبر ١١٨٧ م بدأ هجومه من نقطة الضعف التي اختارها جهة الشمال عند المكان المعروف بباب كنيسة صهيون ( باب العمود ) . وكان قد نصب المنجنيقات ونظم الرماة فوصلت جنوده إلى الأسوار وفتحوا فيها ثغرات ، غير أن ذلك التصادم لم يدم أكثر من أسبوع وفي أعقابه رأى المحاصرون أنه لاأمل لديهم في النجاة ، فأرسلوا إلى صلاح الدين يفاوضونه في شروط التسليم ، فأبى إلا أن يأخذ المدينة عنوة ليفعل بالصليبيين مثلما فعلوه بالمسلمين عندما استولوا على القدس منذ نحو قرن ونذكر هنا نص ماقاله صلاح الدين « لا أفعل بكم إلا كما فعلتم بأهل

(١) ستيفن رنسيمان : المرجع السابق جـ ٢ صفحات ٧٣٥ - ٧٤٠ .

(٢) الحافظ الذهبي : المرجع السابق - جـ ٢ صفحات ٧١ - ٧٣ .

القدس حين ملكتموه سنة إحدى وتسعين وأربعمائة ، من القتل والسبي ، وأجزي السيئة بمثلها » . وعند ذلك ألح أمير منطقة الرملة في طلب الأمان ووقف القتال ، وإلا قتلوا نساءهم وأطفالهم وذبحوا مافي المدينة من أسرى المسلمين ويقدر عددهم بخمسة آلاف أسير ؛ وهنا استشار صلاح الدين أصحابه فوافقوا على ترك المسيحيين يغادرون القدس مقابل عشرة دنانير للرجل وخمسة للمرأة وديناراً واحداً عن كل طفل ، فمن أدى ذلك في مدة أربعين يوماً خرج ونجا ، ومن لم يؤده صار أسيراً مملوكاً(١) . وعلى هذا النحو جاءت شروط التسليم سهلة وميسرة كما جاء تفسير هذه الشروط لافتاً للنظر ، وهو إنما يدل على سماحة الاسلام بالمقارنة بما فعله الصليبيون عند غزوهم للقدس عام ١٠٩٩ م من تذبيح وقتل للمسلمين حتى وصلت الدماء في شوارع المدينة إلى الركب ـ على حد تعبير كثير من المؤرخين ـ ، ثم دخل صلاح الدين إلى بيت المقدس في يوم الجمعة الموافق ٢٧ رجب سنة ٥٨٣ هـ ـ ٢ / أكتوبر ١١٨٧(٢) .

وقد بلغ عدد من دفع عنهم صلاح الدين الفداء نحو عشرة آلاف فرد ، عدا من أطلقهم أخوه سيف الدين ، وبذلك ضرب صلاح الدين المثل للأجيال القادمة من المسلمين في العزم والتصميم على استعادة حقوق المسلمين ، كما أظهر من التسامح والرحمة ماجعل كثيراً من المؤرخين يذكرونه بالثناء والتقدير .

وبمجرد أن دخلت جيوش المسلمين إلى القدس ، بدأوا يحفظون الأمن والنظام ، واستهل صلاح الدين وجنوده في بيت المقدس بزيارة مسجد قبة الصخرة والمسجد الأقصى ، وقام بخلع الصليب الذهبي الذي رفعه الصليبيون على قبة الصخرة ووضع فوقها الهلال ، كما أزال ماوجده في المسجدين من آثار مسيحية ، وقد بذل المسلمون جهداً كبيراً في ترميم وتعمير المسجدين . وكان صلاح الدين قد أمر بنقل المنبر من مدينة حلب إلى المسجد الأقصى ـ والذي كان قد أمر بتصنيعه نور الدين زنكي على درجة من الدقة والفخامة بحيث يتناسب والقدس عند فتحها ـ ، كما شيد صلاح الدين مسجداً عرف باسم مسجد النساء وذلك في الطرف الجنوبي الغربي للمسجد الأقصى .

هذا وقد سمح صلاح الدين للمسيحيين بإقامة شعائرهم الدينية في حين قام بإحضار

(١) ستيفن رنسيمان : المرجع السابق جـ ٢ صفحات ٧٤٨ ـ ٧٥٠ .
راجع عماد الدين اسماعيل أبي الفداء : المختصر في أخبار البشر ـ جـ ٣ صفحات ٧٢ ـ ٧٣ ( يذكر أن مايدفع مقابل خروج الطفل هو ديناران ) .
جمال الدين أبي المحاسن الأتابكي : كتاب النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ـ جـ ٦ ص ٣٧ ( يذكر أن مايدفع مقابل خروج الرجل عشرين ديناراً ) .

(٢) محمد كرد علي : خطط الشام ، الجزء الثاني ـ صفحات ٥٨ ـ ٦٠ .

بعض القبائل العربية مثل بني الحارث وبني مرة وبني سعد وبني زيد للاقامة في بيت المقدس ، كما قام بإنشاء عدد من المدارس ( منها المدرسة الصالحية والمدرسة الميمونية ) .

ومن المهم أن نشير هنا إلى الخطوة الهامة التي اتخذها صلاح الدين والتي تدل على حنكته السياسية والعسكرية ، وذلك أنه قام بتجديد أسوار بيت المقدس وبإنشاء عدد من الأبراج العسكرية في الجزء الواقع بين باب العمود وباب الخليل وهو الجزء المواجه للطريق العسكري الآتي من الساحل الفلسطيني على البحر الأبيض المتوسط من يافا خصوصاً ، وفي سبيل تحصين المدينة ضد الصليبيين قام بحفر عدد من الخنادق حول أسوارها(١) .

وقد وقفنا في هذا الفصل على حقيقة هامة ، مؤداها أن النصر الذي حققه صلاح الدين على الصليبيين جاء لافتاً للنظر ، وذلك أنه اعتبره المؤرخون علامة هامة في التاريخ الاسلامي ، على أن سقوط بيت المقدس قد أزعج أوروبا وأفزع البابوية ، فنادت بحملة صليبية جديدة ، اشترك فيها ريتشارد قلب الأسد ملك انجلترا وفيليب أوغسطس ملك فرنسا وامبراطوري المانيا وروما ، وقاموا بتجهيز أكبر حملة صليبية من حيث العدد والعدة لاستعادة القدس وهيبة أوروبا البابوية ، إلا أن جميع محاولات الصليبيين فشلت بقيادة ريتشارد قلب الأسد في أخذ بيت المقدس ، واضطر إلى فكرة المفاوضات التي انتهت بصلح الرملة في سبتمبر ١١٩٢ م ، وفيه اتفق الطرفان على احتفاظ الصليبيين بالمدن الساحلية الممتدة من عكا حتى يافا ، على أن تستمر مدينة بيت المقدس تحت حكم المسلمين ، مع السماح للحجاج المسيحيين بالحج إليها من طريق واحد هو طريق عكا ، وفي أعقاب ذلك رحل ريتشارد قلب الأسد من عكا إلى انجلترا ، وهكذا أسدل الستار فترة من الزمن على الحملة الصليبية الثالثة ، التي فشلت في استعادة بيت المقدس من أيدي المسلمين (٢) .

وبعد موت صلاح الدين في دمشق عام ١١٩٣ م أخذت الجبهة الاسلامية تتداعى ، وانقسمت امبراطوريته إلى عدة ممالك ، فأصبحت الشام وفلسطين من نصيب ابنه علي الملقب بالملك الأفضل ، وحلب لابنه غازي الملقب بالملك الظاهر ، ومصر لابنه عثمان الملقب بالملك العزيز وبلاد مابين النهرين لأخيه الملك العادل ، وكانت القدس من نصيب

(١) ابن الأثير : الكامل في التاريخ جـ ١٢ صفحات ٧٣ ـ ٧٤ .

وقال ابن الأثير مانصه : ( ثم إن الحجارة عند العمالين ، فكان صلاح الدين رحمه الله ، يركب وينقل الحجارة بنفسه على دابته من الأمكنة البعيدة ، فيقتدي به العسكر ، فكان يجمع عنده من العمّالين في اليوم الواحد مايعملونه عدة أيام ) .

(٢) محمد كرد علي : المرجع السابق جـ ٢ صفحات ٦٥ ـ ٦٨ .

ستيفن رنسيمان : المرجع السابق جـ ٣ صفحات ١٣٨ ـ ١٤٣ .

الملك الأفضل والذي تنازل عنها بعد فترة قليلة لأخيه الملك العزيز حتى يضمن لها المال والرجال للدفاع عنها ضد الصليبيين(١) .

وفي عام ١٢٠٠ م تمكن الملك العادل من توحيد ممالك البيت الأيوبي في مصر والشام تحت سيطرته ، وأقام نفسه سلطاناً على الامبراطورية الأيوبية ـ اعترف به سائر الأمراء الأيوبيين ـ فترة امتدت من عام ١٢٠٠ وحتى ١٢١٨ م ، ونتيجة لقيام وتوحيد الامبراطورية الأيوبية ، قامت البابوية في أوروبا بتجهيز حملة صليبية جديدة ، إلا أنها لم تحقق هدفها الرئيسي ، إلا بعد تولي الملك الكامل القيادة بعد وفاة والده الملك العادل في دمشق عام ١٢١٨ م .

وبعد فشل الحملة الصليبية الخامسة على مصر ، تمكن فريدريك من عقد اتفاق هدنة مع الملك الكامل في سبتمبر ١٢٢٨ م في عكا ، وتتضمن هذه الاتفاقية أن يتسلم الصليبيون بقيادة فردريك مدينة بيت المقدس وبيت لحم مع الابقاء على طريق « عكا ـ القدس » في أيدي الصليبيين بما في ذلك يافا وعكا واللد والناصرة ، على أن يبقى المسجد الأقصى وقبة الصخرة في أيدي المسلمين ، كل ذلك مقابل هدنة مدتها عشر سنوات لاتقوم خلالها أي حملات صليبية على مصر أو الشام ، وفي أعقاب هذا الاتفاق أنكر المسلمون في مصر والشام والعراق هذه الهدنة التي ترتب عليها التنازل عن بيت المقدس(٢) .

ولم تلبث الظروف أن تهيأت مرة أخرى لعودة بيت المقدس إلى أيدي المسلمين بعد وفاة السلطان الكامل في عام ١٢٣٩ وانقسمت الدولة الأيوبية للمرة الثالثة ، فقد أصبحت مصر من نصيب العادل الثاني ابن الكامل ، والشام من نصيب أخوه الأكبر الصالح أيوب ـ الذي استعان بالخوارزمية ـ واستمر الصراع بين الأخوة على قيام الدولة الأيوبية الموحدة ، وخلال تلك الاضطرابات حل وقت انتهاء الهدنة التي عقدها الكامل مع فريدريك ، وفي تلك الأثناء جهّزت البابوية حملة صليبية جديدة للابقاء على القدس بعد نهاية الاتفاق ، فاستغل قادة الصليبيين الخلافات داخل الدولة الأيوبية واستولوا على القدس ، التي سرعان ماعادت إلى الملك الصالح أيوب والذي زارها وأمر بترميم أسوارها .

---

(١) ابن الأثير : المرجع السابق جـ ١٢ ـ صفحات ٩٦ ـ ٩٧ .

(٢) ابن الأثير : المرجع السابق ـ جـ ١٢ صفحات ٤٨٢ ـ ٤٨٣ .

محمد كرد علي : المرجع السابق صفحات ٨٤ ـ ٨٥ .

# القدس في عهد المماليك

ونتيجـة لاستعادة المسلمين للقدس ، تجددت نداءات البابوية بحملة صليبية سابعة لاستعادة القدس بقيادة لويس التاسع ملك فرنسا والتي بدأها بمهاجمة مصر ، ولكنه فشل فشلاً ذريعاً وأسر هناك .

ويشير بعض المؤرخين أن هذه الحملة السابعة اقترنت بروح دينية ، ولكن يبدو أن ما أصاب الحركة الصليبية من انحسار الشرف واشتداد التعصب وضعف الادراك ، جعل قداستها تحت عباءة التعصب الأعمى باسم الله ، ففقدت فاعليتها وأصبح انهيار الحروب الصليبية أمراً واقعاً .

وبمـوت الصـالـح أيوب تولت زوجتـه شجـرة الـدر[1] السلطنـة في مصر في عام ١٢٥٠ م ، ويعتبر هذا التاريخ بداية قيام دولة المماليك فقد كانت أقرب إلى المماليك ، منها إلى الأيوبيين[2] .

على أنه في النصف الأول من القرن الثالث عشر برزت قوة المغول كقوة عسكرية كبيرة في آسيا ، حيث استولى جنكيز خان على الصين بين عامي ١٢١٠ ، ١٢١٦ م ، ثم ظهر هولاكـو على رأس جيش المغول ليهدد المشرق العربي وخاصة بلاد مابين النهرين والشام ومصر ، وذلك بعد أن انهزم لويس التاسع في مصر . ولكن الأمير سيف الدين قطز هزم هولاكو في معركة عين جالوت عام ١٢٦٠ م هزيمة منكرة كانت الأولى في تاريخ المغول ، وترتب على ذلك طردهم من الشام وبلاد مابين النهرين[3] .

وكـان الملك الـظاهـر بيبرس ( المملوكي ) قد زار بيت المقـدس مرتين ، الأولى عام ١٢٦٢ م والثـانية عام ١٢٦٥ م ، وفي أعقـاب زيارته الأولى أمر بترميم كل ماتهدم من مسجد قبة الصخرة ، كما جدد قبة السلسلة وقام بزخرفتها .

وروى بعض المؤرخـين أن الـظاهر بيبرس كان شديد الاعجاب بدور صلاح الدين الأيوبي ، ومن ثم فقـد حرص على محاكـاتـه في أعـماله الحربية التي اتسمت بالنجاح في معظمها ، مما جعل كثيراً من المؤرخين يعتبرونه المؤسس الحقيقي لدولة المماليك ، ومن أهم

---

(١) شجرة الدر كانت جارية مملوكة أرمنية الأصل وقد تولت الوصاية على الخلافة وأدارت شئون الدولة بنفسها وضربت لها العملة لا باسم شجرة الدر ولكن بكنيتها في الأسرة وهو « أم خليل » .

(٢) محمد كرد علي : المرجع السابق صفحات ١٢٦ - ١٢٨ .
د . عبد العظيم رمضان : المرجع السابق - ص ٥٢٥ .

(٣) زين الدين عمر بن الوردي : تتمة المختصر في أخبار البشر - جـ ٢ صفحات ٣٤٢ - ٣٤٤ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)



انتصاراته العسكرية التي حققها هي استيلاءه على امارة انطاكية في مايو ١٢٦٨ م .

وبعد صراع على السلطة تولى السلطان المملوكي قلاوون السلطة في أواخر عام ١٢٧٩ م ليواجه الخطرين المغولي والصليبي في آن واحد ، على أنه في تلك الأثناء عقد اتفاق هدنة مع الصليبيين في عكا وطرابلس لمدة عشر سنوات ، وبذلك تفرّغ لمواجهة الخطر المغولي ، ففي عام ١٢٨١ م ألحق الهزيمة بالجيش المغولي قرب حمص ، وفي عام ١٢٨٩ م انتهز السلطان قلاوون فرصة نقض الصليبيين لاتفاقية الهدنة وحاصر طرابلس ثم هاجمها واستولى عليها ، وبذلك انفتح له الطريق إلى عكا ولكنه توفي في عام ١٢٩٠ م .

ولم يلبث ابنه الأشرف خليل بن قلاوون أن تقدم لتنفيذ مخططات والده التي لم يكملها ، وفي سبيل تحقيق ذلك قام بتوحيد الجيوش الاسلامية في مصر والشام ولبنان ، وحاصروا عكا التي مالبث أن استسلمت في مايو ١٢٩١ بعد أن كانت عاصمة للصليبيين لمائة عام .

وفي أعقاب ذلك توالى سقوط المدن الساحلية التي كانت في أيدي الصليبيين ، ومن بينها صور وصيدا وبيروت ، وبذلك انتهى الوجود الصليبي في فلسطين والشام ، وحل محله فيما بعد الوجود الصهيوني بعد أن انتقلت إليه الفكرة الصليبية كما سنوضح ذلك في فصلنا التالي .

ومؤدى ذلك كله أننا لانجد لليهود أثراً بالمرة على مدى مائتي عام أيام الحروب الصليبية بين المسلمين والمسيحيين في فلسطين ، فقد كانوا متأكدين بعدم وجود دور لهم هناك ومازالت نظرتهم إلى القدس في هذا الوقت على أنها مكان للحج فقط ، ولم يكن عندهم أي مطامع للبقاء هناك .

ومن أبرز السمات التي تميز عصر المماليك في القدس اهتمامهم بها وبترميم مقدساتها الاسلامية ، حتى أننا نجد سلاطينهم يكسون قبة الصخرة المقدسة من الخارج بالفسيفساء .

## القدس في العصر العثماني (١٥١٦ - ١٩١٨)

من المعروف أن الحملات الصليبية قد جرى توجيهها لانقاذ العالم المسيحي الشرقي من المسلمين - على حد تعبير البابا أوربان الثاني - ، فلما انتهت الحروب الصليبية أضحى العالم المسيحي الشرقي خاضعاً لحكم المسلمين ؛ فحينما ألقى البابا أوربان الثاني نداءه

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)



الشهير في كليرمونت ، كان الأتراك فيما يبدو يوشكون على تهديد البوسفور ، ولما دعا البابا بيوس الثاني إلى قيام الحملة الصليبية الأخيرة ، كان الأتراك يجتازون نهر الدانوب .

على أنه وفقاً للمنظور التاريخي ، ليست الحركة الصليبية بأكملها إلا فشلاً ذريعاً .

وكان السلطان سليم الأول قد فتح القدس عام ١٥١٦ م ، بعد أن تغلب على المماليك في معركة « مرج دابق » ، وقتل سلطانهم « قنصوة الغوري » وأحكم قبضته على فلسطين وبلاد الشام ثم زحف إلى مصر وفتحها ، وشنق طومان باي على باب زويله ، وبذلك انتهى حكم المماليك لفلسطين بفتح العثمانيين للقدس .

وعندما تولى السلطان سليمان الأول الملقب بالقانوني[1] ( ١٥٢٠ - ١٥٦٦ م ) العرش ، قامت على عهده منشآت كثيرة في القدس نتيجة لاهتمامه بحركة البناء والتعمير ، فأمر بتجديد أسوار المدينة كما أنشأ برجاً بالقرب من باب الخليل ، وأصلح طبقة الفسيفساء التي كانت تغطي قبة الصخرة من الخارج بالاضافة إلى اصلاحه عمارتها ، كما جدد قبة السلسلة وأنشأ مسجد الطور في المكان الذي كانت تقوم عليه كنيسة الصعود .

وبعد وفاة السلطان سليمان القانوني ، فقدت القدس أهميتها لدى السلاطين العثمانيين[2]، وفي عهد السلطان مراد الرابع ( ١٦٢٢ م ) كانت القدس تابعة لمصر ، وكانت أحوالها الأمنية مضطربة إلى حد كبير ، ثم انتقلت تبعيتها للشام ولكن اختلال الأمن استمر كذلك وظلت القدس خارج دائرة الاهتمام .

وفي عهد السلطان سليم الثالث ( ١٧٨٨ - ١٨٠٧ م ) هاجم نابليون بونابرت العريش في عام ١٧٩٩ ، وكان قد خرج على رأس جيشه وسلك طريق صحراء سيناء ، ثم اتخذ الطريق الساحلي القديم إلى فلسطين واستولى على العريش وغزة والرملة ويافا ، ثم واصل جيش نابليون تقدمه إلى الشمال على طول سهل مرج ابن عامر ليحقق هدفه الرئيسي وهو الاستيلاء على عكا عاصمة الحكم العثماني في فلسطين .

وفي أثناء حصار عكا أرسل نابليون عدة وحدات من جيشه إلى صفد وإلى جسر بنات يعقوب على نهر الأردن الشمالي قاصداً قطع الامدادات التي يحتمل أن يرسلها العثمانيون إلى دمشق ، وعندما علم الفرنسيون أن القوات العثمانية نجحت مع ذلك في عبور نهر الأردن من موضع آخر واخترقت وادي مرج بن عامر ، تقدم جزء من جيش نابليون لمواجهة الجنود المدافعين عن فلسطين تحت قيادة عثمانية ؛ ولكن الجيش الفرنسي هُزم في هذه

---

(١) وينسب إليه ترميم حائط المبكى وذلك بإزالة الأتربة والقمامة من أسفله ، ورفع الحائط ستة أسطر من الحجارة في أعلاه وهي تبدو واضحة للعين حتى الآن ، لأن الحجارة المستعملة أصغر بكثير من بقية الحائط الذي يرجع إلى عصر هيرودس أي إلى القرن الأول الميلادي .

(٢) محمد كرد على : المرجع السابق جـ ٢ صفحات ٢١٨ - ٢١٩ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)



المواجهة وبالتالي فشل في فك حصار عكا ، ولذلك اضطر نابليون آخر الأمر إلى التراجع عائداً إلى مصر سالكاً نفس الطريق الذي سلكه من قبل[1] ؛ على أن اهتمام أوروبا بفلسطين قد بدأ يتبلور منذ ذلك التاريخ .

وفي عهد السلطان محمود الثاني ( ١٨٠٨ - ١٨٣٩ م ) أمر بتذهيب قبة الصخرة وترميمها من الخارج .

وعندما أعلن محمد علي باشا ـ والي مصر ـ العصيان على تركيا في عهد السلطان محمود الثاني ، أرسل جيشاً بقيادة ابنه ابراهيم باشا إلى فلسطين والشام ، لم يلبث أن احتل بيت المقدس في عام ١٨٣١ م ومعظم مدن فلسطين . ولكنه واجه مقاومة شديدة من أهلها الذين أعلنوا الثورة في مواجهة ابراهيم باشا وجيشه ، إلا أنه قمع هذه الثورة وقد وقفت بعض الدول الأوروبية في وجه ابراهيم باشا وفتوحاته في فلسطين والشام وبلاد الأناضول ، مما اضطره إلى الانسحاب من فلسطين بعد عشر سنوات . وهكذا استرد السلطان عبد المجيد القدس وفلسطين في عام ١٨٤١ م بمساعدة انجلترا والنمسا وظلت تحت الحكم العثماني حتى الحرب العالمية الأولى[2] .

وأغلب الظن أن اليهود حاولوا استصدار أمر من محمد علي باشا للسماح لهم بشراء وتملك الأراضي الزراعية ، والعقارات وإنشاء بعض الصناعات الخفيفة ، ولكن أعضاء مجلس القدس الشريف اعترضوا على هذا الطلب ـ على اعتبار أنه طلب لامثيل له من قبل ـ فأصدر محمد على موافقته على ماجاء في قرار مجلس القدس الشريف ولم يسمح لليهود بعد ذلك بالبيع أو الشراء للعقارات والأراضي الزراعية .

ويبدو أن تعداد سكان القدس في عهد السلطان عبد المجيد كان حوالي عشرين ألفاً معظمهم من المسلمين ، وكان السلطان قد أمر بتجديد عمارة الحرم القدسي .

وفي عهد السلطان عبد العزيز ( ١٨٦٠ - ١٨٧٤ م ) انفصلت القدس عن تبعيتها للشام وأصبحت مستقلة تتبع الباب العالي رأساً ، كما أنشيء في عهده طريق القدس يافا وطريق القدس نابلس ، ورصفت شوارع القدس وأسواقها ، كما قام بتجديدات في المسجد العمري .

وفي عهد السلطان عبد الحميد الثاني ( ١٨٧٦ ـ ١٩٠٨ م ) نشبت الحرب بين الدولة العثمانية وروسيا ( ١٨٧٧ م ) ، وفي أعقابها صدر قانون ( ١٨٨٢ م ) يحرم هجرة اليهود إلى فلسطين وشراءهم الأراضي الزراعية والعقارات هناك ، ثم صدر تعديل لهذا القانون

(١) جودت باشا : تاريخ استنبول ـ جـ ٧ ـ ص ٢١ ( ١٣٠٩ هـ ) .

(٢) محمد فريد : تاريخ الدولة العثمانية ، تحقيق د . احسان حقي ـ صفحات ٤٥٠ ـ ٤٥١ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)



يسمح لليهود بدخول فلسطين للحج وإقامة طقوسهم الدينية ، على ألا يبقوا فيها أكثر من ثلاثة أشهر ، وبعد انعقاد المؤتمر التأسيسي لمنظمة الصهيونية العالمية ، في بازل سنة ( ١٨٩٧ م ) برئاسة تيودور هرتسل ، ـ الذي رسم خريطة لاسرائيل ـ والذي في أعقابه عُرض على السلطان عبد الحميد الثاني ، أن تسدد ديون الدولة العثمانية الباهظة ـ بسبب الحَرب مع روسيا ـ ويُدْفَع إلى جيب السلطان خمسة ملايين من الجنيهات ، مقابل السماح لليهود بوطن في فلسطين ، ولما اعتذر بأنه لا يملك المساومة على فلسطين ، وليست من خاص أملاكه في صفقة بيع وشراء ، تقرر عزله واسقاط الخلافة الاسلامية ، وعلى إثر ذلك تحالفت الصهيونية العالمية مع بعض الدول الغربية على خلع السلطان عبد الحميد وإبعاده إلى سلانيك[1] .

وخلفه السلطان محمد رشاد الخامس ( ١٩٠٨ م ) ، وعلى عهده قامت الحرب العالمية الأولى ( ١٩١٤ ـ ١٩١٧ ) وانضمت الدولة العثمانية إلى جانب الألمان ، وبنهاية الحرب فقدت تركيا معظم ماكان لديها ، بما في ذلك القدس الشريف التي احتلها الانجليز في التاسع من شهر ديسمبر ١٩١٧ م بقيادة السير «ادموند اللّنبي» ـ بعد أن ظلت في أيدي العثمانيين أربعة قرون ـ فدخلت اسما ( فلسطين ) تحت الحماية البريطانية ، حتى تسلمتها الصهيونية العالمية . وكان اليهودي المتطرف « زئيف جابوتنسكي » قد اتفق على إنشاء كتيبة من المتطوعين اليهود تحارب العرب والأتراك تحت الراية البريطانية ، وصدر لها الأمر بالتحرك في اتجاه فلسطين ـ « في نفس وقت صدور تصريح بلفور وبالطبع فهذا التنسيق ليس مجرد صدفه » ـ مع الجيش البريطاني الزاحف عليها بقيادة الجنرال ( السير ) ادموند اللّنبي ، وفي فبراير عام ١٩١٨ م وصلت مقدمة الكتيبة اليهودية إلى فلسطين ، وما أن لمست أقدامهم أرض فلسطين حتى رفعوا الراية الصهيونية ذات النجمة السداسية وعليها فقرة من المزمور ١٣٧ ـ من المزامير المنسوبة زورا إلى داود ـ « إن نسيتك يا أورشليم تُنسى يميني » . وكان هرتسل قد جعله شعاراً للصهيونية .

---

(١) ورد رفض السلطان عبد الحميد الثاني في نص رسالة بعث بها السلطان إلى مرشده للطريقة الصوفية ، وهذه الرسالة موجودة ضمن الوثائق العثمانية القيمة في مكتبة مدينة شقراء والتابعة لدارة الملك عبد العزيز بالرياض .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

# الفصل التاسع

# وعد بلفور وقيام إسرائيل

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)



Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

# وعد بلفور وقيام إسرائيل

## هرتسل والصهيونية السياسية

لعل أول دعوة علنية لانشاء وطن قومي لليهود ، كانت تلك التي أفصح عنها السير هنري فنش عام ١٦١٦ في كتابه « نداء اليهود » والذي نشر في انجلترا في تلك الأثناء ، وبعد مرور حوالي قرنين من الزمان ، بدأت أصداء هذه الدعوة إلى الظهور مرة أخرى ، حيث ظهر اتجاهان فكريان متعارضان لحل المسألة اليهودية ، الاتجاه الأول فقد حمل لواءه موسى مندلسون ( ١٧٢٩ - ١٧٨٦ م ) ، حيث نادى باندماج اليهود مع المجتمعات التي يعيشون فيها في أوروبا . أما الاتجاه الثاني فكان على رأسه تيودور هرتسل ( ١٨٦٠ - ١٩٠٤ م ) ، والذي يدعو فيه إلى الصهيونية السياسية(١) .

فإذا عدنا إلى القرن الماضي نرى أن الكثرة الغالبة من اليهود قد وقعت تحت تأثير فكرة القوميات التي سادت الفكر السياسي في أوروبا حينئذ ، فاعتقدوا أن الروابط الدينية والعنصرية لديهم تصلح لتكون أساساً لقومية يهودية تمنح الأمة اليهودية - حسب ادعاءاتهم - حقوقاً لتكوين دولة يهودية .

واستغلت الحركة الصهيونية الأماني الروحية لليهود في العودة إلى أرض الأجداد - على حد تعبيرها - ، هذا بالاضافة إلى أن الاتجاهات السياسية التي سادت القرن الماضي ، قد ساعدتهم على الاعلان عن هدفهم باعتبار فلسطين وطناً لهم يهاجر إليه يهود العالم ، غير أن الهجرة في أول الأمر كانت محدودة جداً ، حيث فضّل يهود أوروبا الهجرة إلى الولايات المتحدة واستراليا والأرجنتين .

ويرى البعض أن ظهور الصهيونية السياسية كان انعكاساً مباشراً لأحداث الاضطهاد التي تمت في روسيا ضد الجماعات اليهودية على إثر اغتيال قيصر روسيا الاسكندر الثاني في

(١) وكان مناحيم بيجن قد دلل على روح الصهيونية السياسية بقوله «استحالة التفريق بين المعاداة لاسرائيل والمعاداة للصهيونية ، والمعاداة للسامية ، وقد اعتبرت المنظمات الصهيونية العالمية قول بيجن هذا على أنه شعار ، فقامت بترديده على أسماع العالم .

عام ١٨٨١ م ، فقد سرت شائعة بين اليهود مؤداها أن هذه المذابح والاضطهادات قد تمت تحت علم وبصر الحكومة الروسية . وفي أعقاب ذلك هاجرت مجموعة من اليهود إلى أوروبا الغربية والولايات المتحدة في الفترة الممتدة من عام ١٨٨١ إلى عام ١٩١٤ م .

ومن الملفت للنظر أن بداية تحليل ظاهرة المعاداة للسامية كانت في أعقاب أحداث روسيا ، وكان « ليوبنسكر »[1] ( ١٨٢١ - ١٨٩١ ) أول المفكرين الصهاينة الذين فسروا هذه الظاهرة على أنها ظاهرة مرضية ، فالمعاداة للسامية في رأي ليوبنسكر هي كراهية الغريب والمقصود هو كراهية اليهود ، فهم عنصر غير مرغوب فيه ، وهم أجانب في المجتمعات التي يعيشون فيها ولا يمكن اندماجهم فيها لأنهم فضلوا حياة العزلة التي أطلق عليها اليهود اسم «جيتو»[2] .

وبعد أن تتبع « ليوبنسكر » مسار المعاداة للسامية وأسبابها ، وصل إلى نتيجة مؤداها تهجير اليهود من المجتمعات التي يعيشون فيها إلى إقليم يملكونه ليكونوا أمه يهودية ، ولكنه لم يحدد أرض فلسطين بصفة خاصة ؛ هذا بالاضافة إلى اعلانه عن مساواة اليهود مع غيرهم من الشعوب ، وبذلك فسّر تأثره بما أعطته الثورة الفرنسية عام ١٧٨٩ لليهود من الحقوق المنصوص عليها في اعلان حقوق الانسان ، وجعلهم مواطنين من الدرجة الأولى ، بل إنها ألغت ذكر الدين في أية وثيقة رسمية حتى الآن ، لتسهل للأقليات الاندماج في المجتمع .

وقد ضمّن ليوبنسكر مقاله الشهير « التحرر الذاتي » نداء من يهودي روسي إلى إخوته ، آراءه عن الصهيونية ، والتي من بينها أن المشكلة اليهودية عملية وليست نظرية وهي في حاجة إلى حل حاسم كما اتهم دول العالم بأنها لاتطبق مبدأ المساواة في معاملتها لليهود ، ،هم غير قابلين للاندماج في الأمم التي يعيشون بين ظهرانيها ، وهذه الظاهرة من مسلمات نصريين واللاساميين .

---

يوبنسكر : طبيب روسي يهودي اعتنق الصهيونية السياسية وأصبح زعيمًا لجماعة « أحباء هيون » ، وفي أعقاب أحداث روسيا عام ١٨٨١ م طالب بإعادة توطين اليهود في وطن جديد ، م بدأ في التجول في العواصم الأوروبية للدعوة لفكرته الخاصة ، فقابل زعماء الاليانس وبعض المفكرين من اليهود ، ولكنه قوبل بمعارضة منهم ، وبعد ذلك كتب مقاله الشهير « التحرر الذاتي » .

(٢) تستخدم كلمة « جيتو » للدلالة على أحياء اليهود الخاصة في أوروبا ، وأول حي يهودي أطلق عليه هذا المصطلح كان في البندقية عام ١٥١٦ م ، ومن المرجح أن كلمة جيتو مشتقة من كلمة « بورجيتو » الايطالية التي تعني جزءاً صغيراً من مدينة .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)



وهكـذا يتضـح لنـا أن ليوبنسكـر هو الـذي وضـع المبادىء الأولى للفكر الصهيوني السياسي ، كما أنـه وضـع منهـاجـاً واضحـاً لتنفيذ فكرة إنشاء وطن قومي ، وقد اعتبره « تيودور هرتسـل » رائده في الفكر الصهيوني ، حيث قام بتحويل الحركة الصهيونية من حركـة فكـرية إلى حركـة سياسية في أعقـاب قضية « دريفـوس »[1] . فهرتسل لايعتبر المشكلة اليهـودية مشكلة اجتـماعية أو دينية ـ حتى وإن أخـذت هذا الـطابـع في بعض الأحيان ـ بل المشكلة من وجهـة نظره مشكلة قومية يجب حلهـا كمسـألـة سياسية على المستوى الدولي ، واختار فلسطين كأفضل مكان لغرس الدولة اليهودية المزعومة ، واضعاً في اعتباره تراثاً دينياً لم يكن هو شخصياً يؤمن به .

وقد نجح هرتسل في أن يصور هذه المأساة الخاصة على أنها المأساة العامة التي يكابدها اليهود ، وقد عكف في فينا منذ عام ١٨٨٢ م على تشكيل مذهبها حتى انتهى من إرساء منهجهـا عام ١٨٩٦ م في كتـابـه الشهير « الدولة اليهودية » ، وفيه دعا إلى عقد اجتماع يهودي لوضع سياسة صهيونية منظمة ، كما جاء في كتابه أنهم شعب يرفض الاندماج الذي لم يكن مسموحاً به آنذاك في أوروبا الشرقية وفي روسيا على وجه الخصوص ، إلا أنه تحقق وبصورة مكثفة في أوروبا الغربية وخاصة في فرنسا ولذلك فالعلاج الوحيد في نظره لحل مشكلتهم ، هو إقـامـة دولة يهودية يجتمع فيها كل يهود العالم وليس كمركز روحاني فقط للعقيدة والثقافة .

غير أن هرتسل رشح فلسطين كأنسب مكان يصلح لزرع الدولة اليهودية فيه من منطق استقطاب عشاق صهيون ، واجتمع المؤتمر الصهيوني الأول في مدينة بال بسويسرا في ٢٩ اغسطس ١٨٩٧ م ، وانتهى المـؤتمر إلى أن تحقيق أهداف الصهيونية ، يتلخّص في إنشاء وطن لليهود يتم الاعتراف به من الناحيتين الرسمية والقانونية واستقر رأي المؤتمر على أن يكون هذا الوطن هو فلسطين ، ثم قرر المؤتمر الخطوات التالية تحقيقاً لهذا الغرض : ـ

١ ـ اتبـاع الـوسائل العلمية الفعالة لانشاء مستعمرات زراعية وعمرانية لتستوعب عمال اليهود من الزراعيين والصناعيين .

٢ ـ تنـظيم جماعـات يهودية من خلال المنشـآت المحلية والدولية لتحقيق هذا الغرض ، بحيث تتواءم مع قوانين الدول التي يعيش اليهود بين ظهرانيها .

٣ ـ تقوية الروح القومية اليهودية وازكاء الحماس في صدورهم .

---

(١) هو الضابط اليهودي الفرنسي الذي اتهم بالخيانة عام ١٨٩٤ م لنقله أسراراً عسكرية إلى الألمان ، وتمت محاكمته أمام مجلس عسكري وقد أقر المجلس إدانته وتجريده من رتبته العسكرية ، وشاءت الظروف أن تثبت براءته بعد ذلك .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)



٤ ـ محاولة الاستفادة من تنافس الدول ( الاستعمارية )ومساعدتها في تحقيق أهداف الصهيونية .

ومما يجدر ذكره أن اليهود تحاشوا في مؤتمر بال وكذلك في المؤتمرات اللاحقة حتى عام ١٩٤٢ ، استعمال تعبير الدولة اليهودية مفضلين عليها كلمة وطن منعاً لاثارة حساسيات بعض الدول الأوروبية وللشعور العربي بصفة خاصة ، وإن مهدوا سراً لتحقيق هذا الهدف .

وسعت الصهيونية سعياً حثيثاً للحصول على تأييد الحكومة العثمانية بوصفها صاحبة السلطة الشرعية على فلسطين لتسمح بالهجرة اليهودية إليها ، غير أن السلطان عبد الحميد الثاني رفض فكرة الاستيطان في فلسطين . وفي هذه الأثناء عرضت بريطانيا على هرتسل عام ١٩٠٣ م فكرة إنشاء وطن قومي لليهود في أوغندا نظراً لاعتدال مناخها وغناها ، غير أن هرتسل رفض قائلاً مانصه : « إن افريقيا ليست فلسطين ولايمكن أن تحل محل صهيون » ، كما رفض المؤتمر الصهيوني السابع عام ١٩٠٥ هذا العرض فسحبته بريطانيا .

## وعـــد بلفـــور

وعندما بدأت الحرب العالمية الأولى ، اتفقت الدول الكبرى على اقتسام أملاك السلطان العثماني ، ووجدت الصهيونية فرصتها في الوصول إلى أرض الميعاد ، فعمل ييم وايزمان(١) على توثيق علاقاته بكبار ساسة انجلترا ، ونجح وايزمان بمساعدة يقه « بلفور » الذي أصبح وزيراً لخارجية بريطانيا ، على وعد يحقق التحالف بين انيا والصهيونية العالمية ضد حركة القومية العربية ، وهو ماعرف فيما بعد باسم « وعد » والذي صدر عن وزارة الخارجية البريطانية في ٢٠ نوفمبر ١٩١٧ م مانصه : « إن يا تعد بالنظر بعين العطف والرعاية إلى أمل الصهيونية في إنشاء وطن قومي لليهود سطين ، وأن بريطانيا ستستخدم كل مافي وسعها لتحقيق هذا الأمل ، على ألا ينتج ، ذلك أي أضرار أو تعريض للحقوق المدنية والدينية للهيئات غير اليهودية الموجودة في سطين ، أو أن يؤثر ذلك على الحقوق أو الأوضاع السياسية لليهود في البلاد الأخرى » .
وارتكازاً على تلك الرسالة وماورد فيها : نقول إنه مما يثير في النفس ريبة أن المقصود هنا

(١) حاييم وايزمان ( ١٨٦٤ ـ ١٩٥٢ ) : زعيم صهيون وعالم كيميائي وأول رئيس لإسرائيل في مايو ١٩٤٨ وهو من أصل روسي .

بالهيئات غير اليهودية هي عرب فلسطين ، وقد ورد ذكرهم بطريقة تحمل على الظن أنهم لا يكـونـون الكثـرة الغالبة ، وواقع الأمر أن العرب الذين لم ترد الاشارة إليهم بصريح العبارة كانوا يكونون ٩٢٪ من عدد سكان فلسطين . وإذا نظرنا نظرة فاحصة إلى الفقرة الأخيرة من التصريح « أو أن يؤثر ذلك على الحقوق والأوضاع السياسية لليهود في البلاد الأخرى » ؛ يتضح لنا أن هذا النص يؤكد الروابط القانونية والسياسية بين اليهود والدول التي يعيشون فيها ، ويعطي لهذه الدول حرية السماح لمواطنيها من اليهود بالهجرة إلى فلسطين .

وفي أعقـاب الحـرب العـالمية الأولى ، اتفق الحلفاء في ٢٥ ابريل ١٩٢٠ على وضع فلسـطين تحت الانتداب البريطاني ، وتقدموا بمشروع وثيقة الانتداب إلى عصبة الأمم دون أن يكون هناك رأي للشعب العربي في فلسطين ، وهذا مايتعارض مع ضروريات احترام حرية وسلامة الاقليم الذي وضع تحت الانتداب ، وجاء في هذه الوثيقة « . . . وحيث أن دول الحلفاء ( الكبرى ) وافقت أيضاً على أن تكون الدولة المنتدبة مسئولة عن تنفيذ التصريح الـذي صرحت به حكـومة ملك بريطانيا في ٢٠ نوفمبر ١٩١٧ للشعب اليهودي ، مع التأكيد بأن لا يؤثر ذلك على الحقوق أو المركز السياسي الذي يتمتع به اليهود في البلدان الأخـرى . . . » وحيث أن ذلك اعتراف بالصلة التاريخية التي تربط الشعب اليهودي في فلسطين ، والدوافع وراء إعادة إنشاء وطنهم اليهودي القومي في تلك البلاد . . . » .

ومن المهم هنـا أن نوضـح كيف ضمّنت الحكـومـة الـبريطـانيـة تصريح بلفور في وثيقة الانتـداب إلى عصبة الأمم لتضفي على وعد بلفور الصفة الشرعية التي يفتقدها ، وهو عمل باطل من الناحية القانونية ، فوعد بلفور صادر في صورة خطاب إلى البارون « دي روتشيلد » بصفته الشخصية كفرد عادي ليس له أي كيان دولي .

وعلى هذا النحو فقد سهّلت وثيقة الانتداب ، إهدار حقوق شعب فلسطين وسمحت للوكالة اليهودية(١) كهيئة عمومية رسمية من الناحية القانونية في إدارة شئون فلسطين ،

(١) الـوكـالـة اليهـوديـة : واسمها الحقيقي المنظمة الصهيونية العالمية ، وكانت تعتبر الساعد الأيمن للحركة الصهيونية ، وقامت محاولات عديدة لتوسيع قاعدتها لتضم معظم يهود العالم ، فقام حاييم وايزمان بالتفاوض مع كبار اليهود من غير الصهاينة لانشاء وكالة يهودية موسعة حتى تمثّل كافة يهود العالم . وكانت المهمة الرئيسية للوكالة اليهودية أيام الانتداب هي تمثيل الحركة الصهيونية ويهود العالم أمـام سلطات الانتداب وعصبة الأمم ، وقد تطورت الوكالة حتى أصبحت مايشبه حكومة داخل حكومة الانتداب لها جيشها ( الهاجاناة والبالماخ ) وجهازها الاداري وميزانيتها المستقلة .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)



ومن اللافت للنظر أن بريطانيا الدولة المنتدبة لم تحقق ولو جزءاً يسيراً مما ورد في نص وثيقة الانتداب من حماية لحقوق الشعب الفلسطيني .

وهكذا ساير الانتداب البريطاني الصهيونية في تدعيمها للهجرة اليهودية إلى فلسطين ، ومن الجلي أن حركة الهجرة إلى فلسطين ظلت ضعيفة جداً رغم دعاية الصهيونية السياسية ، ففي عام ١٨٤٥ م لم يكن في فلسطين سوى ١٢ ألف يهودي من أصل مجموع السكان البالغ عددهم ٣٥٠ ألف ، وفي عام ١٨٨٠ م بلغ عدد اليهود ٢٥ ألفاً من أصل مجموع السكان البالغ عددهم ٥٠٠ ألف ، ثم أتت حملات الاضطهاد في روسيا عام ١٨٨٢ م بموجة جديدة تبعها موجات من يهود بولندا ورومانيا ، حتى أصبح هناك خمسون ألف يهودي في فلسطين في نهاية القرن التاسع عشر ، وبعد صدور وعد بلفور بعامين لم يكن هناك سوى ٦٥ ألف يهودي ( أي حوالي ٧٪ من مجموع سكان فلسطين ) ، ولكن خلال اثنى عشر عاماً من بدء الانتداب البريطاني ( ١٩٢٠ - ١٩٣٢ ) هاجر إلى فلسطين مايقرب من ١١٨ ألف يهودي ، وهذا يوضح مدى مساعدة سلطات الانتداب للصهيونية على تدعيم أركانها في فلسطين .

على أن الصهيونية قد جندت امكانياتها في جميع أنحاء العالم وفي الولايات المتحدة الأمريكية على وجه الخصوص للضغط على بريطانيا فوجهت مذكرة في ٢ نوفمبر ١٩٤٢ عن طريق نواب وشيوخ الكونجرس الأمريكي مطالبين روزفلت الرئيس الأمريكي بتبني قضية اليهود - على حد تعبيرهم - جاء فيها « إن الغاية من وعد بلفور هو فتح أبواب فلسطين للجماعات اليهودية التي لا مأوى لها والتمهيد لاقامة دولة يهودية فيها » . وفي أعقاب ذلك وقفت الصهيونية وراء ترومان في حملته الانتخابية للرئاسة الأمريكية ، وبعد نجاحه قام بالضغط على بريطانيا لانشاء جيش يهودي تم تجهيزه عام ١٩٤٤ ، وذلك بعد أن أعدت الوكالة اليهودية مراكز في كثير من الدول لتدريب اليهود وحشدت لهم الأسلحة والمعدات ، وبعد ذلك أبحروا إلى الساحل الفلسطيني .

وعلى هذا النحو نظر الغرب إلى المشكلة عام ١٩٤٧ على أنها مشكلة ستمائة ألف يهودي تجمعوا في فلسطين أثناء فترة الانتداب ، وموضع الدهشة هنا هو أنهم يريدون إقامة دولة على أرض يمتلكها مليون وربع مليون عربي منذ زمن بعيد ، ولذلك حشد اليهود طاقاتهم المالية والعسكرية والادارية بمساندة الصهيونية العالمية لتنفيذ هذا المخطط ، ومن ثم أصبحت الوكالة اليهودية الوسيلة المؤقتة لتنظيم الأجهزة الحكومية وتشكيل الوحدات العسكرية المختلفة من العصابات اليهودية المتعددة ، والتي من بينها عصابة

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)



الارجون[١] . وشتيرن[٢] وقوات البالماخ[٣] والهاجاناة[٤] التي اندمجت فيما يسمى بجيش الدفاع الاسرائيلي وذلك عقب اعلان قيام اسرائيل في ١٥ مايو ١٩٤٨ م .

وهكذا صبت هذه العصابات كل حقدها في القيام بعمليات ارهابية ضد العرب والأراضي المخصصة لهم ضمن قرار التقسيم .

## قــــرار التقسيــــم

أصدرت الجمعية العامة للأمم المتحدة في ٢٦ نوفمبر ١٩٤٧ قرارها الذي تضمن التوصية بتقسيم فلسطين وانهاء الانتداب البريطاني على فلسطين ، ومن اللافت للنظر أن الجمعية العامة قد تجاهلت بقرارها هذا شعب فلسطين في تقرير مصيره ، بل الأمر أبعد من ذلك مدى ، فهو لايقتصر على ذلك وإنما جاوزه إلى إعطاء اليهود ٥٦٪ من أراضي شعب فلسطين ، في حين أنهم كانوا يمثلون فقط ٥ر٦٪ قبل التقسيم ، وكان الأجدى أن

(١) الأرجون : هي الكلمة الأولى من المصطلح العبري ( ارجون تسفائي لئومي بارتس يسرائيل ) ، بمعنى المنظمة العسكرية القومية في أرض إسرائيل ، وهي منظمة يهودية مسلحة أنشأت عام ١٩٣١ وكان زعيمها الروحي « زئيف جابوتنسكي » ، وقامت المنظمة بدور رئيسي في تهجير اليهود إلى فلسطين ، بالاضافة إلى القيام بأعمال الارهاب ضد العرب بغرض طردهم من أراضيهم وأهمها مذبحة دير ياسين التي قادها مناحيم بيجن نفسه ، بالتعاون مع الهاجاناة ثم أدمجت في الجيش الاسرائيلي بعد قيام اسرائيل في عام ١٩٤٨ م .

(٢) شتيرن : منظمة عسكرية للارهاب اسمها الأصلي ( لوحمي حيروت يسرائيل ) ومعناها المحاربون من أجل اسرائيل ، ثم أصبحت تعرف باسم شتيرن نسبة إلى مؤسسها ابراهام شتيرن ( ١٩٠٧ - ١٩٤١ ) ، وقد انشقت كفرع من الارجون عام ١٩٤٠ م ، وهي تمثل الجناح الصهيوني المتطرف وأدمجت في جيش الدفاع الاسرائيلي في عام ١٩٤٨ م .

(٣) البالماخ : اختصار للمصطلح العبري ( بلوجوت ماحاتس ) بمعنى سرايا الصاعقة ، وقام البالماخ عام ١٩٤١ ليكون القوة الضاربة للهاجاناة والغرض من إنشائها القيام بالمهام العسكرية بالغة الصعوبة ، وكان من مهامها تأمين عمليات هجرة اليهود إلى فلسطين ، وهي تمثل الجناح اليساري اليهودي ومن أبرز قادتها ألون واسحاق رابين وبارليف .

(٤) الهاجاناة : كلمة عبرية تعني الدفاع ، وهي منظمة صهيونية عسكرية استيطانية تم قيامها عام ١٩٢١ ، وقد كان هناك تنسيق سري بينها وبين الأرجون أعلنه مناحيم بيجن مؤخراً . قامت الهاجاناة بأعمال ارهابية ضد عرب فلسطين ، كما شاركت في بناء المستوطنات اليهودية وتعاونت مع سلطات الانتداب البريطاني وكانت أهم المؤسسات العسكرية اليهودية التي تحولت إلى جيش الدفاع الاسرائيلي في أعقاب قيام اسرائيل عام ١٩٤٨ .

تأخذ الجمعية العامة الأمر مأخذ الجد وتقرر المنظمة الدولية استقلال فلسطين وقبولها عضواً بها أسوة بما حدث لسورية ولبنان والعراق كأقاليم كانت تحت الانتداب .

وما أن أعلنت بريطانيا انهاء انتدابها على فلسطين في ١٥ مايو ١٩٤٨ ، حتى أعلن بن جوريون قيام دولة يهودية في فلسطين ـ على حد قوله ـ باسم اسرائيل ، وفي بداية الأمر عملت الصهيونية على تكوين دولة هي في واقع الأمر امتداد عنصري في قلب الوطن العربي ، وبالتالي فهي إحدى صور الاستعمار الاستيطاني .

ولابد من إضافة واجبة ، دفعاً لسوء الفهم ، وتلك الاضافة هي أنه من الخطأ القول بأن نشوء دولة صهيونية قد تم على أيدي منظمة الأمم المتحدة ، بل قام على سلسلة من الأمور الواقعة نفذتها بإحكام عصابات الأرجون والهاجاناة وشتيرن .

فإذا نظرنا إلى محاور الاهتمام الأساسية في السياسة التي اتبعتها الصهيونية ، نجد أن التشابه واضح بينها وبين مارود في كتاب « كفاحي » لأدولف هتلر ونصه « يجب أن توفر السياسة العنصرية للدولة أسباب المعيشة على هذا الكوكب للعنصر الذي تشمله الدولة ، وذلك بإقامة تنظيم محكم مستمر ومتفق مع القوانين الطبيعية بين زيادة عدد السكان من جهة وبين اتساع رقعة الاقليم من جهة أخرى » .

فإذا كان هتلر قد نادى بنظرية نقاوة الدم الألماني ، فإن الصهيونية ترى أيضاً أن النقاوة العنصرية هي الطريق الوحيد لخلاص يهود العالم وتحقيق وحدتم القومية .

ومن ذلك يتضح لنا بما لايدع مجالاً للشك أن هناك مخططاً صهيونياً للتوسع كل عشر سنوات ، فالصهيونية في طمع جغرافي مستمر وتوسع استيطاني متزايد ، وهو حتمية ملازمة للوجود الصهيوني في المنطقة وذلك حتى تستوعب اسرائيل ٢٠ مليوناً من اليهود .

## تقييم للوجود اليهودي في فلسطين

### أولاً/ الروابط الروحية والدينية

وهكذا أسدل الستار على مسلسل الحقوق التاريخية بخاتمة من الأراجيف والدماء ، فأولى الحجج التي تستند عليها الصهيونية ، هي الدعوة الخاصة بالروابط التي تربط بين اليهود وفلسطين على أساس الوعد الآلهي لبني اسرائيل في أرض كنعان ، فالصهيونية السياسية تقرأ التوراة بروح قبلية متعصبة ونزعة قومية عنصرية ، لتستخرج من نصوصها ما تبرر به ادعاءاتها من إقامة الدولة الصهيونية على أرض فلسطين العربية ؛ وارتكازاً على تلك القراءة غير الواعية فإن الصهيونية تقيم وزناً لستة وثلاثين عاماً مضت على قيام

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)



اسرائيل وتهدر ثلاثة آلاف عام عاشها العرب على أرض فلسطين .

## ثانياً/ الحقوق التاريخية

ومؤداها أن اليهود كانت لهم دولة في فلسطين فترة من الزمن ازدهرت في عهد داود وابنه سليمان ، وحقيقة الأمر أن الاسرائيليين عندما تسللوا إلى فلسطين بعد الخروج من مصر بقيادة موسى عليه السلام ـ الذي توفي على جبل بنوعلى مشارف فلسطين ـ ثم تولى يوشع بن نون قيادتهم ، وجدوا اليبوسيين والأدوميين والمؤابيين والعمونيين والكنعانيين وغيرهم وهؤلاء جميعهم عرب ، أي أن العرق السامي عربي في أصوله الجغرافية ، ثم غدت مسيحية في عهد الرومان ، ولكنها ظلت سامية من حيث العرق والسلالة البشرية ثم أصبحت اسلامية من حيث الدين وظلت عربية سامية من حيث التكوين والسلالة . والكثرة الغالبة من اليهود الذين وجدوا خارج فلسطين في العصور الحديثة لايمتون بصلة ليهود فلسطين القدماء ، فهم ينتمون إلى أجناس غير سامية اعتنقت اليهودية في فترات متباينة عبر التاريخ ، وكذلك كان بين اليهود الذين طردهم الملك الكاثوليكي فرديناند من اسبانيا كثير من المواطنين الأسبان الذين تهوّدوا وانتشروا في ايطاليا وفرنسا والشرق الأوسط ، ويهود طائفة الاشكيناز وهم يهود شرق أوروبا ووسطها هم أحفاد الخزر(١) الذين عاشوا في جنوب روسيا واعتنقوا الديانة اليهودية في القرنين السابع والثامن الميلادي .

وعلى هذا النحو فالقول بوجود تاريخ مشترك لليهود قول يفنده الواقع ، فقد عاش اليهود خلال الألفي سنة الماضية منفيين منتشرين داخل بلدان مختلفة ، ولم تكن لهم سيادة

---

(١) كان الخزر ـ قبل هجرتهم من آسيا وبعد استقرارهم في جنوب روسيا ـ شعباً وثنياً حتى القرن السابع الميلادي ، وكونوا مملكة الخزر ، ولم يعتنق الخزر الديانة اليهودية إلا في نهاية القرن السابع ، أي بعد نزول الرسالة على موسى عليه السلام بأكثر من ألفي عام . وقد تنبه الروس أهل البلاد الأصليين إلى خطر هذا الوجود الخزري في القرن العاشر الميلادي ، فشنوا عليهم حروباً استمرت حتى منتصف القرن الثالث عشر ، وعندما نجح الروس في طرد الخزر من أراضيهم انتشروا في دول شرق أوروبا .

وعلى ذلك فإن الصهاينة يزيفون للعالم أن اليهود من شرق أوروبا بولنديين ولتوانيين وأوكرانيين وروساً ورومانيين ، لهم حق شرعي في أن يعودوا إلى فلسطين بما يوحي بأن هذه العودة هي إلى وطنهم الأصلي وهو وطن لم يكن للخزر به على امتداد حياتهم أية صلة تاريخية أو عرقية .

في مملكـة خاصـة إلا مايقـرب من سبعـين عامـاً ( من حوالي عام ١٠٠٠ ق.م حتى ٩٣٣ ق.م ) هي فترة حكم داود وسليمان في القدس ، وحتى بعد انقسام مملكة سليمان إلى مملكتـين انصهـرت اسرائيل في قلب الامـبراطـورية الآشورية حوالي عام ٧٢٢ ق.م ، وسقطت يهوذا في يد البابليين سنة ٥٨٧ ق.م ، وحتى مايسمونه بممالك قصيرة الأجل ، فهي تتصل بالدين والروح العاطفية أكثر من اتصالها بالتاريخ السياسي والاجتماعي .

على هذا فمعـظم الصهاينة أوروبيون وليس هناك أي رابط عضوي بين أجداد يهود أوروبا وبين الأسباط اليهودية القديمة .

ومؤدى هذا كله أن الـرابـطة التي تجمع بين اليهود في مختلف جنسياتهم ، هي رابطة الدين فقط وليست رابطة القومية كما تدعي الصهيونية ، وهذه الحقيقة العلمية يؤمن بها اليهود غير الصهيونيين كقاعدة أساسية .

وجـرياً على هذه الصـورة فإن التاريخ اليهودي أوضح بما لايدع مجالاً للشك ، عدم صحـة ادعـاءات الصهيونية حول أرض الميعـاد والصـلات الـتراثية المفتعلة التي تحاول الصهيونية ايجادها في المنطقة العربية ، اعتماداً على بعض المرويات القديمة التي يحترمها اليهود وهذا يعني أنهم حاولوا أن يربطوا هذه الادعاءات ربطاً مفتعلاً بالتاريخ .

ومن هنـا نرى أن اليهود لم تواتهم ظروف حياتهم بمعرفة عملية دقيقة يصححون بها أوهامهم ، فظلوا متشبثين بنظرتهم الذاتية تلك ، متأثرين بدافع الأهواء المخزونة ، وآمنوا أن الفكـر العميق يتعين أن يكون ملفوفاً في رداء من الغموض ، ولذلك لم ينكشف لهم الحق كما هو واقع ، أي الحق الموضوعي الذي يستمد صدقه من الواقع الفعلي .


الخاتمة





Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

# الخاتمة

يمثل موضوع هذا البحث صعوبات كثيرة نظراً لما يتسم به من أهمية فريدة من نوعها على الصعيدين العلمي والقومي في آن واحد ،. فمدينة القدس تمثل عقدة من عقد الصراع العربي الاسرائيلي التي استعصت على نطس السياسيين ، والتي تجول من حولها فيما يبدو مساومات طويلة جداً ، ذلك أنها مدينة مقدسة للأديان السماوية جميعاً الاسلام والمسيحية واليهودية ، وهي مدينة السلام كما أنها كانت فريسة للعدوان الصهيوني في أكثر من مرحلة وأكثر من عصر ، منها هذا العصر الحديث الذي نعيشه الآن .

فالبحث في القدس يتخذ طرائق كثيرة جداً ، وقد وقفنا في بحثنا عند نتيجة هامة جداً ، وهي أن القدس قبل عصر داود لم تكن تمت بأية صلة للفكر اليهودي ، فموسى لم يعرف القدس ولا يوشع بن نون ولا القضاة ولا الآباء الأول ، وإنما انتقل إليها داود وسليمان ، ثم حدث بعد ذلك أن طُرد اليهود منها ، فاكتسبت في أذهانهم صورة الحرم المقدس الذي طردوا منه ، وأصبحت الحركات الصهيونية المتعاقبة إلى الصهيونية الحديثة تعتمد على القدس شعاراً لالهاب الاحساس الاسرائيلي وتوجيه اليهود من كافة أنحاء الأرض نحو المدينة المقدسة عند المسلمين والمسيحيين ، والتي اعتبرها اليهود مدينة داود بينما هي مدينة الله من قبل .

ولكني آثرت ألا أصل إلى بغيتي بأقصر الطرق ، لأنني لو فعلت ذلك لأضعت على نفسي والقارىء معالم هامة أردت لها أن تكون موضع السمع والبصر ، ولذلك صحبته في خط دائري يدور حول الموضوع من كافة جوانبه الفكرية والدينية والتاريخية والأثرية . وكان عليّ أن أواجه مشاكل أثرية لا تكاد تحل في مدينة القدس ، نظراً لقداسة المدينة للأديان السماوية الثلاثة ، بحيث أصبح المساس بها يعتبر خروجاً على هذه الأديان وتدنيساً لهذه الحرمة المقدسة الكامنة في ثرى هذا الموقع المقدس ، ولذلك كف المسلمون والمسيحيون عن الحفائر ، واكتفوا بعمليات جسّ محدودة جداً .

ثم دنّست الصهيونية القدس العربية سنة ١٩٦٧ ، وانتهكت كل هذه الحرمات على أمل أن تجد وثائق تثبت أحقية هذه المدينة للاسرائيليين وباءت أبحاثهم وجهودهم

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)



بالفشل ، لأنهم أوغلوا في تشويه هذه المدينة وتعميق حفائرهم فيها كلما ظهر مايثبت أنهم دخلاء ومتطفلون على ثراها وطبقاتها القديمة .

ومعنى ذلك أن العنعنات والروايات التي وردت عند بعض الحاخامات موضع شك كبير ، لأنها تقال على سبيل التبرك أكثر منها على سبيل البحث العلمي ، أما هذه الحفائر التي كان آخرها ماقام به قسم الآثار بالجامعة العبرية باشراف البروفسور يجائيل يادين ، فلم تسفر عن شيء يثبت أحقية اليهود في المدينة المقدسة كما يدعون ، فعادوا وطمروا حفائرهم هذه وطووها طّي الكتمان .

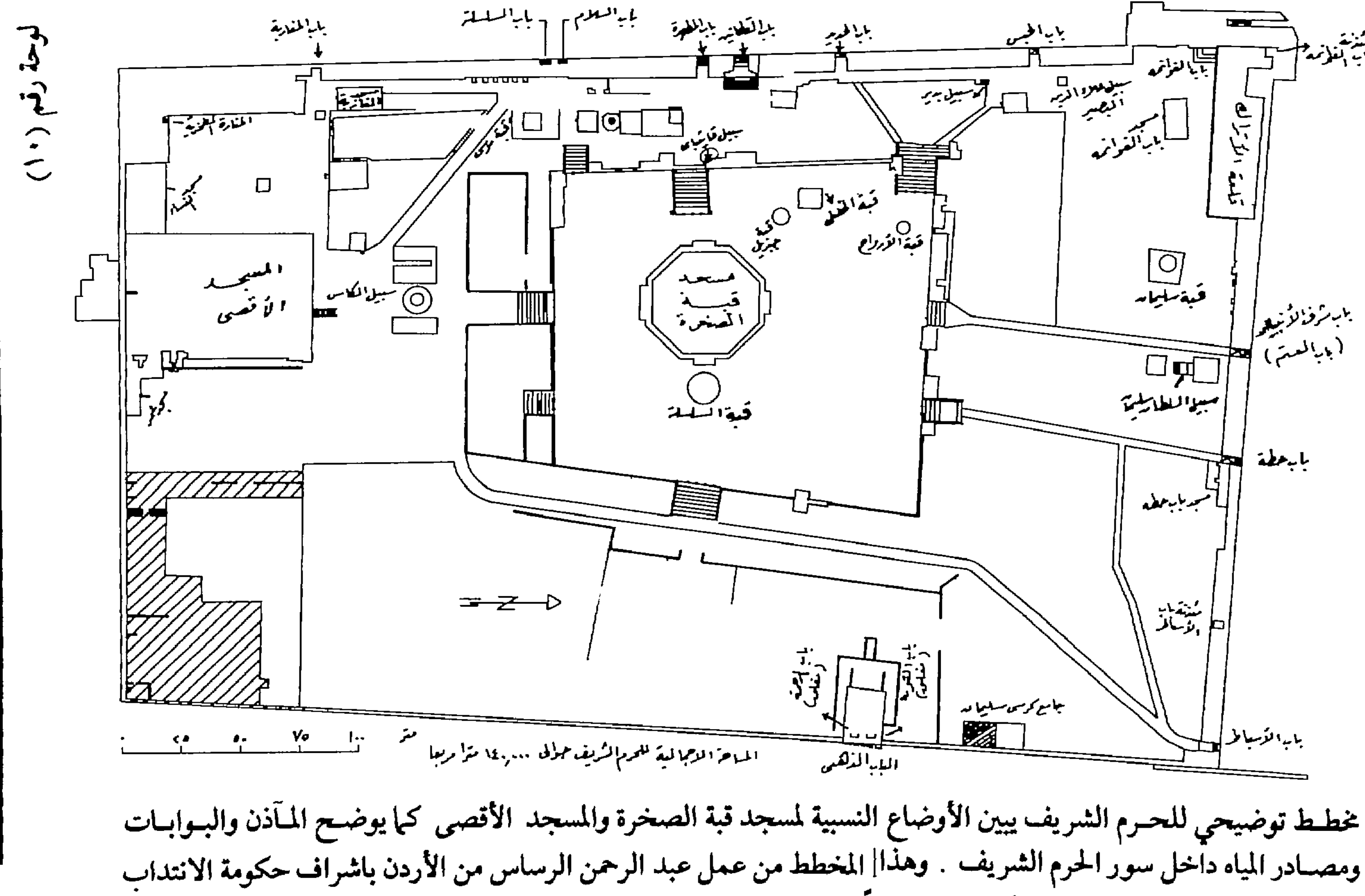
هناك الجانب التاريخي أيضاً الذي لعب دوراً في بلورة الفكر اليهودي حول المدينة المقدسة ، وهذا الجانب التاريخي فيه جزء خاص بالفولكلور ، فهو يحتوي على تاريخ قومي وتاريخ شعبي وفيه جزء يعتبر وقائع سياسية وعسكرية حدثت فعلاً ، ثم الجانب الأخير وهو انعكاسات هذا على الدين وعلى السياسة وعلى الأدب في اللغة العبرية . وقد قمت بمعالجة هذه النواحي الثلاث في البحث بالقدر الذي اتاحته المراجع المتيسرة .

ومن هذا الفولكلور والتاريخ تكّون التعصب اليهودي لمدينة القدس ، وهو التعصب الذي يعتبر صخرة من الصخور السياسية الصلبة التي تتحطم عليها أي قرارات تصدرها هيئة الأمم في عصرنا الحديث .

وأمام هذا السيل من الادعاءات الصهيونية الخاصة بالقدس ، يتلخص الرد الانساني العام في أن هذه المدينة ليست وقفاً على اليهود بحال من الأحوال ، فالمسيحيون يتجهون اليها في صلاتهم ويسافرون إليها حجاجاً وعددهم مليار في العالم ، والمسلمون عندهم من الوثائق التي لايرقى اليها الشك مايبرهن على أنها أولى القبلتين وثالثة الحرمين ، وأن سكانها منذ الأزل لم يكونوا من اليهود وعدد المسلمين يناهز المليار أيضاً ، بينما يضع زعماء الصهيونية في وجه مليارين من البشر ـ الذين يقدسون هذه المدينة ـ خمسة عشر مليوناً من اليهود هم كل اليهود في العالم والذين لايقدسون شيئاً إلا الاستعمار والدولار .

ثم إن وقائع التاريخ تبين أن القدس تحت الحكم الاسلامي كانت مدينة مفتوحة للزوار جميع الأجناس والأديان ، كما أن الرحالة الأندلسي المسلم ابن جُبير الذي ركب البحر ، أوروبا إلى الشرق في زمن صلاح الدين الأيوبي وفي عنفوان الحروب الصليبية يذكر أن نصف ركاب سفينته كانوا من المسيحيين والنصف الآخر من المسلمين ، كل منهما يتجه إلى الحج ، المسيحيون إلى القدس والمسلمون إلى مكة ، وكان صلاح الدين الذي يحارب في فلسطين يُؤّمن أثناء هذه الوقائع المهولة طريق الوصول إلى الأماكن المقدسة للحجاج المسيحيين القادمين من أوروبا ، كما أن الرحالة اليهودي بنيامين الططيلي يدخل القدس

لوحة رقم (١٠)




مخطط توضيحي للحرم الشريف يبين الأوضاع النسبية لمسجد قبة الصخرة والمسجد الأقصى كما يوضح المآذن والبوابات ومصادر المياه داخل سور الحرم الشريف . وهذا المخطط من عمل عبد الرحمن الرساس من الأردن باشراف حكومة الانتداب البريطاني في فلسطين . The Nobla Sanctuoy by Alistair Duncan .

حاجاً وواقفاً بحائط المبكى والمدينة تحت الحكم الاسلامي فلا يشعر بأي ضغط أو تقييد أو تهديد .

ومن هنـا نجد المسلمين في العصر الحديث يتساءلون في حسرة واندهاش ماذا جنت القـدس الاسـلامية حتى تخلع عن عرشهـا الـذي رضي به المسلمـون وأهل الذمة على السواء ، ولم تحجبه إلا هذه الحركة الصهيونية التي أبْتُلي بها الوطن العربي .

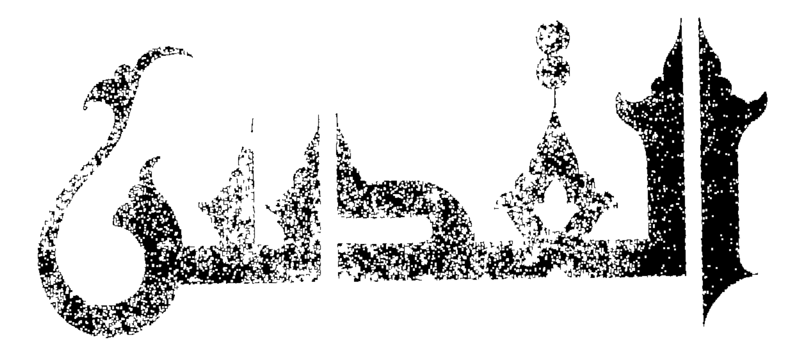
تحت هذا الضوء نتبين أبعاد كلمة قالها وكررها مراراً صاحب الجلالة المغفور له الملك فيصـل بن عبـد العـزيز الـذي يقول إننا نرحب بالسلام وعلامة هذا السلام عندي أن أستطيع أن أقود سيارتي من مكة لأصلّي في قبة الصخرة بالقدس دون أن يتعرض لي أحد .

بهذا التلخيص المختصر يبين السياسي العربي الكبير أن السلام ليس حبراً على ورق ، وإنما هو نتائج عملية وسلوك انساني إذا لم ينفذ فهو الخداع بعينه ، ومازالت المسألة حيث تركهـا العـاهـل العـربي الكبير ، فالمسلم والمسيحي إذا لم يستطيعا الوصول إلى القدس بسهـولـة وابتهـاج وروحانية تامة فمعنى ذلك أن الوحش الصهيوني الشرس مازال يهدد طريقهما ، وقد فكر بعض البعيدين عن بؤرة المشكلة في التدويل ناسين أن كل مكان في العـالم طُبق فيه التـدويل تضاعفت فيه المشاكل ، وليس أدل على ذلك من رفض الملك فيصـل رفضاً باتاً لمبدأ التدويل مع تأكيده دائماً تمسكه بعروبة القدس . ثم إن التدويل يكـون حلاً إذا كان النظام الماضي وهو هنا الولاية الاسلامية قد أخفق في القيام بالمهمة وأداء الأمـانـة ، بينما المعروف أنه منذ أن فتح عمر بن الخطاب مدينة القدس في السنة الخـامسـة عشـرة من الهجرة ( ٦٣٦ ميلادية ) ، لم يحدث أن اشتكى واحد من أهل الذمة من الادارة الاسلامية للمدينة المقدسة .

وهكذا يتبين لنا أن العالم الاسلامي مايزال حتى اليوم مدعواً إلى عدم التخلي عن هذا المقياس الـديمقراطي البسيط الذي نادى به صاحب الجلالة المغفور له الملك فيصل بن عبد العزيز ، وهو أن تظل المدينة مقدسة مفتوحة دون قيد أو شرط وللجميع في ظل سماحة الاسلام .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

# المصادر والمراجع



Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

# المصادر والمراجع

## أولاً/ المراجع العربية

### أ/ مراجع عربية قديمة :

(١) القرآن الكريم .
(٢) الكتاب المقدس ( العهد القديم ـ العهد الجديد ) : دار الكتاب المقدس ، القاهرة ١٩٦٩ م .
(٣) الأسفار القانونية التي حذفها البروتستانت ، الاسكندرية ١٩٧٧ م .
(٤) ابن الأثير : كتاب الكامل في التاريخ ( ١٢ جزءاً ) بيروت ١٩٦٩ م .
(٥) الحافظ شمس الدين الذهبي : كتاب دول الاسلام ، المجلد الثاني ، طبعة أولى ١٣٣٧ هـ .
(٦) ابن حزم الأندلسي : الفصل في الملل والأهواء والنحل ، مكتبة ومطبعة صبيح ، القاهرة ١٩٦٤ م .
(٧) جمال الدين أبي المحاسن الأتابكي : النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، الجزء السادس ، القاهرة .
(٨) زين الدين عمر بن الوردي : تتمة المختصر في أخبار البشر ، الجزء الثاني دار المعرفة ، بيروت ١٩٧٠ م .
(٩) عماد الدين اسماعيل أبي الفداء : المختصر من أخبار البشر ، الجزء الثالث ، الطبعة الأولى ، القاهرة .

### ب/ مراجع عربية حديثة :

(١٠) أبو حديد ، محمد فريد : صلاح الدين الأيوبي ، دار المعارف ١٩٦٠ م .

(١١) أمين ، أحمد : ظهر الاسلام ، الجزء الثالث ، الطبعة الرابعة مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ١٩٦٦ م .
(١٢) العقاد ، عباس محمود : الله كتاب في نشأة العقيدة الآلهية ، الطبعة السادسة ، دار المعارف ، القاهرة ١٩٦٩ م .
(١٣) العقاد ، عباس محمود : ابراهيم أبو الأنبياء ، دار الهلال ، القاهرة .
(١٤) العارف ، عارف باشا : تاريخ القدس ، دار المعارف ، القاهرة ١٩٥١ م .
(١٥) ابراهيم ، د . نجيب ميخائيل : مصر والشرق الأدنى القديم ، الجزء الثالث الطبعة الثالثة ، دار المعارف ، القاهرة ١٩٦٦ م .
(١٦) د . ابراهيم رزقانة ، د . محمد صفي الدين أبو العز : المجتمع العربي ، القاهرة ١٩٦٤ م .
(١٧) النجار ، عبد الوهاب : قصص الأنبياء ، مطبعة العلوم ، القاهرة ١٩٣٢ م .
(١٨) أولبريت ، وليم ف : آثار فلسطين ، ترجمة د . زكي اسكندر ، د . محمد عبد القادر محمد ، مطابع الأهرام ، القاهرة ١٩٧١ .
(١٩) أحمد العوامري بك ، محمد أحمد جاد المولي بك : مهذب رحلة ابن بطوطة ، الجزء الأول ، القاهرة ١٩٣٣ م .
(٢٠) المحيني ، د . محمد جابر عبد العال : في العقائد والأديان ، الهيئة المصرية العامة القاهرة ، ١٩٧١ م .
(٢١) الطويل ، د . السيد رزق : بنو اسرائيل في القرآن ، دار المعارف ١٩٨٠ م .
(٢٢) القصاص ، د . محمد : الشعر العبري ، القاهرة ١٩٥٨ ـ ١٩٥٩ م .
(٢٣) العسيلي ، د . كامل جميل : وثائق مقدسية تاريخية ، المجلد الأول ، عمان ١٩٨٣ .
(٢٤) بدوي ، د . عبد الرحمن : دور العرب في تكوين الفكر الأوروبي ، دار الآداب بيروت ١٩٦٥ م .
(٢٥) باليثيا ، آنخل جونثالث : تاريخ الفكر الأندلسي ، ترجمة د . حسين مؤنس ، الطبعة الأولى القاهرة ١٩٥٥ م .
(٢٦) جلال ، د . ألفت : الأدب العبري القديم والوسيط ، مطبعة جامعة عين شمس ١٩٧٨ م .
(٢٧) جيمس فريزر : الفولكلور في العهد القديم ، ترجمة د . نبيلة ابراهيم ـ جـ ١ ، القاهرة ١٩٧٢ م .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)



(٢٨) حسنين ، د . فؤاد : فلسطين العربية ، القاهرة ١٩٧٣ م .
(٢٩) حسنين ، د . فؤاد : من الأدب العبري ، القاهرة ١٩٦٣ م .
(٣٠) خمار ، قسطنطين : موسوعة فلسطين الجغرافية منظمة التحرير الفلسطينية ، بيروت ١٩٦٩ م .
(٣١) خليفة ، د . محمد : الحركة الصهيونية ( مذكرات كلية الآداب ـ جامعة القاهرة ، ١٩٧٨ م ) .
(٣٢) رمضان ، د . عبد العظيم : الصراع بين العرب وأوروبا ، دار المعارف ، القاهرة ١٩٨٣ م .
(٣٣) رنسيمان ، ستيفن : تاريخ الحروب الصليبية ( ثلاثة أجزاء ) الطبعة الثانية ـ ترجمة الدكتور السيد الباز العريني دار الثقافة ، بيروت ١٩٨١ م .
(٣٤) راتب ، د . عائشة : العلاقات الدولية العربية ، القاهرة ١٩٧٠ م .
(٣٥) رشيد ، د . فوزي : الشرائع العراقية القديمة ، بغداد ١٩٧٣ م .
(٣٦) زكي ، د . عبد الرحمن : الفن الاسلامي ، دار المعارف ـ ١٩٨٤ م .
(٣٧) زيادة ، د . نقولا : الرحالة العرب ، دار الهلال ، القاهرة ١٩٥٦ م .
(٣٨) عبد الحميد ، د . محمد حرب : ( ترجمة ) مذكرات السلطان عبد الحميد ، دار الأنصار ، القاهرة ١٩٧٨ م .
(٣٩) عبد البديع ، د . لطفي : الاسلام في أسبانيا ، مكتبة النهضة المصرية ١٩٥٨ م .
(٤٠) عبد المجيد ، د . محمد بحر : اليهود في الأندلس ، دار الكتاب العربي ، القاهرة ١٩٧٠ م .
(٤١) عبد العليم ، د . مصطفى كمال : اليهود في مصر في عصري البطالمة والرومان ، القاهرة ١٩٦٨ م .
(٤٢) غومس ، اميليو غرْسِيه : الشعر الأندلسي ، ترجمة د . حسين مؤنس ، الطبعة الثالثة ، مكتبة النهضة ، القاهرة ١٩٦٩ م .
(٤٣) فريد ، محمد ( بك المحامي ) : تاريخ الدولة العلية العثمانية ، تحقيق د . احسان حقي ، الطبعة الأولى ، ( دار النفائس ) بيروت ١٩٨١ م .
(٤٤) سبينووزا ، باروخ : رسالة في اللاهوت والسياسة ، ترجمة د . حسن حفني ، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ، القاهرة ١٩٧١ م .
(٤٥) سلام ، د . شعبان محمد : الأثر العربي في الشعر العبري ، الجزء الأول في

البحور والأوزان ، القاهرة ١٩٨١ م .
(٤٦) ظاظا ، د . حسن : الساميون ولغاتهم ، مكتبة الدراسات اللغوية القاهرة ١٩٧١ م .
(٤٧) ظاظا ، د . حسن : الفكر الديني الاسرائيلي ، معهد البحوث والدراسات العربية ، القاهرة ١٩٧١ م .
(٤٨) ظاظا ، د . حسن : اسرائيل ركيزة للاستعمار بين المسلمين ، مجمع البحوث الاسلامية ، القاهرة ١٩٧٣ م .
(٤٩) ظاظا ، د . حسن : الشخصية الاسرائيلية ، مجلة عالم الفكر ، المجلد العاشر ، الكويت ١٩٨٠ م .
(٥٠) موسكاتي ، سبتينو : الحضارات السامية القديمة ، ترجمة د . السيد يعقوب بكر ، دار الكتاب العربي ، القاهرة .
(٥١) نصحى ، د . ابراهيم : تاريخ مصر في عصر البطالمة ، الطبعة الرابعة جزآن ، القاهرة ١٩٧٦ م .
(٥٢) هنداوي ، د . ابراهيم موسى : الأثر العربي في الفكر اليهودي ، مكتبة الانجلو القاهرة ١٩٦٣ م .
(٥٣) ولبر ، دونالد : ايران ماضيها وحاضرها ، ترجمة د . عبد النعيم محمد حسنين ، القاهرة ١٩٥٨ م .
(٥٤) ول ديورانت : قصة الحضارة ، الجزء الثاني ، الشرق الأدنى ترجمة محمد بدران ، القاهرة ١٩٧١ م .

## ثانياً/ المراجع العبرية

(١) التلمود البابلي والتلمود الأورشليمي :
(٢) العهد القديم ( التوراة ـ أسفار الأنبياء ـ كتب الحكمة ) .
(٣) مشنايوت ( المشنا ) :

Philip Blackman , New York , 1977 .

(٤) ابراهام قورمان : زريت وكيتوت بيهودوت ( التيارات والطوائف اليهودية ) ، القدس ١٩٦٠ .
(٥) اسحاق بن صبي : ندحى يسرائيل ( الضالون من بني اسرائيل ) ، القدس ١٩٦٣ م .
(٦) اسحاق بن صبي : عيقري أمونتام بنوسح قصير ( أسس عقيدتهم في نسخة

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)



مختصرة ) القدس ١٩٦٥ م .
(٧) أورئيـل رففـورط : تولـدوت يسـرائيل بتقوفت هبيت هشيني ( تاريخ اسرائيل في فترة البيت الثاني ) القدس ١٩٦٧ م .
(٨) اسرائيل بلكيند : هشومرونيم ( السامريون ) ، القدس ١٩٢٨ م .
(٩) اسرائيل بلكيند : عسرت هشبطيم ( القبائل العشر ) القدس ١٩٢٨ م .
(١٠) اشعيـا برس : محقـريم بيـديعت هآرتس وطبوجرافيا مقرائيت ( بحوث في الجغرافيا والطبوغرافيا التوراتية ) القدس ١٩٦٠ م .
(١١) بنيـامـين مزار : كنعـان ويسرائيل محقريم هيسطوريين : ( كنعان واسرائيل بحوث تاريخية ) ، القدس ١٩٧٤ م .
(١٢) جدلياهو ألون : تولدوت هيهوديم بارتس يسرائيل بتقوفت همشنا وتلمود يروشليمي .
( تاريـخ اليهـود في أرض اسـرائيـل في عصـري المشنا والتلمود الأورشليمي ) ، القدس ١٩٥٣ م .
(١٣) حزقيال قويفمان : تولدوت هائمونا هيسرائيليت ميمي قدم عد سوف بيت هشيني .
( تاريـخ العقيـدة اليهـوديـة في العصـور القـديمـة وحتى نهاية البيت الثاني ) ، القدس ١٩٥٣ م .
(١٤) حاييم شيرمـان : هشـيرا هعفريت بسفراد وبفروبانس ( الشعر العبري في اسبانيا وجنوب فرنسا ) القدس ١٩٥٤ م .
(١٥) زئيب فيلنائي : يهودا وشمرون ( يهودا والسامرة ) ، القدس ١٩٦٨ م .
(١٦) ميخال أبي يونا : بيمي روما وبيزنطيون : ( تاريخ روما وبيزنطة ) ، القدس ١٩٤٧ م .
(١٧) صمـوئيـل ييبين : محقريم بتولدوت يسرائيل (بحوث في تاريخ اسرائيل) ، القدس ١٩٦٠ م .
(١٨) شمعـون دوفنـوف : دبـري هيميم لعـام يسـرائيل ( تاريخ الشعب الاسرائيلي ) ، القدس ١٩٤١ م .
(١٩) يوحنان أهاروني : إرتس يسرائيل بتقوفت همقرا ( أرض اسرائيل في عصر المقرا ) ، القدس ١٩٦٢ م .
(٢٠) يوحنان أهاروني : هتنحلوت شبطي يسرائيل بجليل هعليون . ( استيطان أسباط اسرائيل في الجليل الأعلى ) ، القدس ١٩٦٠ م .
(٢١) يوشـع جوتمـان : هسفـروت هيهـوديت ههيلينسطيت . ( الكتب اليهـوديـة

والهيلينستية ) ، القدس ١٩٥٨ .

(٢٢) يوشع جرينتس : براقيم بتولدوت ببيت شني ( فصول من تاريخ البيت الثاني ) القدس ١٩٦٩ م .

## بعض دوائر المعارف العبرية

(٢٣) أوتساريسرائيل انسيكلوبديا : مهدوراً شليشيت . ( دائرة المعارف العبرية : الطبعة الثالثة ) ، لندن ١٩٣٥ .

(٢٤) هانسيكلوبديا هعفريت كوليلت يهوديت . ( دائرة المعارف العبرية الشاملة اليهودية ) ، القدس ١٩٦٩ م .

## ثالثاً/ المخطوطات

(١) كتاب ( تاريخ السامرين ) لأبي الفتح بن أبي الحسن السامري الدنفي ، عام ١٣٥٢ م .

(٢) بعض أوراق البردي باللغة الآرامية والعبرية . مخطوط رقم . OR . 9180

## رابعاً / المراجع الأجنبية

1 . *Ackroyd , P.R.*
Israel under babylon and Persia , Oxford , 1970 .

2 . *Albright , W.F.*
From the Stone age to Christianity , Baltimore , 1940 .

3 . *Adler , E.*
Jewish Travellers , London , 1930 .

4 . *Allegro , J.*
The Dead Sea Scrolls , London , 1977 .

5 . *Alt , A.*
Essays on old Testament History and Religion Translated by R.A. Wilson , New York , 1967 .

6 . *Baly , D.*
Geographical Companion to the Bible , New York , 1963 .

7 . *Charles , R.H.*
The Apocrypha and Pseudepgrapha of the Old Testament , Oxford , 1913 .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)



*8 . Coggins , R.J.*

Samaritans and Jews , London , 1975 .

*9 . Cary , M.*

A History of the Greek world from 323 to 146 B.C. , London , 1965 .

*10 . Cowely , M.*

Aramaic papyri of the Fifth Century B.C. , Oxford , 1923 .

*11 . Duncan , A.*

The Noble Sanctuary , portrait of a Holy place in Arab Jerusalem , Beirut , Second Edition , 1981 .

*12 . Delaporte , L.*

Mesopotamia the Babylonian and Assyrian Civilization , translated by V. Gordon Childe , London , 1970 .

*13 . Driver , G.R.*

Aramaic Documents of the Fifth Century B.C. , Oxford , 1965 .

*14 . Edward , F. and Freedman , D.N.*

The Biblical Archaeologist Reader 2 Vol. II , New York , 1964 .

*15 . Edward , F. and Freedman , D.N.*

The Biblical Archaeologist Reader 3 Vol. III , New York , 1970 .

*16 . Epstein , I.*

Babylonian Talmud , Translated into English with notes , under the Edidorship of Rabbi Dr. I. Epstein , London , 1935 - 1948 .

*17 . Gaster M.*

The Samaritans their History , Doctrines and Literature , London , 1923 .

*18 . Gray , J.*

The Canaanites , London , 1964 .

*19 . Greatz , H.*

Popular History of the Jews , New York , 1949 .

*20 . Heaton , E.W.*

The Hebrew Kingdoms , Oxford , 1968 .

*21 . Hindson E.*

The Philistines , and Old Testament , New York , 1971 .

*22 . Jastrow M.*

The Civilization of Babylonia and Assyria , Philadelphia , 1915 .

*23 . Johnson , A.R.*

The one and the many in the Israelite conception of God , Oxford , 1960 .

*24 . Josephus , F.*

Antiguities of the Jews , Vols. II - III , Michigan , 1974 .

25 . *Josephus , F.*

The wars of Jews , Vol. I , Michigan , 1974 .

26 . *Johns , C.H.W.*

Assyrian Deeds and Documents , Vol. II , 1901 .

27 . *Kracling , E.G.*

The Brooklyn Museum Aramaic Papyri , New Haven , 1953 .

28 . *Kenyon , K.*

Archaeology in the Holy Land , New York , 1969 .

29 . *Kenyon , K.*

Digging up Jerusalem New York , 1974 .

30 . *Kaufmann , Y.*

The Religion of Israel from its beginning to the Babylonion Exiles , New York , 1966 .

31 . *Lods , A.*

Israel from its Beginnings to the Middle of the Eight Century , translated by S.H. Hooke , London , 1932 .

32 . *Lods , A.*

The Proohets and the Rise of Judaism translated by S.H. Hooke , London , 1955 .

33 . *Macalister , R.A.*

The Philistines , their History and Civilization , London , 1914 .

34 . *Macdonald , J.*

The Samaritan chronicle No. II , London , 1969 .

35 . *Montgomery , J.A.*

The Samaritans , New York , 1907 .

36 . *Olmstead , A.T.*

History of Assyria , New York , 1923 .

37 . *Olmstead , A.T.*

History of Palestine and Syria , New York , 1931 .

38 . *Ricciotti , G.*

The History of Israel (2 Vols) . Milwankee , 1955 .

39 . *Robinson , Th. H.*

A History of Israel , Oxford , 1957 .

40 . *Rops , D.*

Israel and Ancient World , London , 1960 .

41 . *Russell , D.S.*

Between the Testaments , London , 1972 .

42 . *Rosenthal , E.*

Judaism and Islam , London , 1961 .

43 . *Ringgren , H.*

Israelite Religion , translated by David E. Green , New York , 1966 .

44 . *Schuss , H.*

The Jewish Festivals , New York , 1978 .

45 . *Schurer , E.*

A History of the Jewish People in the time of Jesus , New York , 1978 .

46 . *Schurer , E.*

The literature of the Jewish People in the time of Jesus , New York , 1972 .

47 . *Smith , A.E.*

The Legacy of Israel , Oxford , 1948 .

48 . *Smith , G.A.*

The Historical Geography of the Holy Land , New York , 1966 .

49 . *Smith , W.R.*

The Prophets of Israel , London , 1907 .

50 . *Smith , W.R.*

The Religion of the Semites , New York , 1972 .

51 . *Techerikover , V.*

Hellenistic Civilization and the Jews , New York , 1979 .

52 . *Wardle , W.L*

The History and Religion of Israel .

53 . *Welch , A.C.*

The Religion of Israel under the Kingdom , London , 1912 .

54 . *Wright , G.E. and Freedman , D.N.*

The Biblical Archaeologist , Reader 1 , Vol. I , New York , 1961 .

55 . *Waxman , Meyer*

A History of Jewish Literature New York , Second Edition 1938 .

56 . *Alalas of Israel*

Cartography , Physical , Geography , Human , Economic Geography History , Published by Survey of Israel , Ministry of Labour , Jerusalem , 1970 .

57 . *Encyclopedia Religion and Ethics .*

New York , 1928 .

58 . *Encyclopedia Judaica :*

Jerusalem , 1978 .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)



59 . *Interpreter's Dictionary of the Bible :*
An Illustrated Encyclopedia in 4 Vols . New York , 1963 .
60 . *The Babylonian Talmud :*
Translated into English , London , 1935 - 1948 .

## المختصــــرات

اتبعت طريقة اختصار بعض أسماء أسفار العهد القديم وأسفار المكابيين لكثرة الاشارة إليها في البحث وذلك على النحو التالي :

| اسم السفر | الاختصار |
|---|---|
| التكوين | تك |
| يوشع | يش |
| صمويل الأول | ١ صم |
| صمويل الثاني | ٢ صم |
| الملوك الأول | ١ ملك |
| الملوك الثاني | ٢ ملك |
| أخبار الأيام الأولى | ١ أخ |
| أخبار الأيام الثاني | ٢ أخ |
| سفر المكابيين الأول | ١ مكا |
| سفر المكابيين الثاني | ٢ مكا |

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

# الفهرس

## أولاً : فهرس الأعلام

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

## ثانياً : الفهرس الجغرافي

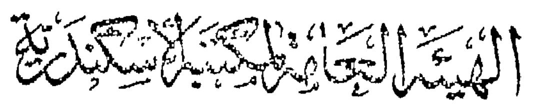
Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

## ثالثاً : فهرس الشعوب والطوائف والقبائل

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

# فهرس للصور والخرائط والمخططات





Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

# هذا الكتاب

يتناول في تسعة فصول عدا المقدمة ، قصة القدس وفي المقدمة يتناول أسماء القدس منذ عصر سكانها الأصليين اليبوسيين وهم عرب في الألف الثالث قبل الميلاد ، وفي العصر الاسلامي ثم يدرس جغرافيتها بتفصيل مناسب ويعرج بعد ذلك على المقدسات الاسلامية فيها ، ومن خلال دراسته للمقدسات الاسلامية يذكر العهدة العمرية وأهميتها لسكان القدس أو إيلياء عند تحرير المسلمين لها ، كما يتحدث عن المسجد الأقصى ومسجد قبة الصخرة . ويتضح هنا أن هناك فرقاً بين المسجد الأقصى وقبة الصخرة يجهله كثير من المسلمين في العصر الحاضر ، فكثيرهم أولئك الذين يعتقدون أن المسجد الأقصى وقبة الصخرة شيء واحد ويرجع ذلك إلى جهل المسلمين بتاريخهم وحضارتهم ، وذلك تقصير إعلامي يجب أن نتنبه إليه وواجب الأكاديميين المسلمين المسلمين أن يقوموا بواجبهم تجاه شعوبهم الاسلامية بالتعاون مع وسائل الاعلام المختلفة ، وهذا الكتاب إنما جاء لسدّ هذه الثغرة .

مما يجب أن نلحظه في هذا الكتاب القيم هو أنه اتخذ خطاً واضحاً وهو عروبة القدس ، وهو في سبيل برهنته على هذه الحقيقة في وجه الصهيونية العارمة يعتمد على البراهين الواضحات ، فيبدأ في الفصل الأول بالحديث عن تاريخ القدس قبل الوجود اليهودي الطارىء ، ثم ينتقل إلى الفصل الثاني متحدثاً عن مرحلة التعايش السلمي بين الفلسطينيين الأصليين وداود عليه السلام واستيلاؤه على القدس وبناء الهيكل حتى موت سليمان عليه السلام والذي كان موته بداية لانقسام بني اسرائيل .

**(من تقديم الكتاب)**

**د. عبد الرحمن بن محمد الطيب الانصاري**